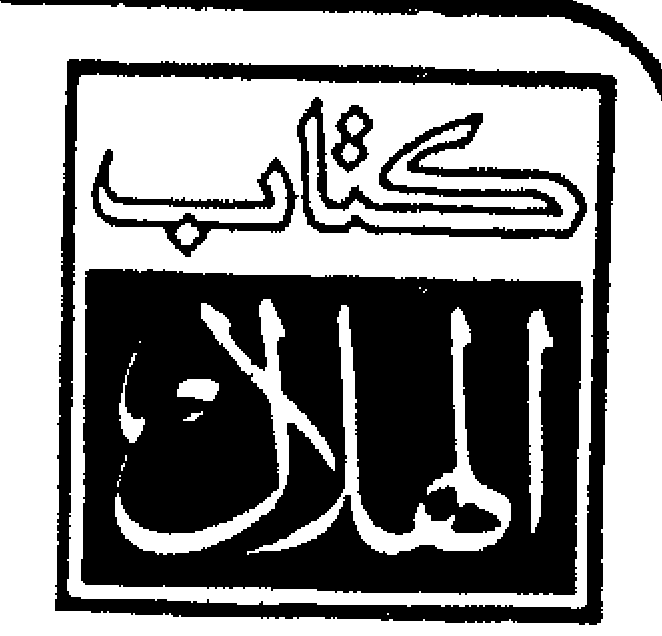


صورة اليهودى
فى الأدب الإنجليزى
د. رمسيس عوض



سلسلة شهرية تصدر عن

دار الهلال

الإصدار الأول يونيو ١٩٥١

رئيس مجلس الإدارة **مكرم محمد أحمد**

رئيس التحرير **مصطفى نبيل**

سكرتير التحرير **عادل عبد الصمد**

مركز الادارة

دار الهلال : ١٦ ش محمد عز العرب

ت : ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط

فاكس : FAX -3625469

العدد ٥٧٩ – ذو القعدة – مارس ١٩٩٩

NO - 579 - mar - 1999

أسعار بيع العدد فئة ٤٠٠ قرش

سوريا ١٧٠ ليرة – لبنان ٥٠٠٠ ليرة –الأردن ٢ دينار– الكويت ١٫٥ دينار – السعودية ١٥ ريالاً – البحرين ١٫٥ دينار – قطر ١٥ ريالاً – دبي / أبوظبى ١٥ درهماً – سلطنة عمان ١٫٥ ريال

صورة اليهودى فى الأدب الإنجليزى

د. رمسيس عوض

●

دار الهلال

الغلاف للفنان
حلمى التونى

تمهيد

بعض مظاهر معاداة السامية
فى نهاية القرون الوسطى :
الشاعر جيوفرى تشوسر وحكاية الراهبة

تروى حكاية الراهبة – وهى احدى حكايات كانتربرى التى ألفها الشاعر الانجليزى المعروف جيوفرى تشوسر المولود عام ١٣٤٠ تقريبا والمتوفى عام ١٤٠٠ – أن جماعة من اليهود عاشت فى مدينة مسيحية وأن حاكمها درج على اقتراض المال منهم . وكانت فى طرف الشارع الذى يسكنه هؤلاء اليهود مدرسة لتعليم الأطفال المسيحيين . وكان بين تلاميذ المدرسة تلميذ صغير السن للغاية لم يتعلم بعد القراءة وإن كان قد بدأ يفك خط الحروف والكلمات اللاتينية التى تتلى بها الصلوات . وفى المدرسة سمع الطفل زملاءه الأطفال الأكبر سنا وهم يرتلون لأم المخلص مريم العذراء . ودرج هذا الطفل إلى الاستماع إليهم بعناية عندما ارتفعت عقائرهم بإنشاد التراتيل الدينية . واستطاع بسرعة أن يحفظ البيت الأول من إحدى الصلوات الدينية دون أن يدرك معناها . وتساءل الصغير عن معنى الترنيمة فأسعده أن يعلم أنها تدور حول السيدة العذراء . فصمم أن يتعلم الترنيمة كلها حتى يتمكن من إنشادها تبجيلا وتكريما للعذراء مريم . ولهذا كان الصغير لا يكف عن السير فى الشارع الذى يقطنه اليهود رافعا عقيرته بإنشاد هذه الترنيمة

فى صوت واضح دون خوف أو وجل . وهمس إبليس المتمثل فى هيئة حية فى آذان اليهود قائلا لهم إنه من العار عليهم أن يقبلوا غناء الصغير الذى أراد بترنيمته الاساءة إلى اليهود والتحقير من شأنهم . واستطاع إبليس أن يوغر صدورهم ضد الطفل فبدأوا يتآمرون عليه واستأجروا قاتلا للتخلص منه . وبالفعل ذبح هذا القاتل الطفل الصغير وألقى بجثته فى حفرة .

وطيلة الليل انتظرت أم الطفل وهى أرملة عودة ابنها من الخارج حتى شروق الشمس . فلما لم يعد توجهت إلى المدرسة لتسأل عن ابنها الغائب . وعرفت من التلاميذ زملائه أنهم رأوه لآخر مرة يسير فى شارع اليهود . وطرقت الأم المسكينة جميع أبواب اليهود تسأل عن أخبار ابنها . ولكنهم جميعا أكدوا لها أنهم لا يعرفون عنه شيئا . وأنار يسوع المسيح الطريق أمامها ووجه خطاها إلى الحارة التى ذبح فيها طفلها والحفرة التى ألقى القاتل فيها بجثته .

وعندما اقتربت الأم من المكان سمعت صوت ابنها ينشد ترنيمة «أم المخلص» واجتمع الشعب من حولها وهم فى دهشة من أمرهم واستدعوا قسيس المدينة . وما أن وقعت أنظاره على الطفل الذى بعث حيا حتى أمر بتكبيل وحبس جميع اليهود وجرهم على الأرض بالخيول قبل القيام بشنقهم .

وأخذ المسيحيون الطفل إلى دير قريب . وأثناء القداس أنشد هذا الصبى ترنيمة «يا أم المخلص» بصوت مرتفع واضح . وقال الطفل

لرئيس الدير إن المسيح ظهر وأمره بإنشاد هذه الترنيمة . وفى نفس الوقت قامت العذراء مريم بوضع حبة من القمح على لسانه . وصاح الصبى : «يجب علىَّ أن أغنى بدافع الحب لها حتى تنزعوا حبة القمح من فوق لسانى» . وقام الراهب بنزع حبة القمح فأسلم الطفل الروح بسلام . وفيما بعد بنى الشعب قبرا من الرخام تخليدا لذكرى الطفل الشهيد .

يؤكد بعض النقاد أن حكاية الراهبة تنم عن كراهية جلية ضد اليهود . فالحكاية كما رأينا تدور حول قيام اليهود الاشرار بقتل طفل مسيحى برئ . وبسبب جريمتهم النكراء ينزل بهم عقاب قاس وشديد تتلذذ الحكاية بوصف تفاصيله . ونحن نرى أن تشوسر يصف هؤلاء اليهود بالملاعين فى أكثر من موضع . تقول الحكاية إن إبليس نفسه يقطن فى قلوب اليهود . وفى معرض روايتها لأحداث ذبح الطفل المسيحى تحدثنا عن عادة اليهود الملاعين فى قتل الأطفال المسيحيين الأبرياء . فقد سبق لهم أن ذبحوا الطفل المسيحى هيو أف لنكولن فى القرون الوسطى من أجل استخدام دمه فى إقامة صلواتهم وطقوسهم الدينية . ويذهب بعض النقاد إلى أن هذه الحكاية تتضمن قدرا كبيرا ومزعجا من معاداة السامية ، وأن هذا لا يتماشى مع ما عرف عن الشاعر تشوسر من انسانية ورقة مشاعر. ويضيف هؤلاء النقاد أن هذا التناقض دعا الكثيرين إلى التماس الأعذار لتشوسر بقولهم إن معاداة السامية كانت سمة من سمات أوربا فى القرون الوسطى. ومن ثم فإن

الراهبة تعبر عن المشاعر السائدة فى عصرها ، وانها لا تكره اليهود بقدر ما تشارك أبناء عصرها تحيزاتهم ، فضلا عن أنهم يبررون وجود معاداة السامية فى الحكاية واصفين إياها بأنها شئ طبيعى ، فأية حكاية تدور حول معجزة العذراء مريم لابد من أن تنطوى بالضرورة على المشاعر المعادية لليهود ، وهؤلاء المعتذرون عن وجود مثل هذه العداوة لليهود فى الحكاية يرون أنه من الخطأ أن نتهم الراهبة بالذات بكراهية اليهود ، لأن بعض حكايات كانتربرى الأخرى التى ألفها الشاعر تشوسر تتضمن قدرا من معاداة اليهود مثل الحكاية التى تحمل عنوان «حكاية القسيس» ويذكر هؤلاء المعتذرون أن الراهبة لم تكن لها أية معرفة شخصية باليهود نظرا لأنه قد تم طردهم من انجلترا عام ١٢٩٠ . ومن ثم فإن تعبيرها عن كراهية اليهود لا يعدو أن يكون نوعا من التقاليد أو المواضعات الأدبية التى تنتقل من جيل إلى آخر ، وتصوير اليهود على أنهم طغمة من الأشرار ضرورة لتطوير أحداث الحكاية واظهار معجزات السيدة العذراء .

وعلى النقيض من ذلك يتهم نقاد آخرون الراهبة بأنها شريرة ومتعصبة وقاسية الفكر والقلب . وأيضا يختلف النقاد فى تقييمهم لشخصية الراهبة فمنهم من يرى أنها شخصية واقعية تجرى الدماء فى عروقها ، ومنهم من يرى أنها مجرد رمز لتجسيد مواقف معينة وقيم حقيقية . وكما سبق أن أوضحنا يذهب نفر من النقاد إلى أن الحكاية التى تروى معجزات مريم العذراء تتضمن بالضرورة قدرا هائلا من

معاداة السامية . وهو الأمر الذى يتضح من قراءة مجموعة القصص التى قام الباحث بيفرلى بويد بجمعها واصدارها بعنوان «معجزات العذراء مريم المكتوبة باللغة الانجليزية والمستعملة فى القرون الوسطى». فنحن نجد أن ثلاث حكايات دينية قصيرة مما أوردها بويد فى كتابه «معجزات العذراء المكتوبة بإنجليزية القرون الوسطى» والتى يرجع تاريخها إلى الفترة من ١٣٧٠ و١٤٠٠ يصور اليهود على أنهم قساة وأشرار يكنون العداء للمسيحيين . فإحدى هذه القصص التى تحمل العنوان التالى «الطفل الذى ذبحه اليهود» تبرز نوايا اليهود السيئة لقتل صبى مسيحى برئ . وتتضمن مجموعة بويد القصصية حكاية أخرى بعنوان «الولد اليهودى» قصة قتل شاب يهودى بسبب تحوله إلى الديانة المسيحية . أما الحكاية الثالثة التى تحمل عنوان «ضمان التاجر» فتصور اليهودى على أنه إنسان كاذب يغدر بصديقه المسيحى وينكر ما اقترضه منه من مال . ولا ترى مثل هذه القصص أى تعارض بين التقوى والورع المسيحى وتبجيل العذراء مريم من ناحية وبين التعبير بقوة عن المشاعر المعادية للسامية . ولا تقتصر هذه الصورة على الحكايات التى قام بويد بجمعها فنحن نراها أيضا فى الحكايات التى تولى روبرت ورث فرانك جمعها ونشرها .

ويعزو الدارسون عداوة الكنيسة المسيحية فى القرون الوسطى ضد اليهود منذ القرن الأول الميلادى إلى رفضهم الاعتراف بأن المسيح هو مخلص العالم . ولم ير المسيحيون الأوائل الورعون والاتقياء أى تعارض

بين ورعهم وكراهيتهم لليهود . وقد ذكرت روز مارى روثر فى كتابها «الايمان وقتل الأخوة» أن آباء الكنيسة الأوائل أمثال أوريجانوس وأوغسطين وايزادور عبروا عن زرايتهم باليهود . فضلا عن أن هذه المؤلفة ركزت في كتابها على هجوم القديس يوحنا خريسنستوم الشديد الوطأة على عيوب اليهود واتهامهم بارتكاب الموبقات والجرائم وبالصلف والشر وانتهاك القانون وقتل المسيحيين وتردد الراهبة في حكايات كانتربرى لتشوسر نفس رأى هذا القديس السنى فى اليهود فهى ترى أن ابليس يسكن فى قلوبهم تماما كما ذهب القديس يوحنا خريسنستوم إلي أن الشياطين تسكن أعماق أرواح اليهود . وأيضا لعبت الدولة الرومانية دورا فى بذر بذور الشقاق بين المسيحيين واليهود فقد استن الحاكم الرومانى قسطنطين عام ٣٣٩ قانونا يحرم زواج اليهود من المسيحيات . حتى لا يتلوثن وإلا تعرضوا لعقوبة الموت . وحتى بعد مرور ألف عام على صدور هذ القانون الرومانى استنت أسبانيا المسيحية قانونا ينص على منع اليهود من تشغيل المسيحيين والمسيحيات كخدم فى بيوتهم . ولكن القانون الأسبانى سمح لليهود باستخدام المسيحيين فى الزراعة وفلاحة الأرض وحراستها فضلا عن الاستعانة بهم فى حمايته إذا اضطرته الظروف إلى السفر إلى مناطق خطرة . فضلا عن أن القانون الأسبانى حرم على المسيحى دعوة اليهودى أو اليهودية إلى بيته أو قبول دعوتهما له للأكل والشرب . وكذلك حرم القانون على المسيحى شرب الخمر الذى يقوم اليهودى بصناعته . ولاشك أن

ممارسة اليهود للربا زادت في كراهية المجتمع المسيحى لهم . ثم جاءت الحروب الصليبية لتلهب مشاعر المسيحيين ضد اليهود وتحرضهم على الاعتداء على حياتهم وارغامهم على إشهار مسيحيتهم .

ولا تقتصر الاشارة إلى اليهود في شعر تشوسر القصصى إلى حكاية الراهبة فقط ؛ فقد حصر الدارسون اثنتى عشرة إشارة أخرى إليهم فى حكايات كانتربرى الأخرى مثل «منزل الشهرة» و«السير توياس» و«حكاية الراهب» و«حكاية البارودتر» أى الفاخر وحكاية القس وحكاية الاسترلاب . غير أن هذه الاشارات تعالج موضوع اليهود بحيدة. بل إنها تظهر أحيانا شيئا من التعاطف عليهم . فنحن نجد على سبيل المثال «حكاية السير توياس» تروى قصة الملك اتينوكوس من وجهة نظر يهودية كما أنها تخبرنا بالمصير البائس الذى لقيه أعداء اليهود الذين يصفهم توبياس بأنهم «شعب الله» بل إنها تبرز قدسية تاريخ الشعب اليهودى وعلمهم ومهارتهم وخدمتهم لمختلف الحرف ؛ الأمر الذى يكسر من حدة هجوم «حكاية الراهبة» عليهم . ولكن مثل هذه الصورة لليهودى المحببة للنفس تختفى فى بعض حكايات تشوسر الأخرى . فحكايتا «الفاخر» و«القسيس» تحملان اليهود مسئولية سفك دم المسيح . ولكن احقاقا للحق نجد أن عداوة السامية لا تمثل شيئا جوهريا فى مبنى ومعنى هاتين الحكايتين . فهى عداوة عارضة حيث إن الهدف من هاتين الحكايتين المذكورتين هو تحذير المسيحيين من أن الشتائم رذيلة ينبغى عليهم الابتعاد عنها . ولكن يجدر بنا أن نذكر أن

مثل هذه الاشارة العابرة إلى اليهود لا تمنع القسيس من وصفهم بأنهم «الشعب الملعون الذى مزق جسد المسيح» .

إن حكاية الراهبة تنطوى على بعض الدروس الأخلاقية . ولكن بعض النقاد يحتجون على الراهبة كراوية للأحداث فهم يرون أنها فى براعتها تلحق دون قصد منها ضررا بالغا باليهود .

والجدير بالذكر أن بعض النقاد يرون أن الشاعر تشوسر يتخذ فى حكايات كانتربرى موقفا يتسم بالدعابة الساخرة من براءة رواتها وسذاجتهم فلا غرو إذا وجدنا الناقدة فلورنس ريدلى تحدثنا عن تعمد الشاعر كسوة شعره بالغموض . وتقول ريدلى إن تشوسر يكاد ألا يخبرنا أبدا بما يرمى إليه قصصه الشعرى على وجه التحديد ولكنه يترك نهايات هذه القصص مفتوحة بحيث تسمح بعدد لا يحصى من التفسيرات المختلفة . وتستطرد هذه الباحثة قولها إن تشوسر يعنى فى أدبه فى المقام الأول بتتبع مشكلة الحب الإنسانى والبراءة البشرية واستجلائهما . وفى قصته الشعرية «بيت الشهرة» نرى تشوسر يثير أعوص القضايا الفلسفية فى قالب ساحر يتسم بخفة الظل . والمفارقة التى تميز شخصية الراهبة تكمن فى أن كراهيتها لليهود وابتهاجها لانتقام المسيحيين منهم لا يحول دون شعورها بأنبل العواطف . ويذهب الناقد الفريد دافيد إلى أن القول بأن الراهبة تفتقر إلى النضج والتجربة وتكتفى بالظاهر دون أن تتعمق فى باطن الأمور كما أنها تظهر العواطف السطحية والرخيصة . ويعتقد الفريد دافيد أن الراهبة لا

تستمد كراهيتها لليهود من مشاعر نفسية داخلية ولكنها تستمدها من منظور تاريخي . فهؤلاء اليهود الملاعين يمثلون في نظرها قمة الشر وينتمون إلى الوحوش الكواسر والغيلان وعالم الساحرات والشياطين التي تظهر عادة في قصص الجنيات التي تروى للأطفال . ولا شك أنه من الضروري أن نلفت أنظار القارئ إلى أن النقاد ينقسمون على أنفسهم في موقفهم من الراهبة . فمنهم من يرى أن امرأة من لحم ودم يعميها التعصب ضد اليهود ، ومنهم من يرى أن هذه المرأة ليست سوى تجسيد لمجموعة من المواقف والقيم السائدة في القرن الرابع عشر الذي عاش فيه تشوسر . ويعلق الناقد جون جاردنر على شخصية الراهبة بقوله إن براعتها لا تنطوي بالضرورة على الفضيلة بل قد تتعارض معها .

القسم الأول : اليهود فى الدراما الإنجليزية

(١) اليهود على المسرح الانجليزى منذ «تاجر البندقية» حتى اغلاق المسارح عام ١٦٤٢

إن الصـواب لا يجانبنا إذا قلنا إن كل كتـاب المسرح الانجليـزى البارزين فى العصر الاليزابيثى أشاروا فى انتاجهم الأدبى إلى اليهود فى كل المسرحيات الاليزابيثية وما بعدها ، منذ ظهور «تاجر البندقية» لشكسبير حتى وقت إغلاق المسارح على أيدى المتزمتين الدينيين البيوريتانيين عام ١٦٤٢ .

ويذكر كل كتاب المسرح تقريبا اشارات إلى الطبيب لوبيز اليهودى الذى أعدم عام ١٥٩٤ بتهمة دس السم لقتل الملكة إليزابيث . وفى نفس السنة التى أعدم فيها لوبيز مثلت مسرحية بعنوان «الجزء الأول من عهد سليموس التراجيدى» التى ألفها روبرت جرين (١٥٦٠ - ١٥٩٢) بالاشتراك مع توماس لودج (١٥٥٨ - ١٦٢٥) ابن عمدة لندن . وترسم هذه المسرحية صورة لطبيب مزعوم يهودى اسمه ابراهام وافق على تحريض سليموس له بالتآمر على حياة أبيه باجازيت . وبالفعل يدس اليهودى السم لباجازيت فى الشراب كى يتخلص منه مع عدد من علية القوم ثم يقوم اليهودى بالانتحار بشرب السم قبل أن يعطيه لضحاياه ، بسبب شعوره بأنه بلغ من العمر أرذله وأن أيامه على الأرض أصبحت معدودة . وقد ألف توماس جوف (١٥٩١ - ١٦٢٩) الواعظ الكنسى

مسرحية مماثلة تناولت نفس هذا الموضوع بعنوان «التركى الذى يغلى من الغضب» مثلها طلبة كلية كريست تشوش عام ١٦٢٧ . والغريب أن هذه المسرحية تحدثنا عن رهبان يهود متجاهلة أن نظام الرهبنة يقتصر على الدين المسيحى .

أما المؤلف المسرحى الكبير بن جونسون (١٥٧٤ - ١٦٣٧) فقد كان مغرما فى هوس بكثرة الاشارات إلى اليهود فى مسرحياته كما هو الحال فى مسرحيته «كل رجل حسب مزاجه» التى مثلت نحو عام ١٥٩٥ على مسرح خشبة الوردة . ونحن نقابل هذه الاشارات المعادية لليهود فى المنظر الثانى من الفصل الأول والمنظر الثانى من الفصل الثالث . وقد ألهم بن جونسون كاتبا مسرحيا مجهولا بتأليف - نحو عام ١٦٠٨- مسرحية بعنوان «كل امرأة حسب مزاجها» أشار فيها إلى اليهودى كتاجر روبابيكيا أو ملابس قديمة ، الأمر الذى حدا ببعض الدارسين إلى الاعتقاد بوجود تجار روبابيكيا يهود فى مناطق انجلترا آنذاك . وبفرض أن هذا صحيح فإن وجودهم لا يعدو أن يكون حالات فردية متناثرة . وألف بن جونسون مسرحية أخرى بعنوان «كل رجل فى اعتلال مزاجه» التى مثلت على خشبة مسرح الجلوب عام ١٥٩٩ حيث نسمع المهرج كارلو يقول : «لا عجب إذا وجدنا أن ذلك الجيل الصفيق والعنيد من اليهود يحرم عليهم أكله» (أى أكل لحم الخنزير) (المنظر الرابع من الفصل الخامس) .

ولعل استعداد بن جونسون لتغيير عقيدته الدينية أكثر من مرة وميله

الواضح إلى المعرفة دفعاه إلى الاهتمام بالعبرية وباليهود . ونحن نرى في مسرحية «الكيمائي الذى يحول المعادن الرخيصة إلى ذهب» (١٦١٠) شخصية أنانيناس فى المنظر الخامس من الفصل الثانى تحدثنا عن اليهود . وفي عامى ١٨٩٩ و١٩٠٢ قامت جمعية المسرح الاليزابيثى بإعادة تمثيلها : والجدير بالذكر أن عام ١٦١٤ شاهد صدور أول كتاب يدافع عن السماح بعودة اليهود إلى انجلترا . وهو كتاب بعنوان «السلام الدينى» وهو من تأليف ليونارد بوشر . فضلا عن أننا نطالع فى مسرحية بن جونسون الكوميدية «سوق بارثولوميو» التى مثلت يوم ٣١ أكتوبر ١٦١٤ على خشبة مسرح الأمل وأصابت شعبية كبيرة هجوما على طائفة البيوريتان أو المتزمتين الدينيين . والتى أطلق المؤلف على واحد من شيوخها اسم الحبر اليهودى . وبالاضافة إلى ذلك يشير المنظر الثالث من الفصل الرابع فى هذه المسرحية إلى ثلاثة من العلماء اليهود المشاهير وهم كيمتشى وابراهام بن عزرا وأونكيلوس ، وأيضا يشير بن جونسون فى مسرحيته الشهيرة «فولبونى» (١٦٠٥) إلى يهود «البندقية». ويتجلى لنا إلمام بن جونسون بالمعارف اليهودية فى مسرحيته «السيدة المغناطيسية» التى مثلت عام١٦٣٢ على مسرح البلاك فرايرز .

وهناك إشارة إلى اليهودية أشد ما تكون بذاءة فى مسرحية «المومس الشريفة» التى ألفها عام ١٦٠٤ الكاتب المسرحى الانجليزى توماس ديكر (١٥٧٠م - ١٦٣٧م) . ورغم ضآلة الإشارات إلى اليهود فى المطبوعات الانجليزية الصادرة فى أوائل العهد

التيودورى فإن كتاب المسرح الاليزابيثى كانوا على علم بأحوال اليهود . ونحن نقرأ إشارات إلى اليهود فى كتاب «اليهودى المتجول يقرأ الطالع للانجليز» (١٦٤٠) الفقرة التالية :

«يوجد عدد كبير من اليهود فى انجلترا ، يعمل القليل منهم فى البلاط والكثير منهم فى المدن وغالبيتهم العظمى فى الريف» . ونحن نعلم من فقرة اقتطفها السير سيدنى لى من مسرحية «كل امرأة حسب مزاجها» (١٦٠٩) أن اليهود القاطنين فى المدن الكبرى كانوا يتاجرون فى الملابس القديمة . ولكن هناك من الدارسين من يشك فى أن لليهود فى انجلترا وجودا فى الفترة من اعتلاء الملكة اليزابيث العرش عام ١٥٥٨ حتى اغلاق المسارح عام ١٦٤٠ فى أعقاب ثورة كرومويل واستيلاء المتدينين المسيحيين المتشددين على مقاليد الحكم . وهذا ما يؤكده كاردوزو فى كتاباته التى ذكرت أن التجار والمغامرين الانجليز كانوا على اتصال باليهود فى مناطق البحر المتوسط مثل ايطاليا وتركيا ؛ ثم بعد عام ١٦٠٠ بيهود هولندا . ولكن السواد الأعظم من الشعب الانجليزى بمن فيهم كتاب المسرح آنذاك اعتبروا اليهود أناسا يسكنون البلاد الأجنبية ويمثلون صورة مجردة يستقونها من الكتاب المقدس والتاريخ القديم والمواعظ والاشاعات . ولا يرى هؤلاء الدارسون أن اشارات الأدب الانجليزى فى تلك الفترة إلى اليهود تعنى أنهم كانوا موجودين بالفعل فى الأراضى الانجليزية .

درج المسرح الانجليزى منذ القرون الوسطى حتى العصر الاليزابيثي وما بعده على زراية اليهودى والاستهزاء به . وساعد على اتخاذ اليهودى مادة للتفكه والسخرية رغبة النظارة الانجليز فى المرح والتسلية واستجابة كتاب المسرح لهذه الرغبة . ولم تفت هؤلاء الكتاب فرصة للتفكه على اليهود ورسم صورة كاريكاتورية هازئة لهم . فهى بضاعتهم الرائجة التى لا تعرف الكساد . وهناك ما لا يقل عن تسع مسرحيات انجليزية تحذو حذو مارلو وشكسبير فى تصوير اليهودى كمرابٍ جشع يسعى إلى خداع المسيحيين وإيقاعهم فى حبائله مثل المسرحية التى ألفها عام ١٥٩٤ كل من روبرت جرين وتوماس لودج بعنوان «حكم سيليموس امبراطور الأتراك المأساوى » .

وهناك أيضا إشارات تسخر من اليهود فى أعمال جون ربستر – (١٥٨٩م –١٦٢٥م) – المسرحية ؛ وعلى رأسها مسرحيته الشهيرة «دوقة مالفى» التى مثلت على خشبة مسرح البلاك فرايرز نحو عام ١٦١٦ (المنظر الثانى من الفصل الثالث) . ونحن نشاهد فى نفس هذا المنظر إشارة مماثلة إلى المرابين اليهود الذين يعيشون فى نابولى . ومن المعروف أن مسرحية «دوقة مالفى» شاعت بين الأدباء الأسبان والايطاليين ، وأنها قدمت على خشبة المسرح الانجليزى آخر مرة فى عام ١٩١٩ كما أنها مثلت قبل ذلك فى عام ١٨٥٠ حيث اشترك الممثل فيلبس فى تمثيلها . وتتضمن مسرحية وبستر «الشيطان الأبيض» (١٦٠٧ – ١٦٠٨) اشارة غريبة إلى اليهود حيث يتظاهر فلامنيو

بالجنون ويصيح قائلا : «لكم وددت أن أكون يهوديا» فيجيبه مارسيلو : «يوجد يهود أكثر مما ينبغى» .

فلامنيو : «أنت مخدوع فليس هناك عدد كاف من اليهود ولا من القساوسة ولا من الناس المهذبين» .

مارسيلو : «كيف ؟» .

فلامنيو : «سوف أثبت لك ذلك . فلو كان هناك عدد كاف من اليهود لما تحول كثير من المسيحيين إلى ممارسة الربا» .

ويحدثنا جون وبستر فى مسرحيته «قانون الشيطان» (١٦١٨) عن مسيحى ايطالى اسمه روميليو يتخفى فى هيئة يهودى حتى يتمكن من القيام بعمل شرير . ويبدو تأثير مارلو هنا واضحا فى تصوير اليهود على نحو مقزز . ويقسم النصاب روميليو بدينه اليهودى أن يعطى ألفى دوقة لاثنين من الأطباء نظير مساعدته فى إجراء عملية . وحين يتضح أمره يصيح أنه سوف يتحول إلى المسيحية .

وفى مسرحية جون مارستون (١٥٧٥ - ١٦٣٤) التى ألفها عام ١٦٠١ بعنوان «تسلية جاك درم» نجد مرابيا يهوديا ذا أنف كبير اسمه مامون وهو عبارة عن نسخة أخرى من شخصية شيلوك «تاجر البندقية». وأيضا تتضمن مسرحية مارستون الكوميدية «الساخط» (١٦٠٤) تعريضا باليهود فى المنظر الأول من الفصل الثالث والمنظر الثانى من الفصل الخامس .

وفى عام ١٦٠٧ مثلت على مسرح الستار مسرحية محدودة القيمة

بعنوان «رحلات الإخوة الثلاثة» اشترك فى تأليفها ثلاثة كتاب مسرحيين هم جون داى وجورج ويلكنز ووليم راولى . ورغم عدم أهمية هذه المسرحية من الناحية الفنية فإن أهميتها التاريخية والوثائقية واضحة للعيان . وأحداث هذه المسرحية مستقاة من الواقع فهى مأخوذة عن وقائع حدثت بالفعل ومبنية على شخصيات حقيقية هى السير توماس والسير أنتونى والمستر روبرت شيرلى . ويذكر المؤرخ الانجليزى السير سيدنى لى أن مغامرات هؤلاء الإخوة الثلاثة كانت عجيبة ومدهشة بقدر ما كانت رومانسية . وترسم المسرحية صورة ليهودى سليط اللسان أقرب ما يكون إلى شخصية شيلوك . وهى تروى لنا أن السير انتونى اشترى من يهودى اسمه ظريف ماسة غالية الثمن ولكنه عجز عن سداد ثمنها فطالبه ظريف بحقه بنفس طريقة شيلوك فى مطالبة أنتونيو . يقول ظريف إنه لن يتهاون قط مع مدينه المسيحى وخاصة لأنه باع فى سوق النخاسة أخاه وزوجته وأولاده . ويضيف على طريقة شيلوك أنه يسعده أن يرى وليمة زاخرة بكل ما لذ وطاب تقام من لحم المسيحيين وأجسامهم . وتوسل السير أنتونى إلى دائنه اليهودى كى يرحمه مبررا فعلته بأنها تتماشى مع نص القانون . وهنا صاح الدائن بأنه هو أيضا لن يأخذ من مدينه أكثر من حقه القانونى . وتخبرنا المسرحية عن شخصية على بك تفوق اليهودى فى الشر . ويستولى على بك الشرير على مبلغ من المال كان السير أنتونى يتوقعه . وفى أثناء حضور السير أنتونى وليمة تلقى طغمة من الأشرار القبض عليه وتقوم بتعذيبه فيبتهج

ظريف بذلك قائلا : إن العذاب الذى يلحق بيهودى نعمة وبركة لليهودى . ويقول الباحث أ . هـ . بولين فى المقدمة التى صدر بها كتابات داى المنشورة إن المسرحيين الثلاثة تعمدوا تشويه الحقيقة . ويقول الكاتب نيكسون (الذى ألف نبذة عن مغامرات الإخوة الثلاثة التى بنيت عليها المسرحية) أن تاجرا يهوديا طيب القلب خف لنجدة السير توماس شيرلى عندما ألقى به فى السجن فى القسطنطينية . ويضيف الباحث بولين أن الجمهور الانجليزى لم يكن آنذاك على استعداد لأن يقبل تصوير اليهودى على أنه إنسان يتحلى بالخير والإحسان .

وقد ألف روبرت دابورن المتوفى عام ١٦٢٨ مسرحية ذات مستوى أدبى وفنى هابط بعنوان «المسيحى يتحول إلى تركى» أو «الحياة والموت المأساوى» لاثنين من مشاهير القراصنة وارد ودانيسكر ، قدمت على خشبة المسرح نحو عام ١٦١٢ . ولا يتمتع المؤلف بأية موهبة مسرحية ذات بال ، لا يذكره تاريخ الأدب إلا بسبب اشتراكه مع مسرحى آخر يفوقه فى الشهرة والموهبة هو ماسنجر . وأغلب الظن أن رئيس القساوسة روبرت دابورن استقى مسرحيته فى قصة القرصانين وارد ودانيسكر المنشورة عام ١٦٠٩ . وتحتوى هذه المسرحية الفجة على ثلاث شخصيات هى شخصية قاتل اسمه بنواش وصاحب بيت دعارة اسمه روبن وشخص اسمه رابشاك .

وقد ألف مارستون عام ١٦١٣ مسرحية بعنوان «الكونتيسة النهمة» ولكنه لم يتمكن من إكمالها . ومن المعتقد أن الممثل والشاعر وليم

بركستيد هو الذى قام باستكمالها . ولكن موضوع المسرحية يتصف بالحطة المقززة . وتحتوى المسرحية على شخصية يهودى بشع يدعى فيرالدوس . ويتضمن الفصل الثالث منها اعترافا بارتكاب جريمة قتل اشترك فى اقترافها هذا اليهودى ومسيحى لا يستمسك بدينه . ويعتقد أن «الكونتيسة النهمة» هى جوان ملكة أورشليم ونابولى وصقليه .

وبعد عودة الملكية المخلوعة إلى بريطانيا شاعت مسرحية «السيدة تعبر عن احتقارها» (١٦١٦) اشترك فى تأليفها اثنان من أبرز الاليزابثيين المسرحيين هما فرانسيس بومنت (١٥٨٥ - ١٦١٦) وجون فلتشر (١٥٧٩ - ١٦٢٥) . وبلغ ذيوعها وانتشارها مبلغا جل كاتب اليوميات بيبس يشير إليها أربع مرات فى يومياته . ومن الواضح أنه شاهد هذه المسرحية عدة مرات . ونعرف من اليوميات التى سطرها بيبس أنه حضر تمثيلها لأول مرة فى ١٢ فبراير ١٦٦١ . ولا تفرق هذه المسرحية بين «اليهودى» و«المرابى» فالكلمتان مترادفتان من وجهة نظرها . وأيضا يطالع القارىء إشارات إلى اليهود فى المنظر الثانى من الفصل الثانى والمنظر الأول من الفصل الثالث . ونحن نرى فى المنظر الرابع من الفصل الخامس إشارة إلى تحول اليهودى موركرافت إلى المسيحية . والجدير بالذكر أن هذه المسرحية عرضت يوم ١٧ يناير ١٧٨٣ على مسرح الكونت جاردن تحت عنوان آخر هو «السيدة صاحبة النزوات» وتظهر شخصية اليهودى لوبيز كمراب كريه فى مسرحية أخرى ألفها فلتشر بعنوان «رضاء امرأة» حيث نراه جالسا إلى منضدة

وقد تراكمت النقود والمجوهرات عليها ، الأمر الذى يذكرنا بشخصية اليهودى باراباس فى مسرحية «يهودى مالطا» . وأيضا اشترك فلتشر مع فيليب ماسنجر (١٥٨٣ - ١٦٤٠) فى تأليف مسرحية تراجيكوميدية عام ١٦١٩ بعنوان «الزواج المزدوج» . وتشير هذه المسرحية فى المنظر الأول من الفصل الأول إلى شراء يهودى إحدى الاشفعيات نظير ثلاثة عشر ألف دوقية . وقد أعيد إحياء هذه المسرحية فقدمت عام ١٨٤٨ على خشبة مسرح مارى ليبون . ونحن نطالع فى المنظر الثانى من الفصل الثالث إشارة إلى اشتغال اليهود بصنع الأقنعة وبيعها . ونحن نجد نفس هذه الإشارة إلى اليهودى كصانع أقنعة فى شخصية ابراهامز اليهودى . وذلك فى المنظر الأول . فى الفصل الثالث من المسرحية التى ألفها مارستون عام ١٦٠١ بعنوان «انتونيو وميليدا» .

وهناك أيضا مسرحية «عادة البلاد» التى ترجع إلى عام ١٦١٩ وتنسب إلى فلتشر وماسنجر أحيانا وإلى فلتشر وحده أحيانا أخرى . وترسم هذه المسرحية صورة قواد يهودى كريه ، وتتسم بالإباحية والبذاءة المقززة . ويظهر اليهودى المقيت زابولون فى المنظر الثالث فى الفصل الثانى حيث يطلب منه ارنولدو وأخوه روتيليو أن يمد إليهما يد المساعدة . والغريب أنهما يسبان هذا اليهودى ويهينان شعب اسرائيل كله قبل أن يطلبا المساعدة منه . ويتجاهل اليهودى اللئيم زابولون إهانتهما له ويعرض عليهما المساعدة . فيصيح راتيليو قائلا : «إن اليهودى الذى خف لمساعدتهما ملاك رحيم» : وقد يبدو لنا أن هذا

اليهودى يتسم بالأريحية والكرم . ولكن الحقيقة غير ذلك تماما . فالقواد اليهودى يريد أن يستميل إليه عشيقة أرنولدو وهى امرأة اسمها هيبوليتا تعشق أرنولدو بنزوة وجنون . ويقول الشاعر الكلاسيكى المعروف جون درايدن فى التصدير الذى قدم فيه «حكايات على ألسنة الحيوان» إن هذه المسرحية مأخوذة أساسا من قصة ألفها الروائى الأسبانى المعروف سيرفانتيس بعنوان «برسيليس وسيجسموندا» وأن البذاءات التى تحتويها تفوق البذاءات الموجودة فى جميع المسرحيات . ويضيف درايدن أن هذه المسرحية كثيرا ما مثلت على خشبة المسرح . وبعد أن شاهدها بيبس فى ٢ يناير ١٦٦٧ كتب فى يومياته يقول إنه ذهب إلى مسرح الملك حيث شاهد مسرحية «عادة البلاد» التى قدمت لثانى مرة على خشبة المسرح . وأعلن بيبس أنها أسوأ مسرحية قيض له أن يراها من حيث الحبكة واللغة وليس فيها أى شىء جيد سوى الأغنية التى شدت بها الممثلة والمغنية نيب . واستغل المتزمتون الدينيون البيوريتانيون شدة بذاءة هذه المسرحية فى شن هجوم ضار على المسارح انتهى بإغلاقها . وعلى أية حال قام كولى كيبر باستخدام جزء من هذه المسرحية بالإضافة إلى جزء آخر بعنوان «الأخ الأكبر» وضعه فلتشر فى مسرحية مؤلفة بعنوان «الحب يصنع الرجل» أخرجها مسرح دروری لين فى عام ١٧٠١ . والجدير بالذكر أن كولى كيبر (الذى اشتهر بتشويه المسرحيات الشكسبيرية) قام باستبعاد أكثر أجزاء «عادة البلاد» بذاءة كما أنه حذف شخصية اليهودى زابولون .

وننتقل إلى مسرحية ألفها توماس ميدلتون (١٥٧٠ - ١٦٢٧) مع وليم راولى تدور حول كتابات أحبار اليهود بعنوان «ضياع العالم فى التنيس» (١٦٢٠) . وتدل هذه المسرحية على بعض المعرفة بمحتويات التلمود كما تدل على أن أحبار اليهود الذين يذكرهم التلمود كانوا صناعا وحرفيين فمنهم الترزى والنجار والخباز والمهندس والحداد وصياد السمك الخ . وعبر جميعهم عن فخرهم واعتزازهم بمهمتهم . وتثنى كتابات أحبار اليهود عاطر الثناء على العمل وتعتبره شرفا وكرامة . وفى عام ١٦٢٤ ألف ميدلتون مسرحية أخرى بعنوان «لعبة الشطرنج» تشير إلى الطبيب اليهودى لوبيز الذى أعدم بتهمة العمل على قتل الملكة اليزابيث فى المنظر الثانى من الفصل الرابع وهو الأمر الذى أثار غضب السفير الأسبانى ودفعه إلى التدخل من أجل حظر تمثيل المسرحية . أما أخو راولى واسمه صامويل (المتوفى عام ١٦٣٣) فقد اتجه إلى تأليف المسرحيات ذات الطابع الدينى . ويقول هنسلو عنه فى يومياته إنه اشترك مع آخرين فى تأليف مقطوعات مسرحية مستمدة من الكتاب مثل «يهوذا» التى ألفها بالاشتراك مع هوتون وبورن ومثل «شمشون» التى ألفها بالاشتراك مع ادوارد جوبى ومسرحية «يوشع» التى مثلت يوم ٢٧ سبتمبر عام ١٦٠٢ .

وفى عام ١٦٣٢ قام توماس هايوود (١٥٨٢ - ١٦٤٠) بتأليف مسرحية تاريخية ناجحة بعنوان «صبيان لندن الأربعة» تدور حول فتح أورشليم وغزوات جود فراى بولونى عام ١٠٩٩ . غير أن الكاتبين

المسرحيين بومنت وفلتشر استهزآ بهذه المسرحية عن طريق تأليف عمل درامى ممتع بعنوان «فارس يد الهون المحترقة» (١٦٣٥) .

وألف هايوود مسرحية بعنوان «تحدى من أجل الجمال» مثلت عام ١٦٣٦ على مسرح البلاك فرايرز ومسرح الجلوب حيث نشاهد إحدى شخصيات هذه المسرحية تقول فى المنظر الثانى من الفصل الثانى : «إن يهودكم الانجليز سوف يشترون ويبيعون آباءهم ويستذلون زوجاتهم ويجنون المال من وراء أطفالهم» . وقد استغل بعض الكتاب الألمان هذه العبارة للتدليل على انحطاط الشخصية اليهودية . وفى نفس هذا العام ألف ديكر مسرحية بعنوان «أعجوبة ملكة» تحدث فيها عن جندى يشير إلى هذا اليهودى المتحول إلى الدين المسيحى بقوله إنه سوف «يأكل زوجتى وأطفالى الثلاثة» (المنظر الأول من الفصل الرابع) .

ويحدثنا ماسنجر عن القناع المسمم الذى يصنعه اليهود فى مسرحية «دوق ميلان» (١٦٢٣) الذى يستخدمه فرانسيسكو فى المنظر الأخير فى تسميم سفورزا . وهى حادثة حقيقية أوردها جوسيفوس فى كتاباته . فضلا عن أن المؤرخ الإيطالى جوتشياردين ذكرها فى مؤلفاته . وقد كتب كمبرلاند نسخة مختلفة عن هذه المسرحية مثلت فى ١٩ نوفمبر ١٧٧٩ على مسرح كوفنت جاردن ثم أحياها الممثل ادموند كين بعد إجراء بعض التغييرات فيها وقدمها على مسرح دروری لين يوم ٩ مارس ١٨١٦ .

ويستخدم ماسنجر إشارات أخرى مسيئة لليهود فى مسرحيتى «سيدة المدينة» و«عذراء الشرف» اللتين يرجع تاريخهما إلى عام ١٦٣٢. ويتضمن المنظر الثالث من الفصل الرابع شتيمة في اليهودى لوقا الحريص على اكتناز المال كما نجد فى الفصل الثانى من المسرحية الثانية جونزاجا يصيح فى وجه برتولدو : «إننى أكثر من مندهش ، نعم إنى مذهول فى ردتك (إلى المسيحية) أكثر من ذهولى من رؤية يهودى فاجر أو تركى ملحد أو أحد التتار يتعمد بالماء والروح القدس وفقا لديانتنا المقدسة .. وبوجه عام تتسم مسرحيات ماسنجر بالانحلال والفساد والبذاءة لدرجة دفعت بعض المحررين إلى حذف عدد من الأبيات البذيئة من مسرحيته «عذراء الشرف» . ويذكر أن الممثل كمبل قدم نسخة معدلة من هذه المسرحية عام ١٧٨٥ على مسرح الكوفنت جاردن . وتضافرت جهود ثلاثة من كتاب المسرح (هم جونسون وفلتشر وميدلتون) فى صياغة بعض الأبيات المسيئة لليهود فى مسرحية «الأرملة» التى مثلت على خشبة مسرح البلاك فرايرز عام ١٦٢٥ ، .

أما الكاتب المسرحى القليل الأهمية هنرى جلابثورن فقد ألف مسرحية بعنوان «الهولندى» مثلت على مسرح الكوكبيت عام ١٦٣٥ يعبر فيها عن زرايته بالهولنديين عن طريق تشبيههم باليهود . يقول سكونس الذى تجنس بالجنسية الهولندية فى الفصل الأول من المسرحية عن إحدى الشخصيات الهولندية : «إنه يا سيدى لم يكن يهوديا ، ومع ذلك فإنه يقبل رهن الأشياء لديه وما ينطوى على ذلك من خسارة

للراهن» . وأيضا يقول سكونس فى الفصل الثانى عن طبيب من ويلز بانجلترا إنه يكره هذا الطبيب الذى يضم الهولنديين ويدمغهم بأنهم يهود .

وانتشر الاعتقاد بين الجهلة من اليهود أن بعض الجعارين والتعاويذ العبرية المستقاة من سفر المزامير قادرة على شفاء الجروح الناجمة عن استخدام السلاح . ويروى لنا العالم الموسوعى جيتست فى هذا الصدد قصة يهودى سعى إلى إقناع دوق ساكسونى بقدرة كلمات المزامير على شفاء الجروح . فاستل الدوق سيفه وطعن اليهودى به وطلب منه أن يقوم بشفاء نفسه . غير أنه أخفق وعجزت المزامير عن شفائه . ونحن نطالع قصة شبيهة بذلك أوردها المصلح البروتستانتى المعروف مارتن لوثر فى معرض سخريته من اليهود وزرايته بهم . يقول لوثر إن يهوديا حاول إقناع دوق البرت الساكسونى إن زرارا عليه بعض الكتابات العجيبة والغامضة قادر على وقاية صاحبه من طعنات السيوف والخناجر بل ومن طلقات الرصاص نفسها . فقام هذا الدوق بإجراء التجربة على اليهودى وعلق الزرار حول رقبته ثم طعنه بالسيف.

وكان للمؤلف المسرحى المعروف بن جونسون فى وقت من الأوقات خادم يدعى ريتشارد بروم (المتوفى نحو عام ١٦٥٢) . واستطاع هذا الخادم أن يكتب مسرحية اندثرت مع الزمن بعنوان : «الجنتلمان اليهودى» . غير أن هذا الخادم كان يفتقر إلى الثقافة الأدبية والموهبة الشعرية .

ويعتبر جون فورد (١٥٨٦ - ١٦٤٠) واحدا من أكثر كتاب المسرح الانجليزى سفاهة . وتتضح سفاهته فى إشارته دون أدنى موجب أو مبرر إلى اليهود فى المسرحية التى ألفها بعنوان «الخيالات الطاهرة والنبيلة» والتى مثلت على مسرح العنقاء ثم رأت طريقها إلى النشر عام ١٦٣٨ . وفى مسرحية أخرى ألفها فورد عام ١٦٣٠ بعنوان «بيركن وأربيك» نراه فى المنظر الثالث من الفصل الخامس يضع على لسان شخصية سيمنل قوله إن المدعى بأحقيته فى العرش الانجليزى ينحدر من أصل يهودى .

ويستقى جيمس شيرلى (١٥٩٦ - ١٦٦٦) - آخر كتاب المسرح الاليزابيثيين والمعروف بأسلوبه الرشيق وتعدد اهتماماته وافتقاره إلى الأصالة - آراءه عن اليهود من المؤلفين الآخرين . ففى مسرحيته «جنتلمان البندقية» التى مثلت فى بلاط سالزبرى عام ١٦٣٩ نرى الوغد ماليبيرو يستن قانونا «يحرم على اليهودى أن يتحول إلى الدين المسيحى وإلا تعرضت ممتلكاته للمصادرة . إن هؤلاء العبيد (أى اليهود) أثرياء والسماح بتحولهم إلى الدين المسيحى يفسد ذممهم ويساعدهم على إخفاء أموالهم . إن سماح الدولة لليهود بالعيش فى كنفها أقل فى شره من شر المرابين المسيحيين» (المنظر الأول الفصل الثالث) .

وهناك أيضا إشارات أخرى إلى اليهود فى المنظر الرابع من الفصل الثالث . ولا شك أن اسم مدينة البندقية يتكرر كثيرا فى المسرحيات فى معرض الإشارة إلى اليهود . ولا غرابة فى ذلك فقد

تركت مسرحية شكسبير «تاجر البندقية» أثرها العميق فى كتابات المؤلفين المسرحيين . والجدير بالذكر أن البندقية هى التى ابتدعت فكرة إقامة الجيتو اليهودى عام ١٥١٦ حيث إنها أقامت فى أقذر أحيائها سورا لعزل اليهود عن بقية الأحياء الأخرى . ويذكر أن نهاية شيرلى كانت مأساوية فقد حاول الهرب مع زوجته الثانية من الحريق الهائل الذى دمر لندن ، ولكنهما هلكا وهما هائمان على وجهيهما .

وهناك أيضا مسرحية أخرى يرجع تاريخها إلى عام ١٦٣٩ بعنوان «خطوبة المدينة» وهى مسرحية واضحة البذاءة رغم أن مؤلفها جاسبر ماين (١٦٠٤ - ١٦٧٢) كان قسيسا يشغل وظيفة رئيس شمامسة شيتشستر . وتلقى هذه المسرحية شيئا من الضوء على تصرفات أهل المدن أيام الملك تشارلس الأول . وتدل إشارة هذه المسرحية إلى اليهود إلى تأثر مؤلفها بمسرحية «السيدة المغناطيسية» من تأليف جونسون . وقد حضر الملك تشارلس الأول وزوجته تمثيل مسرحية «خطوبة المدينة» فى هوايتهول . فضلا عن أن بيبس رآها تمثل على مسرح الملك فى ٢٨ سبتمبر ١٦٦٨ ، غير أنه وصفها بأنها مسرحية سخيفة . وفيما بعد أجريت التعديلات على هذه المسرحية ، وسميت باسم جديد هو «المتآمرون» وقدمت على مسرح درورى لين عام ١٧٥٥ وعلى مسرح كوفنت جاردن عام ١٨٢٨ .

وبالإضافة إلى هذا ظهرت مسرحيتان تدوران حول الملك هيرودوس الملك الذى قطع رأس يوحنا المعمدان . والمسرحية الأولى وهى من تأليف

الليدى إليزابيث كارو طبعت عام ١٦١٣ . وتحمل هذه المسرحية التى يرجح أنها لم تر طريقها إلى خشبة المسرح عنوان «مريم ملكة اليهود الجميلة» . أما المسرحية الثانية وهى بعنوان «هيرودس وأنتباتر مع موت مريم الجميلة» فهى من تأليف كاتبين مسرحيين هما جيرفاس ماركام ووليم سامسون . وقدمت هذه المسرحية على خشبة «الرد بول» كما أنها طبعت عام ١٦٢٢ . وكذلك كتب المؤلف المسرحى توماس ليج مسرحية بعنوان «تدمير أورشليم» مثلت يوم ٢٢ مارس عام ١٥٩١ . ويعتقد أن السـارق الأدبى روبرت بارون المولود عـام ١٦٣٠ سطا على هذه المسرحية ونسبها إلى نفسه . وهناك مسرحية ضائعة من تأليف هـ . تشيتل بعنوان «حيفثا» مثلت عام ١٦٠٢ . وقام الكاتب المسرحى وليم هيمنج (المولود عام ١٦٠٢) بتأليف مسرحية لم تقدم على خشبة المسرح ولكنها نشرت عام ١٦٦٢ بعد وفاة مؤلفها بعنوان «مأساة اليهود أو الإطاحة الميتة والنهائية بهم» . ومؤلف المسرحية ابن ممثل وواحد من اثنين كانا أول من اضطلعا باصدار طبعة الفوليو . من أعمال شكسبير المسرحية .

وفى غضون الخمسين عاما التى انقضت منذ أن ألف شكسبير «تاجر البندقية» حتى إغلاق المسارح الانجليزية عام ١٦٤٢ ، شاهدت الحركة المسرحية فى انجلترا تدهورا كبيرا وتميزت مسرحيات ذاك الزمان بكثرة الاشارات إلى اليهود بشكل لافت للنظر ، الأمر الذى يبدو غريبا إذا تذكرنا ضآلة عددهم فى انجلترا آنذاك . ولعله أصبح تقليدا

مسرحيا أساسيا أن يشير أى كاتب مسرحى انجليزى حينذاك إلى اليهود إذا أراد تثبيت أقدامه كمؤلف مسرحى . ومن المؤسف أن عددا كبيرا من مسرحيات هذه الفترة ضاع واندثر كما أن البعض منها تعرض فيما يبدو للتدمير المتعمد . فمن المعروف أن جامع المسرحيات القديمة والمنقب عنها واربيرتون (١٦٨٢ - ١٧٥٩) تمكن من جمع ما لا يقل عن خمس وخمسين مسرحية تنتمى لتلك الفترة . غير أن خادمته الطاهية بيتسى بيكر لم تتورع عن استعمال أوراقها فى إعداد الفطائر الأمر الذى يثير الشكوك حول الدافع إلى تصرفاتها . ومن المسرحيات التى انتهت بالتدمير مسرحية من تأليف د . جرين بعنوان «تاريخ أيوب» والثانية من تأليف د . رادكليف بعنوان «مأساة أيوب» .

ويتسم بعض كتاب المسرح فى تلك الفترة أمثال وبستر وفورد بالافتقار إلى الدعابة فى حين اتسم بعضهم الآخر بالإفراط فى الهزل الخشن . ونلاحظ أن كتاب المسرح انصرفوا عن تناول اليهود فى أعمالهم المسرحية لمدة ثلاثة عشر عاما وهى الفترة الواقعة بين إغلاق المسارح فى عام ١٦٤٢ والسماح بعودة اليهود إلى انجلترا أيام حكم كرومويل . ولا غرو فقد انشغلت أذهان الناس بالجدال المحتدم حول شرعية عودتهم .

(٢) اليهود فى المسرح الانجليزى منذ عودة الملكية عام ١٦٦٠ حتى القرن الثامن عشر

بعد سماح كرومويل برجوع اليهود إلى انجلترا عام ١٦٥٥ عادت المسارح إلى فتح أبوابها مع عودة الملك تشارلس الثانى من منفاه . ووفر هذا الملك الحماية لليهود المقيمين فى الأراضى الانجليزية . الأمر الذى تزامن مع انصراف كُتَّاب المسرح عن معالجة اليهود فى أعمالهم المسرحية . ويلاحظ أن المؤلفين المسرحيين الانجليز فى تلك الفترة تجاهلوا تناول اليهود فيما يكتبون . ولكن هذا لا يعنى أن اليهود حينذاك لم يتعرضوا لأية مضايقات من أى نوع . فقد ظلوا غرباء فى نظر القانون والكنيسة والشعب . ويبدو أن كُتَّاب المسرح فى تلك الفترة وجدوا مادة للتفكه مثل الخيانة الزوجية ومؤامرات العشاق والحرية المذهلة في استخدام لغة الاباحية والفحش بدلا من التفكه على حساب اليهود . ومما يدعو إلى الاندهاش الحقيقى أن المرأة التى كانت ممنوعة من الظهور على خشبة المسرح فى العصر الاليزابيثى وما تلاه (فقد كانت أدوار النساء تسند إلى الصبية والغلمان) أصبحت الآن تعتلى هذه الخشبة وتتفوه بألفاظ الفحش والبذاءة . ولا يستطيع واحد من الدارسين أن يقطع بالأسباب التى دعت كُتَّاب المسرح الانجليزى بعد عودة الملكية إلى البلاد إلى الإعراض عن الزراية باليهود والسخرية منهم . وطبقا لما يقول المؤرخ المهتم بشئون اليهود لوسيان وولف لم تزد

الجالية اليهودية فى لندن عام ١٦٥٦ على سبعة وعشرين رب عائلة وارتفع عددها ببطء حتى بلغت بمجيء عام ١٦٦٠ نحو مائة وخمسين شخصا ، وعلى الرغم من ضآلة الاشارات إلى اليهود آنذاك فقد ألف جون ويلسون (١٦٦٢ - ١٦٩٦) مسرحية بعنوان «الفشاشون» (١٦٦٢) تتضمن في المنظر الثانى من الفصل الأول والمنظر الأول من الفصل الخامس اشارات إلى اليهود . ويلقي هذا المؤلف المسرحى شيئاً من الضوء على يهود تلك الفترة فى المسرحية التى ألفها عام ١٦٩١ بعنوان «بيلفيجور أو زواج الشيطان» .

ويحدثنا أمير الشعراء جون درايدن (١٦٣١ - ١٧٠٠) عن يهودى ارتد إلى المسيحية اسمه سانكو فى مسرحية «انتصار الحب» مثلت في المسرح الملكي عام ١٦٩٤ . ورغم أن شخصية سانكو غير ضرورية بالمرة لأحداث المسرحية فقد استقدمه درايدن من أجل إثارة الضحك فى حبكة فرعية بذيئة . ويتضمن المنظر الأول من الفصل الأول والمنظر الثانى من الفصل الثالث والمنظر الأول من الفصل الخامس إشارات إلى تحول هذا اليهودى إلى الدين المسيحي واستعداده للردة إلى دين آبائه وأجداده . و «انتصار الحب» هى آخر مسرحية سطرها درايدن ولكنها مسرحية فاشلة . وأيضا يشير جون درايدن إلى اليهود فى مسرحية شعرية ألفها على عجل فى غضون سبعة أسابيع بعنوان «الحب المستبد» مثلت عام ١٦٧٩ على خشبة المسرح الملكى .

وبالإضافة إلى ذلك تنسب مسرحية أخرى بعنوان «السوق» إلى جون درايدن دون أن تكون هناك أسباب وجيهة لهذا الافتراض . وقد مثلت هذه المسرحية في المسرح الملكى عام ١٦٧٤ .

والجدير بالذكر أن جون كراون (١٦٤٠ – ١٧٠٥) الذى ألف عام ١٦٧٧ مسرحية «تدمير آورشليم» فى جزءين قدم مسرحية أخرى بعنوان «كاليجيولا» على مسرح دروری لین عام ١٦٩٨ . وتتضمن مسرحية «كاليجيولا» شخصية فيلسوف يهودى تقى وورع من الاسكندرية يدعى فيلو . ونحن نرى فيلو فى الفصل الخامس يدافع أمام الامبراطور الرومانى كاليجيولا عن اليهود الذين أهدر أهل الاسكندرية حقوقهم وسفكوا دماء هم . ولكن هذا الامبراطور الملتاث يتوعد اليهود بالويل والثبور وعظائم الأمور وبأنه سوف يقتل بالسيف كل شعب اسرائيل . ولا يحول دون تنفيذ تهديده سوى اغتياله فيقوم الفيلسوف فيلو بتزويج ابنته لشاب رومانى يدعى ليبيدوس .

وتتضمن مسرحية ليم كونجريف (١٦٧٠ – ١٧٢٩) «أبو وجهين» أو «المرائى» التى مثلت فى مسرح دروری عام ١٦٩٤ كلمة يهودى كنوع من الشتيمة أو السب . فالليدى تصب جام غضبها على زوجها فى الفصل الرابع حيث تقنعه بأنه تركى ومسلم ويهودى . وأيضا تشمل مسرحيته الأخرى «طريق العالم» التى مثلت عام ١٦٩٩ على مسرح لينكولى العبارة التالية : «التناقضات تتوالد مثلما يتوالد اليهود» .

وألف السيرجون فانبرا (١٦٧٢ - ١٧٢٦) مسرحية بعنوان «المؤامرة» مثلت على مسرح الهاى ماركيت يوم ٣ اكتوبر ١٧٠٥ حيث نرى كلمة يهودى تستخدم كتعبير عن منتهى الاحتقار كما ورد على لسان ديك وهو يلوم براس فى المنظر الثانى من الفصل الثالث . أما المؤلف المسرحى جورج فاركوهار (١٦٧٨ - ١٧٠٧) فيجعل امرأة فى المنظر الأول من الفصل الأول فى مسرحية «السير هارى وايلدير» تحتج مستنكرة : «أنا أفشى اسرار زوجة إلى زوجها ؟! بالتأكيد ياسيدى أنت لا تظن أنى أتصرف كاليهود» ، وتعتبر هذه المسرحية استكمالا لمسرحية «الزوجان الوفيان» التى مثلت على مسرح دروری لين عام ١٧٠١ .

وفى بداية القرن الثامن عشر قام اللورد لاندزداون برسم صورة كاريكاتورية لشخصية شيلوك فى مسرحية ألفها على غرار «تاجر البندقية» وفى نهاية هذا القرن الف الكاتب المسرحى كمبرلاند شخصية اليهودى شيفا الطاهر الذيل والطاهر القلب التى عجزت عن أن تمحو من الذاكرة الصورة السيئة لشيلوك . وفى بداية هذا القرن ونهايته انصرف كثير من اليهود إلى التأليف المسرحى أحيانا والتمثيل المسرحى أحيانا أخرى . ومن بينهم الممثل روبرت بادلى (١٧٣٢ - ١٧٩٤) الذى عمل طباخاً وخادما خصوصيا قبل احترافه التمثيل . وقد نجح هذا المؤلف فى أدوار الشخصيات اليهودية وساعده على ذلك اتقانه التحدث بلغة انجليزية مكسورة . واعتلى روبرت بادلى خشبة مسرح

دروری فی أعوام ١٧٨٤ و ١٧٨٧ و ١٧٩٠ کی یظهر موهبته الفذة فی تمثیل أدوار الیهود فی ثلاث مناسبات قدم فیها مسرحیة شیریدان الکومیدیة المعروفة «مدرسة الفضائح» ومسرحیتی «الغزل الیهودی» و «ذقن موردخای» وأیضا مثل بادلی یوم ١٢ مایو ١٧٧٥ مسرحیة ، «التعارض أو الیهودی والمومس المتزوجة» التی ألفها ممثل الأدوار الثانویة ف . ج . والدرون (١٧٤٤ - ١٨١٨) . ویعتقد أن شخصیة بادلی هی التی أوحت لشیریدان برسم شخصیة موسی فی مسرحیة «مدرسة الفضائح» . وهناك الممثل رالف ویتزر (١٧٤٩ - ١٨٢٥) الذی یعتقد أنه ینحدر من أصل یهودی . واشتهر هذا الرجل بتمثیل الأدوار الیهودیة .

ولا یعرف الدارسون علی وجه الیقین اسم أول ممثل یهودی أو یهودیة اعتلی خشبة المسرح الانجلیزی . ولکن من الثابت أن العقود الثلاثة الأخیرة من القرن الثامن عشر شاهدت ظهور ممثل کومیدی یهودی بارز هو جاکوب دی کاسترو (١٧٥٨ - ١٨١٥) وتعتبر اللوحات المحفورة التی وضعها الرسام ولیم هوجارت (١٦٩٧ - ١٧٦٤) مسئولة بطریقة غیر مباشرة عن ظهور الیهودی علی خشبة المسرح الانجلیزی فهی الأساس الذی بنیت علیه مسرحیة «تقدم العاهرة» التی مثلت فی ٣١ مارس ١٧٣٣ . وهی مسرحیة من تألیف ثیوفیلوس جبر (١٧٠٣ - ١٧٥٨) . فضلا عن أنها کانت الأساس الذی بنیت علیه بعض الأعمال المسرحیة والغنائیة الأخری . من المؤلفین المسرحیین الذین رسموا

شخصيات يهودية فى أعمالهم ماكلين وصامويل فوت (١٧٢٠ - ١٧٧٧) وآرثر ميرفى (١٧٢٧ - ١٨٠٥) واليشع فنتون (١٦٨٣ - ١٧٣٠) وجون بلاند (المتوفى عام ١٧٨٨) .

وأخيرا نتحدث عن المؤلف المسرحي العبقرى المعروف ريتشارد برنسلى شيريدان (١٧٥١ - ١٨١٦) الذى تألقت مسرحياته فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر . وقد رسم شيريدان فى أدبه المسرحى صورة يهوديين شهيرين هما شخصية موسى المرابى اليهودى فى «مدرسة الفضائح» غير أنه سبق له أن رسم صورة أخرى لليهودى ايزاك ميندوزا فى أوبرا كوميك بعنوان «حارسة الفتيات الشمطاء» قام والده بوضع موسيقاها ومثلت هذه المسرحية على مسرح الكوفنت جاردن فى ٢١ نوفمبر ١٧٧٥ . وتثير شخصية اسحق مندوزا شيئا من الكره فى النفوس وهو برتغالى غريب يعيش فى أسبانيا كما أنه يهودى تحول إلى الدين المسيحى لمدة ستة أسابيع فأصبح «مثل الحائط الميت الذى يقف بين الكنيسة والهيكل أو مثل الأوراق الجرداء التى تقف بين العهد الجديد والعهد القديم». (المنظر الثالث من الفصل الأول) ورغم أن المسرحية مأخوذة عن مسرحية ويتشرلى «الزوجة الريفية» فإن الفضل فى تأليفها يرجع إلى كل من موليير وتيرنس وقد لقيت هذه المسرحية نجاحا ملحوظا . وهناك أيضا إشارة إلى اليهود فى مسرحية شيريدان الأخرى «المتنافسون» التى قدمت على مسرح درورى لين فى ١٧ يناير ١٧٧٥ علما بأن مسرحية «مدرسة الفضائح» قدمت فى درورى لين يوم

٨ مايو ١٧٧٧ . وكان شيريدان آنذاك صاحب هذا المسرح ومديره .
و«مدرسة الفضائح» من أكثر المسرحيات الانجليزية نجاحا وشعبية .
وهى كما ذكرنا تدور حول مرابٍ يهودى ليس سيىء الخلق اسمه موسى
، يظهر فى المنظر الأول فى الفصل الثالث من المسرحية .

(٣) ظهور اللهجات اليهودية على المسرح الانجليزى

يمثل المؤلف المسرحي الكبير شيريدان نهاية حقبة فى الدراما الانجليزية التقليدية وبداية مرحلة جديدة اتسم فيها الحوار المسرحى بظهور لكنة أو لهجة خاصة باليهود الانجليز وحدهم . فحتى وقت شيريدان كان اليهود فى المسرحيات يتحدثون اللغة الانجليزية التقليدية السليمة . ومع انخراط اليهود فى التمثيل أخذت الشخصيات اليهودية تميل إلى الحديث بلغة خاصة بهم ، وساعد على ذلك بطبيعة الحال أن القوانين ظلت تعتبر اليهودى أجنبيا . ولا شك أن هذه اللهجة اليهودية تناسبت مع وضع اليهود المهاجرين حديثا إلى انجلترا . ولكن بمرور الزمن وبعد انقضاء ما يزيد على قرن كامل تزايد عدد اليهود الذين يتحدثون اللغة الانجليزية كما يتحدثها المتعلمون من أهلها . وكان من الطبيعى أن يتطلع اليهودى القادم حديثا إلى أن يصير انجليزيا لا ريب فيه وأن يضطلع بمسئوليته وواجباته الاجتماعية على نحو ما يفعل الانجليز أنفسهم . ولكن عندما ظهر قانون منح الجنسية الانجليزية لليهود عام ١٧٥٣ هاج الشعب الانجليزى وماج ؛ الأمر الذى أرغم الحكومة على الغاء هذا القانون بعد مضى بضعة شهور فقط من صدوره مما شجع على شىء من التعريض والزراية باليهود ولو بطريقة تقليدية على نحو ما درج المسرحيون فى الماضى .

ولعل أول من بدأ في استخدام شيء من هذه اللهجة اليهودية الخاصة هو ريتشارد كمبرلاند عام ١٧٧٢ في مسرحية «العاشق الذى يتبع الموضة» وبعد مرور أحد عشر عاما ظهرت هذه اللهجة اليهودية الخاصة بطريقة رسمية . ويرجع الفضل في ذلك إلى المؤلف المسرحى جون أوكيف (١٧٤٧ - ١٨٣٣) الذى يتميز بغزارة انتاجه وشدة موهبته وقدرته الواضحة على الاختراع . وكان من بين التجديدات التى استحدثها هذا المؤلف المسرحى اختراعه لهجة خاصة باليهود الانجليز ليس لها معنى في حد ذاتها ولكنها تعبر عما يريده المؤلف منها . وكانت هذه اللهجة تستخدم كنوع من الزراية باليهود . وبدأ استخدام هذه اللهجة يشيع بين جميع كتاب المسرح الانجليزى الذين يعالجون اليهود في كتاباتهم ؛ الأمر الذى زاد من شعور اليهودى بالغربة عن المجتمع الانجليزى .. وهكذا أصبح تقليدا مسرحيا ألا تتحدث الشخصية اليهودية على خشبة المسرح بلغة الانجليز بل بلهجتهم الخاصة . وبعد مرور ربع قرن تقريبا أصبحت هذه اللهجة اليهودية لازمة من لوازم اليهود في المسرح الانجليزى .

وألف أوكيف مسرحية بعنوان «المنتمى الشاب لطائفة الكويكر» مثلت على مسرح الهاى ماركت يوم ٢٦ يوليه ١٧٨٣ رسم فيها أكثر الصور بشاعة وقبحا وتنفيرا لشخصية اليهودى في طول القرن وعرضه . وشخصية اليهودى تشادراتش بوز الذى ابتدعها وويتزر شخصية تخلو تماما من المزايا فهو وغد مضحك وجبان رعديد وجد فيه المؤلفون

المسرحيون اللاحقون ضالتهم المنشودة فانكبوا على تقليده تقليدا أعمى بهدف الانتقاص من قدر اليهود ، ويغتنم هذا المرابي الوغد فرصة احتياج فتاة جميلة من طائفة الكويكرز إلى المال فيهب لمساعدتها حتى يتمكن من مغازلتها ويراودها عن نفسها كثمن لتسديد ما عليها من ديون في المنظر الثاني من الفصل الثالث . ومن الواضح أن لغة اليهودي في هذه المسرحية أبعد ما تكون عن اللغة الانجليزية كما يتحدث بها أهلها . فهي لغة يهودية خاصة .

وبالإضافة إلى ذلك قدم اركيف شخصيتين يهوديتين أخريين في مسرحية «الأحدب الصغير أو المرح في بغداد» التي مثلت في كوفنت جاردن يوم ١٤ ابريل عام ١٧٨٩ . والمسرحية تتسم بالهزل الخشن المعروف بالفارس . وهي في مجملها تنبو عن الذوق السليم وتخلو من الدعابة الذكية الحقة . ولا يقتصر القبح في هذه المسرحية على صورة اليهود وحدهم بل يمتد إلى المسيحيين والمسلمين أيضا .

وفي ١ ابريل عام ١٧٨٥ مثلت لليلة واحدة في مسرح الكوفنت جاردن مسرحية صغيرة من فصلين اندثرت ويقال إن مؤلفها هو الأديب سموليت (١٧٢١ - ١٧٧١) بعنوان «الاسرائيليون أو فاباب المدلل» وقد استقبلت هذه المسرحية المندثرة بفتور شديد دون أن ترى طريقها إلى النشر .

وأيضا ألفت السيدة هافاه كاولي (١٧٤٣ - ١٨٠٩) مسرحية بعنوان «خداع الجميلة» مثلت على مسرح الكوفنت جاردن في ٢٢

فبراير ١٧٨٠ . والمسرحية تقتفى أثر المؤلف المسرحى المعروف وبستر . والمسرحية تدور حول مسيحى يتخفى فى هيئة يهودى . وتتضمن مسرحية مسز كاولى تعريضا باليهودى الثرى المعروف فى ذلك العصر سامبسون جدعون الذى وافته المنية عام ١٧٦٢ والذى دفعه طموحه والقيود السياسية المفروضة على اليهود أن يتزوج من سيدة انجليزية مما سهل على ابنه الحصول على لقب بارون . والمعروف أن اليهودى جدعون كان يقدم للحكومة الانجليزية العون المادى كلما مرت هذه الحكومة بضائقة مالية . وتدل مسرحية مسز كاولى النابضة بالحياة والتى تألقت على المسرح لمدة قرن كامل على تأثرها بمسرحية شيريدان «مدرسة الفضائح» . وقد اشترك فى تمثيلها ممثلون عظام أمثال كمبل والسير هنرى إرفنج .

ومما يذكر أن القائد العسكرى البريطانى بيرجوين (١٧٣٠ – ١٧٩٢) – الذى سلم قواته للثوار الأمريكان فى ساراتوجا والذى تناوله برنارد شو فى مسرحيته «تلميذ الشيطان» – ألف مسرحية كوميدية بعنوان «الوريثة» اعتبرت أفضل مسرحية منذ «مدرسة الفضائح» ومثلت على مسرح دروری لين فى ١٤ يناير عام ١٧٨٦ . وهذه المسرحية ليست جديدة بل مأخوذة عن مسرحية «الأخت» التى قدمها مسرح الكوفنت جاردن فى ١٨ فبراير ١٧٦٩ والتى استقتها المسز لينوكس من رواية كانت قد ألفتها بعنوان هنريتيا . ولكن المؤلفة آثرت سحب مسرحيتها من العرض بسبب الاستقبال السيىء الذى قوبلت به . ويشير المنظر

الأول من الفصل الرابع من «الوريثة» إلى اتجار اليهود فى الاشياء المسروقة .

ويعبر المؤلف المسرحى روبرت جيفسون (١٧٣٠ - ١٨٠٣) فى مسرحيته التى مثلت فى ١٦ فبراير ١٧٩١ تحت عنوان «وتران فى قوسك» عن زرايته باليهود فى المنظر الثانى من الفصل الثانى .

وفى ٣١ مايو ١٧٩٧ قدم مسرح درورى أول عرض للمسرحية الشهيرة «اليهودى المتجول» التى تعرف احيانا باسم «قناع الحب» ومؤلف هذه المهسرحية هو أندرو فرانكلين الكاتب الايرلندى الذى كان يعمل محررا فى «المورنينج هيرالد» وقد عالج فرانكلين موضوعه على نحو كوميدى . ويذهب النقاد إلى أن هذا المؤلف استقى مسرحيته من حكاية ألفها تشلزويج عام ١٥٤٢ . غير أن المسرحية أصابت نجاحا ضئيلا ولم تعرض على خشبة المسرح سوى مرات قليلة . ونحو منتصف القرن التاسع عشر أشاع الروائى الفرنسى ايوجين سو موضوع المسرحية عندما ألف عام ١٨٤٤ رواية تحمل نفس العنوان : «اليهودى المتجول» والغريب أن المسرح الفرنسى لم يحالفه النجاح عندما قدم عرضا مسرحيا لرواية ايوجين سو عام ١٨٤٩ . ولكن المشتغلين بالمسرح قاموا بإحياء «اليهودى المتجول» عام ١٨٧٣ فشاعت على المسرح الانجليزى شيوعا عظيما . وليس أدل على شيوعها من أن ثلاثة كتاب انجليز هم ليوبولد لويس وجورج لاندر و ت . ج بولتون قاموا باعدادها للمسرح وقدموها على التوالى على خشبة المسرح على النحو التالى :

الأول فى مسرح أدلفى فى ١٤ أبريل ١٨٧٣ والثانى فى برنتانيا فى ١٨ يونيه والثالث فى مارى ليبون فى ٧ يوليه من نفس العام . وتميزت جميع هذه المسرحيات الثلاثة بطابع الميلودراما والاثارة . وهناك نسخة أخرى أعدها ف . هوبكنز بعنوان «الكل يجرى وراء الذهب» أو «خمسين مليون من النقود» ليقدمها على خشبة المسرح الملكى فى برمنجهام يوم ٥ يوليه ١٨٧٨ . ثم قدمت هذه المسرحية على مسرح سرى بالقرب من لندن فى ٢١ فبراير ١٨٨١ . وفيما بعد أصاب اخراج كمبل ثورتون لها نجاحا عظيما عندما قدمها على المسرح الجديد فى ٩ سبتمبر ١٩٢٠ . وتختلف هذه النسخة من المسرحية عن مثيلاتها أنها لا تكتفى بتصور اليهودى هائما على وجهه فى جميع بقاع المعمورة خلال العصور بل إننا نرى روحه تتقمص شخصيات متنوعة فهو تارة عاشق شهم وتارة أخرى مسيحى وتارة ثالثة محارب في الحروب الصليبية ، وينتهى أمر هذا اليهودى بالموت وبحصوله على الخلاص عن طريق محاكم التفتيش ويجدر بالذكر أن أندرو ميلفيل (١٨٥٣ - ١٨٩٦) أخرج هذه المسرحية بشكل مغاير .

٤ - ريتشارد كمبرلاند (١٧٣٢ - ١٨١١)
يدافع عن اليهود

لم يكن ريتشارد كمبرلاند كاتبا مسرحيا مجيدا أو فذا ولكن كان له فضل الريادة وشجاعة السبق . فهو بلا منازع أول أديب انجليزى يتصدى للدفاع عن اليهود سابحا ضد تيار جارف وجد متعة خاصة فى الاستهزاء بهم والسخرية منهم على نحو ما فعل كريستوفر مارلو فى مسرحية «يهودى مالطا» وبدرجة أقل كما فعل شكسبير فى «تاجر البندقية» وساعد على ذلك بطبيعة الحال أن رقعة التسامح الدينى مع اليهود اتسعت فى انجلترا بمجىء القرن الثامن عشر .

في عام ١٧٩٤ ألف ريتشارد كمبرلاند مسرحية «اليهودى» التى تنسب إلى شيفا بطلها اليهودى حميد الخصال وعظيم السجايا رغم اشتغاله بالربا . وقبل أن يؤلف كمبرلاند مسرحية « اليهودى» كان قد كتب قصة أسبانية عن يهودى نبيل اسمه أبراهام ابراهام هو الأساس الذى بنى عليه شخصية شيفا . يقول كمبرلاند عن ظروف تأليف قصته الأسبانية : «كتبتها للتعبير عن مبدأ أدين به ، وهو أنى رأيت أن الوقت قد حان لعمل شىء من أجل العنصر اليهودى المضطهد . ثم أيدت مناشدتى لاستثارة إحسان العالم واشفاقه بخلق شخصية شيفا التى استقيتها من صورة ابراهام» . يضيف كمبرلاند أنه وجد استجابة جميلة لمسرحيته المدافعة عن اليهود من جمهور النظارة والمشاهدين .

واثلج صدره أن هذا الجمهور الذى اعتاد فيما مضى أن ينظر إلى اليهودى بعين الاحتقار والاستهزاء أصبح الآن يستسيغ هذه الكوميديا المتعاطفة مع اليهود وأن يتحمل تصويرها المسيحيين على نحو قبيح ومنفر فى حين أنها تظهر اليهود بصورة محببة إلى النفس .

وفيما يلى موجز لأحداث كوميديا «اليهودى» التى تدور حول أرستقراطي مقتر وبخيل اسمه السير ستيفن برترام يمنع ابنه فردريك من الزواج من فتاة اسمها راتكليف لا عيب فيها غير أنها فقيرة . وهى تنتمى إلى أسرة مكونة من أمها الأرملة وأخيها تشارلس الذى يعمل لدى البارون الثرى . وعندما يسمع هذا البارون عن هيام ابنه فردريك بالآنسة راتشكليف يبادر إلى معاقبتها بطرد أخيها تشارلس من عمله . ومن ثم يتضح لنا سوء خلق البارون الذى ينتسب إلى الدين المسيحى . ونحن نرى فى المقابل شخصية اليهودى شيفا الذى يتصرف بكل شهامة ونبل رغم ما اشيع عنه من بخل واشتغال بالربا وعندما يعرف هذا اليهودى محنة عائلة راتشكليف يقدم إليها فى الخفاء العون المادى تنفيذا لأوامر التلمود وتعاليمه . ويعطف اليهودى على الفتاة الفقيرة فيمنحها دون علمها عشرة آلاف جنيه . وشيفا يعترف لتشارلس بالجميل لأنه فى يوم من الأيام أنقذه من هجوم الدهماء عليه ، ويكتشف شيفا فيما بعد أن والد تشارلس كان قد أسدى إليه جميلا أثناء وجوده فى أسبانيا حيث أنه هب لنجدته وإنقاذه من براثن محاكم التفتيش هناك فيقرر أن يجعل هذا الابن وريثه .

ويكمن نبل شيفا اليهودى فى حرصه على عمل الخير في الخفاء . وهو لا يهتم بمدح الناس بل بإرضاء ضميره كما أنه لا يهمه أن يسىء العالم الخارجى فهمه . يقول شيفا عن سوء فهم العالم لمقصده النبيل : «إن العالم لا يعرف الكثير عنى فأنا أعيش على الكفاف وأبذل الجهد الجهيد . ولهذا السبب يسموننى بخيلا وكلبا لا يعرف الاحسان . ويجب علىَّ أن أتحمل هذا وأيضا اتحمل وصفى بأنى مصاص دماء يمارس الابتزاز وشيلوك - ولكن ماذا يستطيع يهودى غلبان أن يفعل إزاء هذا إذا تعرض لإهانة المسيحيين له ؟ ليس لدينا مكان نستقر فيه فى هذا العالم وليست لدينا دولة أو وطن . وكل الناس يهزأون بنا . وكل شخص يتصدى لنا ويجعلنا هدفا لاستهزائه وسخريته . وإذا أراد أحد كتابكم المسرحيين تصوير مطية يسهل ركوبها أو مهرجا أو وغدا يستخف به فإنه لا يجد غير اليهودى يتصيده ويستهزىء به فى الفصول الخمسة الطوال التى تحتوى عليها مسرحيته من أجل تسلية كل المسيحيين الطيبين ، وادخال السرور على أفئدتهم . فيالها من لعبة قاسية وتسلية لا ترحم . وكيف يمكن أن تتوقعوا الرحمة منا طالما أن أحدا لا يرحمنا. وعندما يحتج البارون ستيفن بأن اليهودى يفتقر إلى الاحساس بالشفقة والانسانية يرد عليه شيفا بقوله إن عدم وجود الرحمة عند بعض اليهود لا يعنى أن جميع اليهود يفتقرون إليها . ونفس الشىء ينطبق على المسيحيين، ويحرم البارون الغاضب ابنه فردريك من الحصول على المال فيلجأ هذا الأبن الى شيفا يطلب منه العون والمساعدة فلا يبخل بهما

عليه . مما يزيد من ثائرة البارون الذى يتهم شيفا بتحريض ابنه ضده . وهو اتهام عار عن الصحة.

وتنتهى المسرحية بأن يندم البارون ويعتذر عن سوء معاملته لليهودى. وإذا استعرضنا الخير الذى يفعله شيفا مع العروس الفقيرة وتوريث أخيها ثروته وإعطاء ابن البارون ما يلزمه من مال رغم عداء أبيه له وجدنا أننا أمام شخصية مثالية يندر وجودها فى هذا العالم .

قلنا إن رقعة التسامح فى انجلترا نحو اليهود اتسعت في القرن الثامن عشر ولكنها لم تتسع بما فيه الكفاية . ففى عام ١٧٥٣ أصدر البرلمان الانجليزى قانونا يكفل لليهود حقوقهم المدنية . ولكن الغضب الشعبى أرغم السلطات على الغاء هذا القانون بعد مضي عام واحد على إصداره الأمر الذى دفع الكثير من اليهود إلى اعتناق الديانة المسيحية أو التظاهر باعتناقها .

وكمبرلاند ليس كاتبا مسرحيا فحسب بل هو شاعر أيضا . غير أن التاريخ ما لبث أن طوى شعره فى طيات النسيان . ولم يعد التاريخ يذكر في انتاجه الأدبى سوى مسرحية اليهودى ، ورغم نسيان بنى جلدته الانجليز له فقد أظهر اليهود المعجبين به حرصا على الاحتفال بذكرى مرور مائة عام على وفاته ، وفي ١٠ يوليه ١٩١١ ألقى الباحث اليهودى لويس زانجويل بحثا عنه أمام الجمعية التاريخية اليهودية فى انجلترا . تعرض كمبرلاند لهجوم الكاتب المسرحى الكوميدى المعروف شيريدان عليه فى مسرحية «الناقد» وذلك بسبب اعتقاد شيريدان أن

كمبرلاند أظهر زراية بمسرحيته «مدرسة الفضائح» أثناء تقديمها على خشبة المسرح . وكذلك أشار جاريل إلى حساسيته المفرطة والمبالغ فيها نحو النقد . غير أن الأديب أوليفر جولد سميث عامله برفق فى قصيدته «الانتقام» التى لا تخلو من هجاء كمبرلاند .

ولد ريتشارد كمبرلاند فى عائلة من رجال الدين المسيحى فهو حفيد أسقف وابن قسيس أراد منه أن يحذو حذوه وينخرط فى سلك الكهنوت وكان مؤلفا بسيطا فى أفكاره ومهذبا فى سلوكه ومخلصا في مسيحيته وكان صديقا لكوكبة من الأدباء الانجليز البارزين أمثال جولد سميث وجونسون وجاريك وبيرك . لفت كمبرلاند الانظار إليه بمسرحية «الإخوة» التى استوحاها من رائعة هنرى فيلدنج الروائية «توم جونز» التى مثلت فى كوفنت جاردن عام ١٧٦٩ ثم كتب مسرحيتى «الهندى الغربى» (١٧٧١) و «العاشق الذى يتبع الموضة» (١٧٧٢) ثم نشر تحت اسم ابراهام أبراهامز المستعار مقالا فى العدد ٣٨ من دورية الأوبزرفر الصادرة عام ١٧٨٥ مقالا يدافع دفاعا مجيدا عن اليهود وينحى باللائمة على رجال المسرح لانهم لا يكفون عن الزراية بهم .

وفى عام ١٧٧٢ قدم مسرح دروری لين مسرحيته «العاشق الذى يتبع الموضة» ثم أعيد تمثيلها عام ١٨١٨ وتحتوى هذه المسرحية على شخصية نبتالى اليهودية النمطية وهو سمسار ومرابٍ وهذه المسرحية ليس فيها ما يميزها . فضلا عن جمود حوارها وسطحيته . وترسم هذه

المسرحية صورة شخص وغد وشرير مسيحى . وفى عام ١٧٨٠ قام بزيارة أسبانيا بوصفه أمينا للهيئة التجارية من أجل التفاوض مع الأسبان بشأن عقد اتفاقية تجارية وهناك شاهد بنفسه بطولة المارانو وهم اليهود الذين اعتنقوا الدين المسيحى فى الظاهر واستمروا على دينهم اليهودى فى الخفاء .

وفى عام ١٧٩٣ ألف كمبرلاند مسرحية «اليهودى» التى مثلت على خشبة مسرح دروری لين فى ٨ مايو ١٧٩٤ . ويرمى النقاد هذه المسرحية بالسذاجة والسطحية ويبدو أن مؤلفها استقى فكرة بخل شيفا من مسرحية فليتشر «ارضاء النساء» كما يبدو أنه تأثر برواية «كاونت فاثوم» التى ألفها سمولت عام ١٧٥٢ والجدير بالذكر أن مسرحية «اليهودى» لقيت نجاحا عظيما واستمر تقديها على خشبة المسرح الانجليزى حتى القرن التاسع عشر . فضلا عن ترجمتها إلى العديد من لغات العالم ومنها اللغة العبرية ولغة اليبديش وأصابت نجاحا ساحقا فى البلاد الأوروبية ولم يقتصر تمثيلها على الممثلين المحترفين فقط بل امتد الى الممثلين الهواة . ولكن المؤلف كمبرلاند يشكو من نكران اليهود للجميل الذى أسداه اليهم بالدفاع عن شعب اسرائيل . ولكن جحود اليهود إزاء كمبرلاند غير اليهودى ليس بالأمر المؤكد وهذا يغاير شهادة الروائى الكبير السير والتر سكوت الذى كتب سيرة حياة كمبرلاند وذكر فيها أن اليهود عبروا عن عميق امتنانهم له ، فعلى سبيل المثال قام يهود انجلترا بإهدائه حافظة نقود شديدة الاناقة .

وقبل وفاته بثلاثة أعوام كتب المؤلف مسرحية أخرى بعنوان «يهودى مـوجـادور» The Jew of Mogadore التى قدمت على مـسـرح درورى لين يوم ٣ مـايو ١٨٠٨ . ولكن المسرحـية منيت بالفشل ، وبطل هذه المسـرحـيـة تاجـر يهودى يدعـى ناداب كـان من عـادته أن يشـترى العـبـيـد من مراكش بهدف اطلاق سـراحـهم . ورغم نجاح مـسـرحـيـتـه البـاكرة «اليهودى» فإن الكثيرين من مؤرخـى الأدب يتجاهلون الاشـارة إليه فى كتاباتهم .

القسم الثانى : عطف الحركة الرومانسية على اليهود

١ - اليهود فى الرواية السابقة على والتر سكوت

فى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر أصبحت الرواية فى انجلترا الجنس الأدبى السائد الذى طغى على سائر الأجناس الأدبية الأخرى من شعر ودراما . وساعد على ذيوع الرواية عدة عوامل أبرزها اختراع الطبقة ونشأة طبقة وسطى انجليزية قادرة على القراءة والكتابة . وصارت الروايات بديلة عن قراءة الفضائح والصحافة الصفراء . فلا غرو إذا رأيناها تعج بشخصيات يهودية مليئة بالأسرار ومثيرة للرعب . وكان مؤلفو هذه الروايات لا يهتمون بمشكلات اليهود المعاصرة بل يهتمون باليهود - شأنهم فى ذلك شأن الشعراء الرومانسيين - كشخصيات من التاريخ فضلا عن أن هؤلاء الروائيين استخدموا الأساطير وتحيزات الماضى ضد اليهود كحقائق تاريخية دون أن يكترثوا بمشاكلهم الراهنة وما طرأ على مجتمعهم من تغيرات .

وتعتبر روائية الرعب القوطى أن راديكليف (١٧٦٤ - ١٨٢٣) من أقل الكاتبات اهتماما بالحديث عن اليهود . غير أنها تشير الى مرابٍ يهودى يدعى آرون لينكولن فى بلاط الملك هنرى الثالث وذلك فى روايتها المنشورة عام ١٨٢٣ بعنوان «جاستون دى بلوندفيل» . ويتقدم هذا اليهودى بشهادة ضد تاجر مسيحى استدان منه مبلغا من المال فيحتج

هذا التاجر قائلا إن اليهودى لا يؤخذ بشهادته . ونظرا لأن عددا كبيرا من رجال البلاط كانوا مدينين له فقد امتنعوا عن تأييد رأى التاجر ، الأمر الذى أدى إلى قبول شهادة اليهودى وتجاهل يهوديته .

وقد حذا الروائى ماثيو جريجورى لويس (١٧٧٥ - ١٧١٨) حذو مسز راديكليف فى تأليف روايات الرعب القوطى . وتعد الرواية التى ألفها عام ١٧٩٥ بعنوان «أمبروزيو أو الراهب من أبرز أعماله . وهذه الرواية مليئة بالأحداث والمناظر المرعبة مثل منظر الأجداث والقبور إلى جانب الجرائم المروعة والشخصيات الشيطانية ؛ وحتى يزيد المؤلف من هذا الجو المرعب نراه يشير إلى اسطورة اليهودى المتجول الشبيه بشخصية الدكتور فاوستوس الذى تحالف مع الشيطان مفستوفوليس ، وترتسم إمارات الغضب العارم واليأس والشر على ملامح هذا اليهودى وهو يقول : «إن الله حكم عليه أن يبث الفزع والمقت فى نفس كل من يراه» ، ويضيف أن القدر كتب عليه ألا يمكث أو يستقر فى أى مكان أكثر من أسبوعين . وهو يعيش وحيدا بلا صديق وهو يتوق إلى الموت فلا يجده .

وكذلك عالج جون جالت (١٧٧٩ - ١٨٣٩) موضوع اليهودى الهائم على وجهه فى روايته «اليهودى المتجول» الصادرة عام ١٨٢٠ . ثم جاء جورج كرولى (١٧٨٠ - ١٨٦٠) ليعالج نفس الموضوع فى روايته «سالاثييل» (١٨٢٨) التى أصابت ذيوعا وانتشارا . وهى تردد نفس فكرة اليهودى المتجول الذى كتب عليه ألا يستقر فى مكان واحد وألا يذوق طعم الراحة ولو عن طريق الموت . والغريب أن ما يلاقيه من

اضطهاد لا يحول بينه وبين الانتعاش المادى . والجدير بالذكر أن تروى هذه الرواية تحت عدة عناوين مختلفة .

وفى نفس الوقت الذى ذاعت فيه الروايات الرومانسية والقوطية والتاريخية فى أوائل القرن التاسع عشر ظهر نوع آخر من الروايات يمكن أن نطلق عليه رواية السلوك التى جنحت إلى الواقعية وابتعدت عن الخيال القوطى . وبسبب واقعية مثل هذه الروايات اتجهت إلى معالجة المشكلات المعاصرة . وفى كثير من الأيام عالجت هذه الرواية الواقعية موضوع اليهود ولكن كثيرا ما صورتهم على نحو بغيض .

كانت الروائية ماريا ادجورث (١٧٦٧ - ١٨٤٩) رائدة فى مجال هذا الأدب الواقعى . ألفت ادجورث عام ١٨٠٠ قصة عن الحياة الأيرلندية بعنوان «قلعة راكرنت» ويتضح من هذه الرواية أن الوجود اليهودى فى ايرلندا كان بغيضا كما كانت الحال فى انجلترا وأن عددا من العائلات اليهودية المقيمة فى ايرلندا أصابت ثراء ملحوظا بعد أن هاجرت من البرتغال إلى ايرلندا فى زمن كرومويل وتهاجم ادجورث فى روايتها «قلعة راكرنت» شخصية يهودية هى زوجة النبيل السير كيث الذى آلت القلعة إلى ملكيته . وفى رائعتها الروائية التى ألفتها ماريا ادجورث عام ١٨١١ بعنوان «الغائب» نراها تهاجم ثريا قد يكون يهوديا يعمل فى انتاج العربات واصفة وجهه بأنه وجه وغد لعين. وأيضا تحتوى روايتها «حكايات أخلاقية» المنشورة عام ١٨٠١ على ثلاثة أوغاد يهود ، يظهر أحدهم واسمه سولومون فى حكاية «الزهرية البروسية» وهو رجل

أدانته المحكمة وحكمت عليه بكنس شوارع المدينة لمدة عام كامل! إمعانا في اذلاله والحط من شأنه. وتظهر شخصية الجواهرجي اليهودي كارات في حكاية ثانية بعنوان «العمة الطيبة» ؛ وكارات رجل ماكر وخبيث يخدع طلبة المدارس ، ولكن خداعه كشف أمره قبل أن ينجح في الاستيلاء على ممتلكات أرملة . ونطالع في الحكاية الثالثة وهي بعنوان «مراد السيىء الحظ» عن مراب يهودي وغد وقاسي القلب اسمه راتشوب يسعي الي قتل أعدائه بدس جراثيم الطاعون لهم في طيات الملابس القديمة التي يبيعيها لضحاياه ممن يرغب في التخلص منهم . وفي روايتها الطويلة المنشورة عام ١٨٠١ بعنوان «بيلندا» ترسم ادجورث صورة مراب يهودي يدعي سولومون ينتهز حاجة مسيحي إلى المال فيمعن في استغلاله .

واللافت للنظر أن كل الشخصيات اليهودية التي رسمتها ادجورث حتى الآن شخصيات شريرة ومقيتة كما أنها شخصيات تقليدية ثوارثها الانجليز جيلا بعد جيل ؛ وهي أقرب ما تكون إلى الجنيات والعفاريت الشريرة في الحكايات الشعبية . غير أن ماريا ادجورث ما لبثت أن غيرت مسارها الروائي ، فقد نشرت عام ١٨١٥ رواية بعنوان «هارينجتون» حيث تظهر عطفها على اليهود . يقول والد الروائية ادجورث إن ابنته تلقت خطابا من سيدة يهودية أمريكية تدعى راشيل موردخاي من ولاية فرجينيا تعتب عليها أنها تصور اليهود في رواياتها على أنهم طغمة من الأشرار ورجتها أن تكتب عن يهودي طيب القلب .

تدور رواية «هارينجتون» حول صبى انجليزى مسيحى حساس يقشعر بدنه لمرأى بائع روبابيكيا يهودى وهو ينادى على الملابس القديمة أسفل حجرته . وتلاحظ مربيته شدة الرعب المرتسم على وجهه بسبب خوفه من اليهودى ، فتستغل نقطة ضعفه حتى يصبح طوع أمرها ورهن إشارتها فتحكى له حكايات مروعة عن اليهود الذين يستغلون دم الأطفال المسيحيين ويصلبونهم كى يستخدموا دماءهم فى إقامة ولائمهم السرية وطقوسهم الدينية . بل إنها تحكى له عن عاملة يهودية فى باريس تغوى الأطفال المسيحيين بالحلوى ثم تقوم بذبحهم فى قبو المنزل لتستخدم أجسادهم فى عمل الفطائر وبيعها للناس على أنها من لحم الخنزير . وبهذا تشرح الرواية الظروف التى أدت إلى خلق عقدة هارينجتون من اليهود . ويكتشف الصبى أن أقرانه فى المدرسة يشاركونه نفس الرعب والمخاوف منهم . ولكن حادثة تقع تصبح السبب فى تغير موقف الغلام من اليهود وادراكه أن اليهود ليسوا طغمة من الأشرار كما صور له خياله فقد شاهد يهوديا فقيرا يعمل بائعا متجولا يتعرض للمهانة والاضطهاد الذى لا مبرر له ، فيرق له قلبه ويشفق على تواضعه وعجزه وعذابه . ثم يكبر الغلام فيقع فى غرام فتاة حسناء يظن انها يهودية اسمها الآنسة مونتيزو ويرغب فى الزواج منها . ولكنه يدرك أن حبه بلا أمل بسبب اعتراض والديه على الزواج من يهودية. ويكتشف هارينجتون أنه حبيبته ليست يهودية بل مسيحية فيقدم على الزواج منها . ويعيب بعض النقاد على المؤلفة أن معرفتها باليهود معرفة سطحية

وأنها لا تشعر بأى عطف حقيقى على اليهود فعطفها عليهم لا يعدو أن يكون ثمرة لإعمال العقل وموقفا مصطنعا لا ينبع من القلب .

بوجه عام عبر الرومانسيون الانجليز فى أوائل القرن التاسع عشر عن عطفهم الواضح على اليهود والرغبة الأكيدة فى رفع الظلم عنهم . الأمر الذى يدل على روح التسامح التى اتسمت بها . وقد عبر الأدباء الرومانسيون والترسكوت ووليم وردزورث وكوليردج وسزى وشيلى وبيرون عن عظيم تعاطفهم مع اليهود ولكن بدرجات متفاوتة .

٢ - السير والتر سكوت (١٧٧١ - ١٨٣٢)

تدل الرواية الرومانسية التى ألفها السير والتر سكوت بعنوان «ايفانهو» عن عظيم تعاطفه مع اليهود . بل إن بعض فقرات الرواية التى تصور عذاب الشعب اليهودى فى الماضى تفوق قدرة اليهود أنفسهم عن الدفاع عن أنفسهم . وتلقى الحادثة التالية الضوء على ظروف تأليف سكوت لهذه الرواية . يقول لوكهارت فى كتابه «سيرة حياة سكوت» إن سيدة اسمها مسز سكين ذكرت أن زوجها كان يعود صديقه المؤلف والتر سكوت فى فترة مرضه وإنه جلس بجواره فى فراش المرض يواسيه ويسرى عنه بالحديث عن اليهود الذين خالطهم فى شبابه أثناء إقامته فى ألمانيا. وكان اليهود آنذاك يرسفون فى أغلال العبودية فهم محرومون من حقوقهم السياسية والمدنية ويرغمهم جيرانهم المسيحيون على ارتداء الملابس التى تميزهم عن بقية أعضاء المجتمع فضلا عن أن المسيحيين أغلقوا عليهم بوابات الحى الذى يعيشون فيه حتى لا

يخرجون منها إلا في النهار . وعرض لمستر سكين أن يقول لصديقه الروائى المريض انه يجدر به أن يؤلف رواية تدور حول حياة اليهود وعندما نشر سكوت رواية ايفانهو ذكر لمستر سكين أن الفضل فى تأليف هذه الرواية يرجع الى حديث صديقه معه .

لم يصور والتر سكوت حياة اليهود فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر بل صور إذلالهم المثير للعطف فى أيام القرون الوسطى . فأحداث روايته ايفانهو تقع فى نهاية القرن الثانى عشر عندما وقع ريتشارد قلب الأسد أثناء الحروب الصليبية في أسر المسلمين وكان أخوه يفكر فى إزاحته عن العرش للجلوس عليه وكان اليهود فى انجلترا آنذاك على جانب عظيم من الثراء يتعرضون لمصادرة السلطات الحاكمة لأموالهم كلما احتاجت إلى ذلك . ويروى لنا سكوت كيف أن أحد أثرياء اليهود رفض تسليم أمواله لواحد من الأمراء فقام بتعذيبه واقتلاع أسنانه حتى تمكن من اخضاعه لمشيئته . ورغم أن السلطات الحاكمة كبلت اليهود بالضرائب فإن هذا لم يحل دون ازدهارهم وانتعاش تجارتهم ويذكر عالم يهودى أسبانى تجول فى أرجاء أوربا انه زار لندن فوجد فيها جالية يهودية تتمتع بثراء عريض . كان ذلك قبل أن تقوم انجلترا بطردهم من أراضيها عام ١٢٩٠ ، وفي فترة وجودهم بإنجلترا كان محظورا على المسيحيين أن يختلطوا بهم أو يشاركوهم الطعام والشراب أو يطلبوا مشورة الأطباء اليهود . ومن ناحيتهم كان اليهود يتحاشون الظهور فى الشوارع فى بعض المناسبات الدينية المسيحية خوفا من

اعتداء الشعب عليهم .

وتدور رواية «ايفانهو» حول يهودى غنى من مدينة يورك رغم أن الناس درجوا على الاعتقاد أن ممارسة الربا كانت مقصورة على اليهود فإنه ليس لهذا الاعتقاد أدنى نصيب من الصحة . فمن الثابت أن المسيحيين استمروا فى ممارسة الربا بعد طرد اليهود من انجلترا عام ١٢٩٠ . ويبدو أن سكوت استقى رسمه لشخصية بطله اليهودى ايزاك يورك من السجلات التى دونها ماثيو باريس وبعض الكتاب الآخرين عن يهودى ثرى يدعى أرون يورك الذى عاش فى انجلترا فى عهد الملك هنرى الثانى (١٤٩١ - ١٥٤٧) ويذهب بعض النقاد إلى أن سكوت على غير عادته لم يتحر الدقة التاريخية عندما تحدث عن ارتداء اليهود طاقية صفراء ذات شكل خاص حتى يسهل تمييزهم عن المسيحيين . والخطأ التاريخى الذى ارتكبه سكوت هو أن المرسوم البابوى الخاص بارتداء اليهود شارة صفراء تميزهم عن المسيحيين لم يكن قد صدر بعد ، فقد أصدر هذا المرسوم البابا انسونت الثالث فى مجمع لاتيران الرابع المنعقد عام ١٢١٥ لتطبيقه فى كل البلاد الأوربية. وكانت بعض المجالس الكنسية المحلية فى أوربا تصدر قرارات مماثلة مثل القرار الذى اتخذه مجمع اكسفورد عام ١٢٢٢. ومعنى هذا أن اليهودى ايزاك بطل الرواية لم يكن يتعين عليه فى ذلك الوقت ارتداء الشارة الصفراء . ورغم أن الصورة التى يرسمها المؤلف لإيزاك ليست وردية فهو بخيل كاذب مخادع يبالغ فى الاهتمام باكتناز المال ، فإن المؤلف ينجح فى إثارة

شفقة القارىء على اليهود بوجه عام بسبب دقة وصفه لما يتعرضون له من إذلال ومهانة .

وثمة سمة تتميز بها شخصية ايزاك ويتميز بها كل اليهود بوجه عام. فهم يتحدثون بعبارات سريعة وقصيرة للدلالة على سرعة توارد الأفكار في خواطرهم فضلا عن أنهم جميعا يتحلون بصفة جميلة أخرى مفادها أنهم يحبون بناتهم إلى أقصى حد لا فرق في ذلك بين شيلوك الذي رسمه شكسبير وباراباس الذي رسمه مارلو وايزاك الذي رسمه والتر سكوت . ورغم ما ينسبه المجتمع المسيحي إلي اليهود من شرور فإن هذا المجتمع يعترف بسلامة وتماسك حياتهم العائلية ويمتدحون متانة الأواصر التي تجمع بينهم ؛ فحياتهم العائلية هي الواحة التي يستظلون بها من هجير اضطهاد المجتمع المسيحي لهم . وهي مبعث سعادتهم الوحيد في غمرة الشقاء الذي يعيشونه . وقد نجح سكوت في رسم الترابط العائلي بين اليهود . وحب ايزاك لابنته يفوق حبه للمال . وعندما نما إلى علمه أن ابنته في خطر لم يعد المال يهمه فهو يقول مخاطبا الفارس الذي يريد أن يدنس ابنته : خذ مني كل ما طلبت يا سيدي الفارس . خذ عشرة أمثاله . اخرب بيتي وحولني إلى شحاذ إذا شئت . اطعني بسيفك . ألقِ بي في اتون من النار . ولكن انقذ ابنتي واجعلها تعيش في أمان وشرف . وصورة هذه الابنة واسمها ربيكا - تجسيد للطهر والنقاء ، ولهذا يصفها الروائي الانجليزي وليم ثاكراي بأنها أجمل وأعذب شخصية عرفتها الرواية الانجليزية. تقول ربيكا عن

شعب اسرائيل انه مثل الحشائش التى تنمو وتترعرع كلما وطأتها الأقدام وهى على يقين من أنه شعب ترعاه عين الله الساهرة ، وعلى استعداد للاستمساك بدين أبائها إلى حد الشهادة وهى تسهر على رعاية الفارس المسيحي ايفانهو حتي يبرأ من مرضه . من المعروف أن التفوق فى مجال الطب فى القرون الوسطى كان مقصورا على اليهود والعرب . وهى تحب ايفانهو بلا أمل لأنه مستحيل على يهودية أن تتزوج من مسيحى ، ولم يكن لربيكا من مساعدة ايفانهو على الشفاء سوى هدف واحد هو الحصول على بركة الله خالق اليهود وغير اليهود. ويقال إن الروائي والترسكوت استقى شخصية ربيكا الجميلة النبيلة التقية الورعة المعتزة بدين أجدادها من شخصية يهودية عاشت فى الواقع باسم ربيكا جوانز من فيلادلفيا التى رسمها لها الكاتب واشنطون ارفنج (١٧٨٣-١٨٥٩).

٣ - وليم ورد زورث (١٧٧٠ - ١٨٥٠)

عالج الشاعر الرومانسى وليم وردزورث اليهود فى اثنتين فقط فى قصائده على فترة بعيدة تبلغ نحو الثلاثين عاما وهاتان القصيدتان هما أغنية اليهودى المتجول، التى نظمها عام ١٨٠٠ للتعبير عن عطفه على اليهود ضد التعصب المسيحى التقليدى المتوارث، وتنم القصيدة عن ايمان الشاعر بروح الأخوة الانسانية التى تربطه باليهود، أما القصيدة الثانية التى تحمل عنوان عائلة يهودية فتدور حول ذكريات وردزورث اثناء قيامه وأخته عام ١٨٢٨ برحلة بمرافقة الشاعر والناقد الرومانسى

الكبير صاموويل بتلر كولردج وبينما كان ثلاثتهم يسافرون بمحاذاة ضفاف نهر الراين قابلوا في طريقهم عائلة يهودية شديدة الفقر وترتدى الأسمال البالية غير أن هذه العائلة الفقيرة بهرتهم باعتزازها بكرامتها ويحكى لنا وردزورث أنهم فى رحلتهم كانوا يحتفظون بالغداء فى إحدى السلال، فدعوا أفراد العائلة اليهودية إلى مشاركتهم الطعام ولكن الأم اعتذرت بكل إباء وشمم واعتذرت بأنه يوم صوم عند اليهود، ثم أضافت على استحياء ان الواجب يحتم عليها مراعاة الصيام سواء كانت مراعاته حقا أم باطلا وتمجد القصيدة الشعب اليهودى العظيم الذى أنجب مثل هذه العائلة المعتزة بكرامتها.

(٤) صامويل بتلر كولريدج (١٧٧٢-١٨٣٤)

اظهر كولريدج – شأنه فى ذلك شأن صديقه وردزورث – عطفا على اليهود ورغم خيبة أمله فيهم فى حياته اللاحقه ، فإنه لم يفقد وده نحوهم. وشمل مؤلفه حديث المائدة عددا من الملاحظات حول اليهود وديانتهم يقول كولريدج انه عرف وتحدث إلي كثير من اليهود عن كثب ولكنه لم يقترض منهم المال أبدا.

ويعترف كولريدج انه ، من مرة دخل فيها فى نقاش مع يهودى إلا وانتصر عليه هذا اليهودى وذات مرة عن لشاعرنا أن يناقش يهوديا فى تحوله إلى الدين المسيحى فأجابه اليهودى على الفور بأنه أجدر باليهود أن يهتدوا إلى فهم دينهم أولا . فلم يستطع شاعرنا أن يحرى جوابا ومرة أخرى تضايق كولريدج من صياح بائع روبابيكيا يهودى وهو

ينادى على بضاعته بطريقة خنفاء تخرج الألفاظ من فمه على نحو شائه وعاتبه شاعرنا وأنحى عليه باللائمة لسوء نطقه أثناء النداء ، فرد عليه بائع الروبابيكيا قائلا: لو أنك كنت مكانى مضطرا على ترديد النداء على الملابس القديمة عشرة مرات فى كل دقيقة لنطقته كما أنطقه أنا وأسقط فى يد كولريدج وكافأه بأن نفخه آخر شلن كان فى جيبه وشعر كولريدج بأن اليهودى قد أفحمه. وأيضا كان لكولريدج جار وصديق يهودى حميم اسمه هيمان وترنز يعمل أستاذا للغة العبرية فى كلية جامعة لندن. وكان من المفروض أن يشترك الاثنان في تأليف كتاب عن حكايات أحبار اليهود. ولكن هذا المشروع لم ينفذ بسبب عادة كولريدج فى التقاعس وترك الأعمال دون الانتهاء منها والجدير بالذكر أن كولريدج عبر عن شدة اعجابه بالشعر العبرى واعترف بفضل اليهود الأوائل فى ترسيخ فكرة وحدانية الله فى العقل البشرى ولكن هذا لم يمنعه من توجيه بعض الانتقادات اليهم من آن إلى آخر.

(٥) روبرت سزى (١٧٧٤–١٨٤٣)

شارك أمير الشعراء روبرت سزى كلا من وردزورث وكولريدج الاعجاب بالشعر العبرى فضلا عن قراءاته المستفيضة مثل كولريدج فى الديانة اليهودية ويشيد سزى بتفوق هذا الشعر العبرى على كافة الشعر الشرقى. ونحن نراه يصفه بالعظمة فى خطاب سطره بتاريخ ١٦ أكتوبر ١٨٠٨ وقد عقد سزى العزم على تأليف بحث عن الديانة اليهودية ولم يمنعه من ذلك سوى تأكده من تفوق دزاتيلى فى هذا المضمار ورغم ذلك

فقد هاجم سزى الديانة المسيحية وأشار إلى انها تدهورت تدهورا شبيها بالتدهور الذى أصاب النظام البابوى فى العالم الكاثوليكى يقول سزى فى نفس الخطاب الأنف ذكره أن الفساد قد دب بين اليهود المنتشرين فى كل مكان الأمر الذى يجعل منهم شعبا غريبا وهو ينتقد فى نفس الخطاب سياسة تحويل اليهود إلى الدين المسيحى باعتبارها عبثا لا طائل من ورائه ومضيعة للجهد والمال وتتضمن كتابات سزى مقتطفات من كتاب الدفاع عن اليهود الذى ألفه الحبر والزعيم اليهودى مناسيه بن اسرائيل ، ذلك الرجل الذى شجع اليهود على العودة إلى انجلترا والذى نذر نفسه للدفاع لتفنيد كل ما وجهه اعداء اليهود اليهم من أكاذيب وافتراءات . ويسوق سزى كذلك مقتطفات من المجلد الذى ألفه هندرسون بعنوان «إبحاث ورحلات فى الكتاب المقدس وسط اليهود فى روسيا بالاضافة إلى مقتطفات مهمة من كتابات بارو ومن «حكايات وأجزاء متناثرة انجليزية فى اسبرينليد ورغم هذا فإن سزى لا يظهر أى اهتمام باليهود فى كتاباته السياسية فضلا عن أن امتداح الادب الرومانسى للشخصية اليهودية لا يروق له.

(٦) اللورد بيرون (١٧٨٨ - ١٨٢٤)

ليس من شك فى أن الشاعر الرومانسى بيرون الذى مات فى شرخ الشباب من أشد المدافعين عن الشعوب المظلومة والمضطهدة. فنحن نعرف أنه توفى وهو يحارب فى صفوف اليونان ضد الاستعمار التركى. ولهذا يسهل علينا أن نقفوا أثر تحمسه البالغ لقضية تحرير اليهود.

ألف بيرون فى باكورة حياته ديوانا فى الغنائيات بعنوان «أغنيات يهودية» نظمها بيرون تلبية لطلب أحد الأصدقاء الذى طلب منه وضع كلمات لأغنيات يقوم المغنى اليهودى ايزاك ناثان بتلحينها . وتضم هذه الأغنيات عددا من الغنائيات المستمدة من الكتاب المقدس والدالة على تعاطف مؤلفها مع اسرائيل القديمة . وتروى لنا إحدى الأغنيات وهى بعنوان «ابنة جيفثا» عن روح التضحية والفداء عند هذه الفتاة واستعدادها للموت ذودا عن الوطن والله وتلبية لندائهما.

وهناك أيضا أغنية بعنوان «أغنية شاؤول قبل معركته الأخيرة» ، وتصور أغنيته «تدمير سنيا شيريت» وصفا لهجوم الآشوريين على فلسطين واجتياحهم للجليل ، وتتضمن أغنية «روح تسرى أمامى» شرحا مبسطا لفقره من سفر أيوب . أما أغنية «رؤية بلشازار» فتحكى قصة آخر حاكم فى بابل . وتعبر «أغنيات صهيون» عن عطف الشاعر الشديد على اسرائيل القديمة المظلومة والمضطهدة . ويعتقد المغنى والملحن اليهودى ايزاك ناثان أن أغنية بيرون : «آه ... اذرفوا الدموع بجوار الجدول الذى يسرى فى بابل» تمثل قمة التعاطف مع بنى اسرائيل.. تعالج قصيدة «الغزال الوحشى» ونفس الموضوع الذى تعالجه هذه القصيدة الأخيرة ورغم أن اللورد بيرون يظهر قدرا هائلا من العطف والتسامح على اليهود القدامى فإن كتاباته الأخرى لا تخلو من الهجوم على اليهود المعاصرين الذين يسيطرون على البنوك وبيوت المال . والجدير بالذكر أن قصيدة بيرون المعروفة «دون جوان» تحتوى على

اشاره عابرة إلى بنى اسرائيل ولكن القصيدة التى نظمها بيرون فى جنوة بايطاليا عام ١٨٢٢ بعنوان العصر البرونزى تهاجم المؤامرات التى حاكها رجال الأعمال اليهود فى مؤتمر فيرونا.

(٧) الشاعر بير سى بيش شيلى (١٧٩٢-١٨٢٢)

يشبه الشاعر برسى بيش شلى قرينه الشاعر بيرون فى الاهتمام باليهودى فى إطار رومانسى وتاريخى ولكنه يختلف عن بيرون فى خلو كتاباته تماما من الإشارة إلى اليهود المعاصرين له وفى أثناء تجواله برفقة صديقه توم ميدوين فى غابة سانت ليونارد عنّ للصديقين أن يشتركا فى تأليف قصة جامحة تدور حول ساحرة مقيتة وبشعة ولكن الصديقين سرعان ما نبذا الفكرة الأصلية وبدآ بنظم قصيدة رومانسية عن اليهودى المتجول.. غير أن المصادفة وحدها غيرت مسارهما فقد عثر توم ميدوين أثناء تجواله فى مكتبة بمنطقة لينكولن فيلدز على ورقة تحمل ترجمة انجليزية لقصيدة ألمانية من تأليف الشاعر الألمانى كريستيان شوبارت ، وحمل ميدوين الورقة إلى صديقه شيلى الذى حملها بدوره إلى صديقه بيرون فتركت فى نفسيهما أعمق الأثر وتروى الفقرة المترجمة قصة يهودى فى أيام المسيح اسمه أهاسويروس الذى كتب عليه أن يقضى حياته هائما على وجهه لا يعرف سكنا أو مستقرا. ويرجع السبب فى حلول هذه اللعنة به إلى أن يسوع المسيح أصابه التعب والنصب من حمل صليبه وأراد أن يستريح فاقترب من باب بيت أهاسويروس ليلتقط أنفاسه ، ولكن هذا اليهودى نهر بكل

وحشية فاضطر المسيح إلى مواصلة السير دون أن ينبس بكلمة شكوى واحدة وهو يترنح تحت حمله الثقيل . وظهر ملاك الموت لليهودى القاسى القلب وصاح فى وجهه : «أيها البربرى المتوحش لقد رفضت أن يستريح ابن الانسان ولهذا فانك لن تعرف طعم الراحة حتى يعود ابن الانسان لدينونة هذا العالم . ثم ينطلق شيطان أسود من الجحيم ليطارد أهاسويروس من بلد إلى بلد حتى يبلغ النصب بهذا الرجل مداه ، ويتمنى أن يموت ويزحف هذا اليهودى فى كهف فى جبل كارميل فيجد حوله عددا من الجماجم البشرية فيلقى بها على الأرض فتتحطم وتتناثر ويصيح الرجل المعذب قائلا : «هذه جماجم أبى وزوجاتى وابنائى الذين ماتوا جميعا وتركونى اشتهى الموت فلا أجده . وبلغ تأثر بيرون بهذه القصة مبلغا جعله يستمد منها جانبا من الفصل الثانى من مسرحيته المعروفة «ما نفريد» ، ولكن تأثر شيلى بهذه القصة الاليمة تفوق بكثير تأثر بيرون بها. تضمنها فى قصائده التالية: «الملكة ماب» (١٨١٢-١٨١٣) و«هيلاسى» (١٨٢١) و«الاستور» (١٨١٥) وفى عام ١٨١٠ انتهى الصديقان الشريكان شيلى وميدوين من تأليف قصيدة رومانسية بعنوان «اليهودى المتجول» ، رفض الناشر بالانتن نشرها . ولم تر هذه القصيدة طريقها إلى النشر إلا فى عام ١٩٢٩ بعد ادخال كثير من التعديلات عليها . وأيضا نظم شيلى قصيدة أخرى بعنوان «مناجاة اليهودى المتجول» عبر فيها عن نفس الافكار الواردة فى الحكاية الألمانية المترجمة إلى الانجليزية .

والجدير بالذكر أن الأدباء الرومانسيين الانجليز لم يهتموا باستقصاء أحوال اليهود المعاصرين لهم بل أظهروا العطف على اليهودى القديم لأسباب رومانسية بحتة فهو فى نظرهم يمثل العذاب والقلق كما أنه ضحية التعصب والخسف والاضطهاد.

القسم الثالث
العصر الفيكتورى
١- اليهود فى انجلترا فى القرن التاسع عشر

يقدر عدد اليهود الذين عاشوا فى انجلترا فى بداية القرن التاسع عشر بنحو ثمانية آلاف نسمه، ورغم تجنسهم جميعا بحكم المولد بالجنسية الانجليزية فإنهم كانوا محرومين من تقلد الوظائف العامة إذ تعين عليهم كشرط لتقلد هذه الوظائف ممارسة طقس التناول وفقا لشعائر كنيسة انجلترا كما تعين عليهم القسم بصدق ايمانهم بالدين المسيحي . فضلا عن أن القانون الانجليزى كان يمنع اليهود الانجليز من دخول البرلمان. ورغم القيود المفروضة عليهم شعر يهود انجلترا بأنهم أوفر حظا وأحسن حالا من اليهود الذين يعيشون فى أماكن أخرى من العالم فقد وفر لهم المجتمع الانجليزى حرية العبادة فى المعابد والهياكل اليهودية ، فضلا عن شعورهم بقدر من السلام والطمأنينة وخصوصا لأن الانجليز لم يفرضوا عليهم ارتداء زى خاص تمييزا لهم عن بقية أفراد المجتمع . ويمكن تقسيم اليهود الانجليز فى بداية القرن التاسع عشر إلى السفارديين الذين وفدوا إلى انجلترا من أسبانيا والبرتغال فى منتصف القرن السابع عشر ؛ والاسكينازى الذين جاءوا من المانيا وبولندا ووسط أوربا فى النصف الثانى من القرن السابع عشر. وكان كل قسم منهما يختلف عن الآخر فى اللغة والثقافة

والملامح ولون البشرة ومن الخطأ أن نظن أن علاقة السفاردين بالاسكينازى كانت طيبة فقد كانت هناك قطيعة بينهما واعتبر اليهود السفاردين أنهم أسمى وأعلى مرتبة من الاسكينازى بسبب تمتع السفاردين بالثروة والثقافة فضلا عن مكانتهم المرموقة فى مجالات التجارة والبنوك وإدارة الأعمال. وكانت الهوة التى تفصل بين الفريقين عظيمة لدرجة أن السفاردين كانوا يمارسون شعائرهم الدينية فى معبد مختلف عن المعبد الذى ارتاده الاسكينازى. ومن الملاحظ أن عدد اليهود المهاجرين من هولندا ومنطقة الراين إلى انجلترا زاد بشكل واضح وقد شجعهم على ذلك شعور اليهود الانجليز بالأمان والاستقرار حتى ارتفع عددهم من ثمانية آلاف إلى اثنى عشر ألفا ليقفز بعد ذلك إلى ٢٧ ألف يهودى فى أوائل القرن التاسع عشر. وقد استقر اليهود الانجليز فى بعض أحياء لندن بحيث كادت أن تصبح مقصورة عليهم وكان معظمهم يشتغلون بأعمال البقالة والتجارة الصغيرة والربا وتجارة الروبابيكيا والملابس القديمة.

والبيع المتجول وتلقى الرسائل التى نشرها روبرت سزى عام ١٨٠٨ بعنوان «رسائل دون هانويل الفاريز اسبريلا الواردة من انجلترا» الضوء على الأعمال البسيطة والمتواضعة التى كان اليهود الانجليز يقومون بها فى سبيل كسب الرزق مثل حمل صناديق الخردوات على ظهورهم والتجوال فى ضواحى لندن بغية بيعها للمزارعين وأهل الريف، وأمام هذا الكدح من أجل الحصول على لقمة العيش كان من الطبيعى أن يتحول بعضهم إلى المسيحية الانجليكانية . كما أصبحت فرص

اندماج الأغنياء والموسرين منهم مع طبقة الحكام الانجليز أوسع وأيسر.
وتعتبر عائلة روتشيلدز نموذجا على نجاح بعض أثرياء اليهود فى الاندماج مع حياة الطبقة الانجليزية الراقية كانت انجلترا عام ١٨١٥ مشتبكة مع جيوش نابليون فى حرب ضروس طاحنة وبدا أن لنابليون قصب السبق . غير أن عميد عائلة روتشيلدز واسمه ناثان مايرز راهن على انتصار انجلترا على فرنسا الأمر الذى دعاه إلى مساندة الانجليز فى أحلك الأوقات وبالفعل راهن روتشيلدز على الحصان الفائز فقد انتصر الانجيلز على نابليون فى معركة واترلو الشهيرة . وبعد وفاة عميد العائلة تولى ابنه ليونيل أمرها ، وكان ليونيل رجلا كريما مضيافا ومحسنا عظيما لا يفرق فى كرمه واحسانه بين اليهود وغير اليهود .
واستطاع بأريحيته أن يجتذب الحكام الانجليز اليه ويستميلهم إلى جانبه فأصبح بيته ملتقى علية الانجليز من السفراء والاساقفة وكبار رجال الدولة ؛ لدرجة أن دزرائيلى وصفه بأنه اكرم من قابله فى حياته واستمد منه الصورة التى رسمها لأدريان فى كتابه انديميون . زد على ذلك أن أخوى ليونيل أنفقا مالهما بسخاء على الفن والرياضة مما حبب الانجليز فى عائلة روتشيلدز التى ربطتها أوثق العواطف بالطبقة الانجليزية الحاكمة.

ومن دلائل توثق العلاقة بين أثرياء اليهود وعلية القوم من الانجليز أن دوق ساسكس آنذاك تعلم اللغة العبرية وأن صديقه الحبر اليهودى هيرشل وصفه بأنه صديق اسرائيلى ونصير مفعم بالحماس للعدالة

والانسانية والجود والكرم . وآثرت بعض العائلات اليهودية لأسباب سياسية واجتماعية أن تعتنق المسيحية فى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر الأمر الذى أدى إلى اندماج هؤلاء اليهود الكامل بالطبقة الانجليزية الحاكمة . وزاد فى هذا الاندماج إقدام كثير من اليهود السفارديين على الزواج من المسيحيات فضلا عن أن انجلترا فى أوائل القرن التاسع عشر شاهدت نشاطا محموما لتحويل اليهود إلى الديانة المسيحية الأمر الذى أسهم فى خلق جو من التعاطف مع اليهود الذى بدأ يحل محل التحيز السابق ضدهم ، فلا غرو إذا رأينا انتشار حركة اصلاح انجليزية داعية إلى تحرير اليهود مما يرسفون فيه من قيود ومعوقات.

ولكن الطريق أمام اليهود الانجليز الاثرياء لم يكن سهلا أو مذللا على الدوام ؛ فقد اغتاظ الأرستقراط الانجليز المفلسون من كونهم تحت رحمة اليهود الذين اعتمدوا عليهم فى اقتراض المال ولكن مثل هذا الغيظ لم يحل فى نهاية الأمر دون اندماج الموسرين من اليهود فى نسيج الطبقة الانجليزية الارستقراطية التى ظلت تتقلد مقاليد الحكم فى البلاد منذ منتصف القرن الثامن عشر كما يتضح من شكوى المفكر السياسى الانجليزى المحافظ بيرك من سيطرة الارستقراطية الانجليزية المنحلة على مجلس العموم الأمر الذى جعل هذا المجلس لا يعبر عن حقيقة مشاعر الأمة البريطانية وطموحاتها وأيضا ارتفعت أصوات الكاثوليك فى أيرلندا بالشكوى من استبعادهم من البرلمان الانجليزى .

وفى عام ١٨٢٩ تحسنت الظروف بعض الشئ فقد شاهد هذا العام الغاء القانون الذى يلزم شاغلى الوظائف العامة بالتناول، ومع ذلك فقد استمر العمل بقانون ١٦٧٨ الذى يلزم أعضاء مجلس العموم واللوردات بالقسم على مناصرة البروتستانتية ومناهضة الكاثوليكية ولهذا قرر الكاثوليك مواصلة الكفاح ضد القوانين المجحفة بهم والمتحيزة للبروتستانت ضدهم وقد أحيا هذا الكفاح الكاثوليكى - من أجل اعتراف المجتمع الانجليزى بحقوقهم - الأمل فى صدور اليهود بأن تتغيرالقوانين ويرد اليهم اعتبارهم وحقوقهم فى التمثيل النيابى ولكن الدوق ولنجتون - الذى كان قد أثار حفيظة البروتستانت بسبب تبنيه سياسة تحرير الكاثوليك البالغ عددهم سبعة ملايين - لم يجرؤ على اتباع هذه السياسة الليبرالية المتحررة مع اليهود . ولكن اليهود الذين شجبوا مبدأ حرمانهم من دخول البرلمان - واصلوا النضال لحمل المجتمع الانجليزى على الاعتراف بحقوقهم ولهذا تحالفوا مع العناصر الليبرالية لإجبار البرلمان عام ١٨٢٩ على مناقشة مشكلتهم ونجحت العناصر الليبرالية فى انجلترا فى جمع آلاف التوقيعات على الالتماسات المؤيدة لمطالب اليهود وبلغ التعاطف مع اليهود ذروته عندما تمكنت القوى المتحررة من الحصول على تأييد نفر من ألمع الرجال فى المجتمع الانجليزى أمثال إيزاك ليون جولد سميد واللورد هولاند والماركيز لاندز داون ودوق ساسكس . ولكن البرلمان رفض مناقشة موضوع السماح لليهود بدخول البرلمان الانجليزى بأغلبية ٢٢٨ صوتا

مقابل ١٦٥ صوتا. ولكن هذه الهزيمة المؤقتة لليهود لم تفت فى عضدهم وخاصة بعد أن لاحت بوادر التغير عام ١٨٣٢ فى التركيب الطبقى للبرلمان الانجليزى فقد بدأ نفوذ الطبقة الارستقراطية يأفل كما بدأ نفوذ الطبقة الوسطى يتعاظم وعندما طرح موضوع دخول اليهود البرلمان الانجليزى للاقتراع للمرة الثانية وجد من يدافع عنهم بحرارة ، فقد عبر السير روبرت بيل عن تأييده لمشروع القانون . قال بيل بتاريخ ١٧ أبريل ١٨٣٣ ان البرلمان الانجليزى غيرمفوض بمعاقبة اليهود لأن أجدادهم سفكوا دم السيد المسيح منذ نحو الفى عام ، ومع هذا فقد انهزم مشروع القانون فى مجلس اللوردات . ورغم هذه الهزيمة فقد استجدت تغيرات تحررية فى المجتمع الانجليزى كانت لصالح اليهود فى نهاية الأمر .. ومنها الغاء بعض القيود المفروضة على التجار اليهود.. والتى كانت تمنعهم من افتتاح المتاجر فى بعض الأماكن والأحياء فى قلب المدينة. فضلا عن أن محاميا يهوديا اسمه فرانسيس هنرى جولد سميد طلب من الهيئة القضائية استثناءه من القسم بالايمان بالمسيحية فأجيب إلى طلبه وليس من شك أن مثل هذه الأحداث كانت انتصارات حققها اليهود فى طريقهم إلى اكتساب حقوقهم النيابية.

وهناك دلائل أخرى على حدوث تغيرات ليبرالية مماثلة فى المجتمع الانجليزى فى أوائل القرن التاسع عشر ويتضح هذا من الخطاب الذى نشره المؤلف المسرحى ريتشارد كمبرلاند عام ١٧٩٨ فى صحيفة الأوبزرفر ، والذى دعا فيه إلى ضرورة معاملة اليهود بروح التسامح

والانسانية.. وتخبرنا المجلة الشهرية باشتراك اليهود والمسيحين فى عقد اجتماع فى لندن عام ١٨٢٨ للاحتجاج على السياسة الوحشية التى اتبعها قيصر روسيا فى معاملة اليهود ، وبديهى أن هذا الاحتجاج المشترك لم يكن ممكنا لولا حدوث تغيرات ليبرالية فى المجتمع الانجليزى فى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر.

ولم تخل كتابات المؤرخين ورجال الدين الانجليز فى أوائل القرن التاسع عشر من الثناء على اليهود ودورهم الحضارى فى تقدم الجنس البشرى ؛ ففى كتاب «تاريخ اليهود» الذى الفه ميلمان رئيس قساوسة كنيسة القديس بولس بلندن نراه يشيد بدور اليهود فى استحداث فكرة وحدانية الله فضلا عن أنه يبرز فضل الدين اليهودى على كلا الدينين المسيحى والاسلامى . وفى نفس العام (١٨٢٩) نشر القس تشارلس فوستر كتابا بعنوان «إماطة اللثام عن الاسلام» عدد فيه أفضال اليهود على تقدم أوربا أما التحمس المسيحى التبشيرى المغالى فيه والهادف إلى تحويل اليهود إلى المسيحية وجد من يعارضه من كل من اليهود والمتسامحين من المسيحيين ومن دلائل زيادة الاهتمام باليهود ومشاكلهم ذلك الكتاب الذى ألفه وليم براون عام ١٨٢٠ بعنوان أزمنة اليهود الموغلة فى القدم.

ولكن ظهور هذه النغمة المتسامحة نحو اليهود لا يعنى اختفاء النغمة المتعصبة ضدهم كما يتضح لنا من كتاب «تاريخ اليهود الموجز» الصادر عام ١٨١٣ «كذلك ما نشرته مجلة الجنتلمان الصادرة فى نفس هذا

العام وتقول مجلة لندن كرونيكل في عددها الصادر في ١٨ ابريل عام ١٨٠٥ إن المدارس الانجليزية الخاصة يجب أن تسمح لأولاد اليهود بالالتحاق بها وأن تلقنهم نفس التعاليم التى يتلقنها الاطفال المسيحيون. ومن الغريب أن المفكر السياسى والاجتماعى البارز وليم كوبيت (١٧٦٢- ١٨٣٥) الذى يشير إلى مدى النجاح التجارى الكبير الذى حققه اليهود فى المجتمع الانجليزى لا يسمح بالتهاون معهم ومعاملتهم برفق ولين وكذلك كان الأديب المعروف تشارلس لامب (١٧٧٥- ١٨٢٤) لا يحمل الود لليهود ويعترف بأن تحيزاته القديمة ضدهم لم تفارقه .

غير أن الأديب الكبير وليم هازليت (١٧٧٨ - ١٨٣٠) عبر عن وجهة نظر مغايرة تماما فقد دافع بقوة عن تحرير اليهود في مقال نشره فى مجلة التاتلر قال فيه إن تحرير اليهود ليس سوى خطوة طبيعية نحو التقدم الحضارى ويستهجن هازليت تصرفات أهل روما غير اللائقة مع اليهود فهم يعقدون مباريات فى يوم الجمعة العظيمة يتسابق فيها اليهود وهم عرايا كما يستهجن حبس اليهود داخل الاسوار فى أحياء معينة لا يستطيعون مغادرتها . ويلتمس هازليت العذر لتحفظ اليهود وعزوفهم عن مخالطة الناس وشكهم فيهم ويعزو هذا إلى سوء معاملة المجتمع المسيحى لهم. ويشرح هازليت سبب اشتغال اليهود بالتجارة المتنقلة مثل بيع الخردوات والأقمشة بقوله إن اليهودى لا يطمئن على ماله إلا إذا حمله فوق ظهره فهو يعيش غريبا وسط بحر متلاطم من العداوة

والبغضاء ويعترف هازليت بالفضل إلى اليهودية فى ترسيخ فكرة الوحدانية والنظام الاخلاقي وهو يردد المحاجة القائلة بأنه من الظلم أن نحاسب شعبا على حادثة صلب المسيح التى مر عليها نحو الفى عام . وأيضا تقدم الأديب توماس بانجتون ماكولى (١٨٠٠ - ١٨٥٩) فى دفاعه عن اليهود بمحاجة شديدة القرب من المحاجات التى يسوقها هازليت . الامر الذى جعل بعض الباحثين يعتقدون أن هذين الأديبين استمدا مادتهما من مصدر واحد هو النبذة التى تدور حول اليهود التى سطرها فرانسيس هنرى جولد سميد عام ١٨٢٩ .

وبطبيعة الحال شجع دفاع الأقلام الانجليزية عن اليهود كثيرا من الكتاب اليهود للدفاع عن أنفسهم أمثال الدكتور برنارد فان أوفن الذى نشر عام ١٩٢٩ كتابا بعنوان «مناشدة موجهة إلى الأمة البريطانية للدفاع عن اليهود بالنيابة عنهم» والنبذة التى نشرها جولد سميد عام ١٨٣٠ بعنوان «ملاحظات حول المعوقات المدنية التى تعترض طريق اليهود» . الى جانب نبذتين قام دافيد سولوفز بتأليفهما بعنوانى «حول قسم دخول البرلمان» و «تغيير القسم» وفى المقالات العديدة المدافعة عن اليهود تلك التى نشرتها صحيفة التايمز اللندنية فى الفترة بين ١٨٣٠ - ١٨٣١ وهى بقلم لاملى دافيد . فضلا عما كتبه ريدلى هـ. هيرشل عام ١٨٣٣ بعنوان «اسكتش موجز عن حالة اليهود وتوقعاتهم» الى جانب مقالات متنوعة نشرتها «مجلة

تشامبرز أدنبرة جورنال» و«وستمنستر ريفيو» و «فريزر ماجازين» و«أدنبرة ريفيو» .

عندما تقلدت الملكة فيكتوريا مقاليد الحكم فى انجلترا عام ١٨٣٧ قدر المؤرخون عدد اليهود فيها بثلاثين ألف يهودى ، عاش في لندن وحدها عشرون ألفا منهم . ويذكر بعض المؤرخين أن يهود لندن تشبهوا بالانجليز فى مسلكهم وعاداتهم ولكن المدقق لاحظ بعض القسمات الشرقية فى ملامحهم بجانب أخطائهم فى نطق حرفى الواو والياء الانجليزيين . وبالاضافة إلى ذلك أصابت عائلات يهودية ثراء عريضا مثل الجوليدز وأكمولتراس والفيليبس وسولومونز المونتفيورس . الامر الذى أثار حفيظة الفقراء والمعدمين من الانجليز غير أن هذه الحفيظة لم تزعزع مكانة هذه الاسر الحصينة فى عالم المال والأعمال.

وفى نحو منتصف القرن التاسع عشر كانت الدول الأوربية على أعتاب ثورة اجتماعية وسياسية عاصفة . وفى ألمانيا اندلعت بالفعل نيران هذه الثورة عام ١٨٤٨ ، وهى ثورة قادها مفكرون يهود كبار أمثال لودفيج بورن وهنريتش هينى وكارل ماركس وفيردناند لاسال ، وشعرت انجلترا آنذاك بدنو لهيب الثورة منها . لم تهب رياح التغيير على الدول الأوربية فقط بل إن المجتمعات اليهودية نفسها تعرضت من داخلها للتغيير ويمكن القول إن المجتمع اليهودى فى انجلترا انقسم على نفسه من دعاة التجديد والاصلاح وبين المحافظين والمتزمتين الذين يرون فى التغيير تهديدا صارخا لما آمن به السلف الصالح .

وطالب المجـددون بضـرورة توخى المرونة فى تفسـيـر النامـوس الموسـوى وكـذلك السمـاح بأداء الطقـوس الدينيـة فى المعـابد باللغـة اليهودية الدارجة.

بدأت الملكة ڤيكتوريا عهدها بإظهار التسامح نحو اليهود وفى بشائر هذا التسامح أنها أنعمت بلقب سير على يهودى اسمه موسى مونتفيور شغل وظيفة مأمور لندن ويبدو أن سياستها المتسامحة كانت انعكاسا لما اعتمل فى صدور الكثير من الانجليز . وفى هذا الجو السياسى السمح كـان من الطبـيـعى أن يتطلع اليـهـود الى نيل الحـرية والحـصـول على حقوقهم النيابية وخاصة لأن بعضـهم أصبح قوة لايستهان بها بسبب امـتـلاكـهم للأراضى والمصـانع ، فضـلا عن أنهم شـاركـوا الشـعب الانجليزى فى تحمل الأعباء الضريبية . وفى عـام ١٨٣٢ عندمـا قدم مشـروع اعطاء اليهود حقوقهم السياسـيـة على البرلمان كـان اللورد الليبـرالى هولاند على رأس المدافعين عن مشروع القانون ونصح هولاند اليـهـود بالتحلى بالصبر واحـتمال المكاره حتى تتحـقق آمـالهم وتتكلل مساعيهم بالنجـاح . وجاء المحك الحقيقى لاختبار سماحة الانجليز تجاه اليهود على نحو ما أسلفنا فى عام ١٨٤٧ عندما أنتخبت مدينة لندن فى الاقتراع العام يهوديا محبوبا لدى الجميع هو الثرى المعروف البارون ليونيل روتشيلد وتحـقق التسـامح على أرض الواقع عندمـا وضع اسم هذا الثرى على رأس القـائمـة الانتـخـابية جنبا إلى جنب مع اسم رئيس الوزراء المعروف جون راسل الذى قال فى مجلس العموم: «انه من المفيد

فى الوقت الحالى إزالة كل المعوقات المدنية التى تعترض طريق رعايا جلالة الملكة اليهود حتى يتساووا مع رعايا جلالتها من المؤمنين بالمذهب الكاثوليكى» . وصوت مجلس العموم بأغلبية كبيرة لصالح انتخاب هذا اليهودى الثرى . ولكن مجلس اللوردات على نحو ما أسلفنا وضع العراقيل أمام روتشيلد بأن طلب منه أن ينكر يهوديته بأداء اليمين الدستورى المسيحى ، وكما نذكر تكرر انتخاب روتشيلد عام ١٨٥٠ ولكن العراقيل وضعت أمامه للمرة الثانية وفى تلك الأثناء تصرف روتشيلد الجريح بإباء وشمم جعله محل اعجاب أعضاء المجلس النيابى فقد رفض هذا اليهودى القسم بغير دينه وغادر المنصة متوجها إلى مقصورة الزوار وفى عام ١٨٥١ وقعت حادثة مشابهة . فقد تم انتخاب القاضى المأمور اليهودى دافيد سالومون عضوا فى مجلس العموم عن دائرة جرينتش فرفض أيضا القسم بالدين المسيحى وبطبيعة الحال تسبب ذلك فى اشعال جذوة المشاعر الطائفية بين غلاة المسيحيين واليهود واحتدم النقاش بين مؤيد لليهود ومعارض لهم . وفى عام ١٨٥٣ طرح هذا الموضوع على بساط البحث فى البرلمان فقرر جون برايت انه من السخف أن يصر المجلس على مراعاة هذا الإجراء الشكلى قائلا : «دعنا إذن نتغلب على هذه المشكلة التى تناقش عاما بعد عام ، وفوق هذا كله دعنا نرى مجلس العموم فى انجلترا يفتح أبوابه أمام الناس العاديين من الانجليز كما أنه من حق العضو المنتخب أيا كانت عقيدته الدينية أن يأخذ مقعده فى المجلس وأن يصوت فى جميع المسائل المتعلقة بتشريعات هذه المملكة ».

وأيضا ألقى اللورد ليند هيرست خطابا أمام مجلس اللوردات دافع فيه عن حق اليهود في التمثيل النيابى وبحلول شهر مارس ١٨٥٨ حلت المعضلة بأن تم تعديل الأجزاء على نحو سمح لليونيل روتشيلد بالقسم بالتوراة بدلا من المسيحية، وأن يستبدل القسم بدين المسيحى الحق بالكلمات التالية «يا اله يهوا قدم لى العون والمساندة» .

وليس من شك فى أن الصحافة الانجليزية آنذاك عكست مدى الاهتمام الشديد الذى أولاه المجتمع الانجليزى لمشكلة اليهود . والجدير بالذكر أن اليهود أسسوا فى لندن فى الفترة بين عامى ١٨٤١ و ١٨٤٢ صحيفة باسم «صوت يعقوب» نذرت نفسها للدفاع عن المصالح اليهودية. وساعد على تقبل المجتمع الانجليزى للوجود اليهودى أن كثيرا من اليهود أظهر سماحة دينية . وذهب كاتب يهودى فى مقال نشرته فاميلى هيرالد بتاريخ ١١ سبتمبر ١٩٤٧ الى أن تعصب بنى جلدته الذميم وعزلتهم وانفلاتهم هو أساسا المسئول عن كراهية عامة الناس للعنصر اليهودى ولكن صورة اليهودى كبائع روبابيكيا ظلت تلح على أذهان الناس كما هو الحال في الكتاب الذى نشره بول براى عام ١٨٣٨ بعنوان «الأمور الغريبة فى الحياة الحقيقية» . ومما يذكر أن الروائى الانجليزى وليم ثاكراى سطر قصيدة يرجع تاريخها الى ١٨ مايو ١٨٣٣ تتضمن وصفا لناثان روتشيلد وفى عام ١٨٥١ نشر البعض اسكتشا لثرى يهودى هو السير جولد سميد الذى قيل عنه إنه أظهر كرما متناهيا مع المسيحيين وكرما محدودا مع بنى جلدته . ويعطينا

الاسكتش المشار اليه مثلا آخر على طيبة قلب وأريحية الثرى اليهودى سالمونز الذى عرف بإحسانه إلى كل من اليهود والانجليز .

لقد سبق لنا أن تحدثنا عن زيجات تتم أحيانا بين المسيحيين واليهود ونحن نطالع قصيدة تعالج هذا الموضوع على نحو ساخر نشرتها المجلة الانجليزية الصادرة في لندن عام ١٨٦٣ ويستطيع الدارس أن يلاحظ مدى انشغال المجتمع الانجليزى بقضية اليهود من مطالعة مجلة باتش التى تبنت موقفا من اليهود يتأرجح بين العداء والسخرية الهازلة . ومن الأقلام الساخرة التى أسهمت بمقالاتها عن اليهود فى هذه المجلة الكاتب الفكاهى الساخر دوجلاس جيرولد (١٨٠٣ – ١٨٥٧) . ويعتبر توماس كارليل من أبرز الأدباء الانجليز المعادين لليهود فقد عاب عليهم افتقارهم للدعابة واتهمهم بأن شاغلهم الشاغل هو جمع المال والذهب والمجوهرات أو الاتجار فى الملابس القديمة ويتضح من الخطاب الذى أرسله توماس كارليل إلى مارجريت كارليل انه غير مستريح إلى انتخاب اليهود كأعضاء فى مجلس العموم ويقال إن البارون روتشيلد عرض على توماس كارليل أن يكتب نبذة للدفاع عن اليهود مقابل أى مبلغ يحدده ولكن كارليل رفض هذا العرض وكذلك شنت مجلة بلاك وود ماجازين فى عددها الصادر في شهر ديسمبر ١٨٤٧ هجوما على دخول اليهود البرلمان جاء فيه : «لا يمكننا أن نقف مكتوفى الأيدى حين تكون هناك نية واضحة لادخال ملة تعتبر المسيحية فرية كبيرة فى مجلس تشريعى مسيحى وتعتبر مؤسسها دعيا (ونحن

نرتجف من هول هذه الكلمات) كما تعتبر أملنا فى الحياة الأبدية القائم على تضحيته وجدارته وهما شريرا وتجديفا . إن البرلمان فى انجلترا يحكم على كل شئ ونحن إلى حد ما نجعل هذا البرلمان سيدا علينا ونحن إذا فتحنا أبواب البرلمان لدخول اليهود فيه فاننا فى واقع الأمر نفتح أمامهم أبواب القوة ، هى قوة يجب عليهم استخدامها ضدنا إذا كانوا يؤمنون بعقيدتهم ايمانا حقا فالمسألة إذن ليست مجرد تنظيم لإدارة البلدية ولكنها تمثل جوهر الحياة لديننا وماذا ينبغى على انجلترا أن تفعل فى هذا اللحظة؟ عليها أن ترفع سيلا كاسحا من الالتماسات المعارضة وعلى رجال الكنيسة فيها أن يجتمعوا ويقطعوا العهد على أنفسهم بأقصى درجة من الوقار التصدى لهذا التجديد الفتاك ومقاومته وعلى أساقفتها أن يتزعموا هذه الاجتماعات ويتقدموا لأداء واجبهم فى رجولة» . ونشرت نفس هذه المجلة عام ١٩٤٨ مقالا آخر يهاجم السماح لليهود بدخول البرلمان الانجليزى ورد فيه :

«إن اليهود يقيمون مطلبهم على شئ واحد هو ثراء البعض منهم ولن نحط من أنفسنا فنسأل عن أسلوبهم فى جمع ثرواتهم وكيف ينفقون هذه الثروات ويجب على الرأى العام أن يفيق فيتخذ الاجراء المناسب يجب علينا ألا نغرق فى تراخينا وتكاسلنا فنعتمد فقط على اعتراض مجلس اللوردات إنهم قد يؤدون واجبهم ولكن يجب علينا أن نؤدى واجبنا فنمنع اليهود من دخول التشريع المسيحى» .

ورغم أن الاكليروس الانجليزى فى مجملهم اعترضوا على السماح

لليهود بدخول البرلمان فإن بعضهم ناصر اليهود ووقف بجانبهم مثل رئيس الأساقفة واتلى الذى ألقى خطابا نشره عام ١٨٢٣ بعنوان «مجلس اللوردات» قال فيه : «لاينبغي أن تقف معتقدات أى انسان الدينية حائلا دون حصوله على حقوقه المدنية طالما أنه لا يتحرش بجيرانه وإن رجولتنا تتطلب منا أن نتوخى ضمائرنا فندين أنفسنا قبل أن ندين إخوتنا الآخرين ممن يرتكبون أخطاء دينية مهما كانت هذه الأخطاء فادحة ويدينون بمعتقدات سخيفة ، ومهما بلغت سخافتها فهذا لا ينبغى أن يمنعنا بوصفنا المشرعين المدنيين للأمة من معاملة هؤلاء الآخرين كمواطنين صالحين مادامو يتمتعون بالكفاءة ويبدون استعدادا للتصرف كمواطنين صالحين» . نحن نرى كاتبا يكتب فى صحيفة الأجزامينر عام ١٨٥٧ مقالا يسخر فيه من الرأى المحافظ القائل بضرورة وضع البارون روتشيلد فى المشرة ليتفرج عليه الرائح والغادى بدلا من وضعه على مقعد فى مجلس العموم .

ويستطرد هذا الكاتب فى سخريته فيقول إن عقاب المشهرة ليس كافيا بل لابد من العودة إلى ممارسات القمع والاضطهاد التى كان اليهود يكابدونها فى الماضى كما يجب ابتزازهم والاستيلاء على ثرواتهم.

وتلقى الصحف البريطانية الصادرة فى النصف الأول من القرن التاسع عشر الضوء على تزايد اهتمام البريطانيين بتتبع أخبار اليهود الذين يعيشون خارج انجلترا ، ففى عام ١٨٥١ كتب أحد اليهود مقالا

قارن فيه بين حسن المعاملة التى لقيها فى انجلترا وسوء معاملة اليهود فى البلاد الأوربية ، الأمر الذى حفزه إلى القول بأن حسن معاملة الانجليز له جعله لا يفكر مطلقا فى مغادرة الأراضى الانجليزية وأيضا عبر بعض الرحالة الانجليز عن استيائهم لسوء معاملة الايطاليين لليهود. ويذكر أحد الرحالة ممن سافروا إلى سوريا انه يأسى للخسف الذى يلحق باليهود فى هذه البلاد رغم أنهم شعب الله المختار وورثة الأنبياء . ومن أبرز الكتب التى تشرح مدى الظلم الذى تعرض له اليهود فى روسيا ذلك الكتاب الذى نشره توماس هود (١٧٩٩ - ١٨٤٥) عام ١٨٣٩ بعنوان «فوق نهر الراين » حيث نطالع صورة حية لما لقيه اليهود فى المانيا آنذاك من خسف . والرأى عند توماس هود أنه ليس من الطبيعى أن يتوقع البروسيون أن يشاركهم اليهود حبهم الشديد وولاءهم العظيم للوطن ، فرغم أنهم يؤدون نفس الواجبات القومية التى يؤديها البروسيون فإن الدولة البروسية تفرض عليهم ضرائب أكثر وتطلب منهم أن يبذلوا جهدا أكبر دون أن يتمتعوا بما يتمتع به البروسيون من حقوق المواطنة ويضيف توماس هود أن الشاعر الألمانى العظيم هايتى معذور فى توجية الاهانات إلى روسيا وشتمها لأن سكان فرانكفورت التى شب فيها وترعرع كانوا يحتفلون ببعض المناسبات المسيحية ككسر زجاج نوافذ البيوت التى يسكنها يهود هذه المدينة . وعلى العكس من ذلك نرى أن أهالى لندن يعينون مأمورا يهوديا فى مدينتهم الأمر الذى أثار حفيظة بعض الانجليز. وبعد أن يعدد الكاتب سلسلة المظالم التى اختفت

من العالم بسبب التقدم الحضارى نراه يقول إنه يتمنى أن تختفى مضايقة المسيحيين لليهود وتحرشهم بهم من أجل مراعاة المبادئ المسيحية الحقة.

وأشارت كتابات بعض الرحالة إلى الثراء الذى أصابه اليهود فى مختلف بلاد العالم ، ففى ٢٥ مايو عام ١٨٣٣ يعطينا ريتشارد مور الرحالة الذى جاب بلاد البحر المتوسط وصفا لأوضاع اليهود فى مراكش أو بلاد المغرب . يقول هذا الرحالة عن بيوت اليهود فى مراكش انها تدل على الثراء فهى تحتوى على الأثاث الوثير فضلا عن أن اليهود هناك يرفلون فى ملابس حريرية كما أن اليهوديات يتحلين بالجواهر والمجوهرات حتى الفقراء اليهود يتمتعون بمستوى معيشى مرتفع ، كما أنهن لا يخفين وجوههن مثلما تفعل النساء العربيات اللائى يتمتعن بقسط وافر من الجمال . ويضيف هذا الرحالة انه ينزل فى بيت يهودى محترم له ابنتان لهما بشرة رقيقة وشعر أسود فاحم وعيون كحيلة واسعة وفى عام ١٨٢٧ نشر الدكتور مايكل راسل كتابا عن فلسطين والأراضى المقدسة جاء فيه أن النظرة المتمعنة تدل على أن شعب اسرائيل عند نشأته ترك أعمق الأثر فى الفكر الانسانى والحضارة الانسانية ويعتبر چورج بورو (١٨٠٣ - ١٨٨١) واحدا من أكثر الكُتّاب استفاضة فى الكتابة عن حياة اليهود فى البلاد الأوربية ، وتتضمن صفحات كتابه «الكتاب المقدس فى أسبانيا» الصادر عام ١٨٤٣ معلومات عن يهود أسبانيا وتدل جميع

الاشارات إلى اليهود على تعاطف المؤلف الواضح نحوهم والبعد عن التعصب ضدهم .

ومع زيادة رقعة التسامح والعطف على اليهود ازداد عدد الكتاب والأدباء المتحمسين لهم ومن بينهم كاتبة يهودية برتغالية تدعى جريس أجويلار (١٨١٦ - ١٨٤٧) وفى روايتها «وادى الأرز» التى ألفتها قبل عام ١٨٣٥ ونشرتها عام ١٨٥٠ تروى جريس أجويلار قصة هرب أجدادها من محاكم التفتيش الأسبانية والرواية تلقى الضوء على حياة اليهود فى أسبانيا فى القرون الوسطى حيث تعرضوا عام ١٣٩١ للمجازر الوحشية فقد ذبح منهم أربعة آلاف فى أشبيلية وألفان فى قرطبة وهددهم الأسبان بالموت إذا هم رفضوا اعتناق الدين المسيحى فاضطروا إلى التظاهر باعتناقها واستبد الغيظ بالسلطة الكنسية عندما أدركت أن اليهود يخدعونهم ويتلاعبون بهم فشددت محاكم التفتيش عليهم النكير وتقع أحداث الرواية فى وادى الأرز فى مدينة توليدو الأسبانية حيث نجد يهوديا يختفى فى مخبأ هربا من ملاحقة محاكم التفتيش ويستقر هذا اليهودى الهارب مع عائلته فى هذا الملاذ الآمن ويقع أحد الأثرياء الأسبان فى غرام حفيدته ظنا منه أنها تدين بنفس ديانته المسيحية، وعندما يكتشف المسيحيون أن الفتاة لاتزال على دينها اليهودى يحكمون عليها بالموت حرقا ولكن قلب الملكة ايزابيلا يرق لها فتساعدها على الهرب الى وادى الأرز مسقط رأسها، وتخبرنا المؤلفة فى المقدمة التى صدرت بها قصصها أن هذه القصص لا تعدو أن تكون

سجلا لشعب يجهل الكثيرون تاريخه الحديث ولا يعرفون سوى تاريخه القديم . وتستطرد المؤلفة قائلة إن الكتاب المحدثين يتجاهلون فى كتاباتهم صنوف الاضطهاد الذى لحق باليهود فى القرون الوسطى فضلا عن أنهم يجدون ما يبرر اضطهاد اليهود باعتبارهم قتلة المسيح الذين جاءهم المسيح بالخلاص فأبوا واستكبروا ، وتعلق المؤلفة على هذا بقولها إن الكاثوليك والبروتستانت سفكوا دم بعضهم البعض ومع ذلك فإن هؤلاء الكتاب ينظرون إلى هذا على أنه دليل على استمساك كل طرف بدينه وعقيدته فى حين أنهم ينكرون على اليهودى الذود عن عقيدته.

وأيضا ألفت جريس أجويلار رواية بعنوان «جوزيفين» تستمد مادتها من المرسوم الذى أصدره فرديناند ملك أسبانيا وايزابيلا ملكتها عام ١٤٩٢ والذى يتهم اليهود بغواية نبلاء اسبانيا لاعتناق الدين اليهودى ولهذا أصدر أمرا بطردهم من البلاد وتحتوى هذه الرواية على أغنية حزينة تعرف بأغنية «المنفيون» التى تعبر عن أحزان شعب اسرائيل المضطهد فضلا عن أن جريس أجويلار ألفت اسكتشا تاريخيا بعنوان «الهروب» الذى يحكى عن يهودى حاد الذكاء اسمه «ألفار رودريجيه» يرفض الاستكانة والخنوع وألفار واحد من كثير من الأسبان والبرتغاليين الذين مارسوا طقوس عقيدتهم اليهودية فى السر فى حين تظاهروا باعتناق «الكثلكة» ، ولكن ضمير ألفار لم يكن مستريحا لهذا الخداع والولاء المزدوج الأمر الذى أثار شكوك الكنيسة فيه فتلقى

القبض عليه وتقديمه إلى المحاكمة أمام محاكم التفتيش وخشى اليهود أن يضعف الشيخ زميلهم أمام التعذيب فيفشى سرهم ولكنه صمد كالطود الأشم أمام الاضطهاد . ويحدث فى البلد زلزال عظيم فينتهز الفار هذه الفرصة السانحة ليهرب برفقة زوجته من أسبانيا إلى انجلترا . ويحرص أبناؤهما وأحفادهما على الاحتفال بانتظام بمناسبة نجاتهما من الاضطهاد ويوزعون العطايا على عدد من الفقراء والمحتاجين .

وللمؤلفة قصة أخرى بعنوان «الهارب» تدور حول يهودى يدعى جوداه أزافيدو التاجر الأسبانى الثرى الذى هاجر من أسبانيا إلى إنجلترا حيث اعتبره الانجليز واحدا من طبقة النبلاء البرتغالية وتروى لنا القصة تجارب ابن جوداه بين الانجليز وكيف أن شعورا مستمرا بالاضطهاد نغص عليه حياته فقد كان يظن أن الانجليز يهزأون به فى كل مكان يذهب إليه . ويقرر هذا الابن أن يغادر انجلترا ويذهب الى الشرق حيث زار كل الأماكن الشاهدة على اضطهاد أجداده وأسلافه عبر تاريخهم الطويل .

وهكذا كرست جريس أجويلار أدبها لتذكير اليهود ببطولة أجدادهم وبالمعاناة الكبيرة التى كابدها أسلافهم فى أسبانيا والبرتغال وحث الانجليز على اظهار المزيد من العطف نحوهم وتشكو مؤلفتنا فى كتاب نشرته عام ١٨٥١ بعنوان «مقالات ومتنوعات» أن اليهود مازالوا يعتبرون غرباء وأجانب وأن استمساكهم بعقيدتهم الدينية القديمة يقف عائقاً أمام العطف عليهم ، والعالم لا يعرف عنهم إلا النزر اليسير ويكاد

أن يكون عاجزاً عن فهمهم . وتدافع المؤلفة عن اليهود الانجليز قائلة انهم يهود فقط من حيث الديانة ولكنهم انجليز في كل شئ آخر ؛ وتأسى جريس اجويلار لأن انجلترا التى قطعت شوطا فى طريق التسامح مازالت تعامل اليهود على نحو بغيض رغم انهم جزء من سدة المجتمع الانجليزى ولحمته ، ومن ثم فإنهم يستحقون أن يتمتعوا بكل ما يتمتع به أقرانهم الانجليز من مزايا . تقول جريس اجويلار فى مقالها «نساء اسرائيل» (١٨٥١) أن الكتاب الانجليز يخطئون فى أغلب الأحيان عندما يعتمدون على انطباعات بالية ورثوها عن الماضى فى رسم صورة لليهود أو عندما يأخذون بعض الحالات الفردية ثم يقومون بتعميمها، هذا التصور الخاطئ لليهود يرجع إلى الاعتقاد بأنهم يجب أن يكونوا مختلفين عن سائر البشر. وتؤكد جريس أجويلار بأنه إذا كان هناك ثمة خلاف فهو لا يعدو أن يكون خلافا فى الدين والملامح والقسمات الفيزيقية فى حين أنهم مثل جميع البشر بينهم الصالح والطالح والخير والشرير. والرأى عند هذه الكاتبة انهم فى مجملهم يتسمون بالفضائل أكثر من الرذائل فالسواد الأعظم منهم يتميز بالاجتهاد والنظام والاعتدال والرضا فضلا عن أن يهود انجلترا يضعون كل أموالهم وثرواتهم فى خدمة هذا البلد الذى أصبح مستقرا لهم . والجدير بالذكر أن مؤلفتنا كانت تستبشر خيرا من مستقبل اليهود فى انجلترا وتتطلع الى شيوع جو من التسامح الدينى تزول فيه المظالم. ويجدر بالذكر أيضا أن أهمية كتابات جريس أجويلار الاجتماعية تفوق أهميتها الأدبية ومع ذلك فلا مناص من الاعتراف بأنها خلقت أدبا

انجليزيا يهوديا ، وقد لقيت كتاباتها التى تمجد بطولة اليهود وتؤكد عراقة تاريخهم وقدرتهم على الفداء وإبائهم وشممهم ذيوعا فى انجلترا فى منتصف القرن التاسع عشر.

وفى عام ١٨٤٣ نشرت هذه المؤلفة كتابا بعنوان «مناظر بيتية ودراسات قلبية» رسمت فيه صورة لأسلوب معيشة اليهود الانجليز المنتمين إلى الطبقة الوسطى كما تعيشها عائلة بيريز وتتكون هذه العائلة اليهودية من زوجين متحابين هما بيريز وراشيل اللذين يعيشان فى بحبوحة ورغد فى ضواحى ليفربول وهى عائلة تخاف الرب وتطيعه وتغرس خشية الله فى نفوس أبنائها ، وتسمع الأم ابنها ذات يوم يقول لأخته أن أحد معارفه وصف اليهود بأنه شعب بلا دين فتضايقت الأم وأفهمت ابنها أن هذا غير صحيح بالمرة وأن اليهودى لا يصح أن يكون يهوديا الا إذا كان مؤمنا بالدين والله وتاريخ اليهود المقدس . واللافت للنظر أن جريس أجويلار تحدثنا عن بعض الأثر الذى بدأت الحياة الانجليزية تتركه فى الحياة اليهودية .

وأيضا ظهرت كاتبتان يهوديتان أخريان هما الآنسة سيليا موسى والآنسة ماريون موسى اللتين تصديتا لتحيز الانجليز ضد اليهود بنشر ثلاثة مجلدات قصصية عام ١٨٤٠ بعنوان «رومانسية التاريخ اليهودى» وتشرح المؤلفتان الظروف والملابسات التى أدت إلى تأليفهما هذه المجلدات فتقولان إن الشعب الانجليزى يخالط اليهود ومع ذلك فهو أجهل ما يكون بتاريخهم ودينهم،وعاداتهم لهذا قررت الكاتبتان أن تلقيا

الضـوء على هذه الجـوانب المجـهـولة من حـيـاة اليـهـود وأن تلفت الانظـار الى مـا جـرى لهم أثناء الشـتات ويذهب بعض النقـاد الى أن الشـخصـيات اليـهـودية التـي رسـمـتـهـا هـاتان المؤلفـتان لا تمثـل اليهود فعلا.

وبالاضـافـة إلى ذلك ألفت سـيليـا مـوسى روايتـين رومـانسـيـتـين إحداهـمـا بعنوان «نيـلا حـياة اليـهـود فى انجلتـرا» والأخـرى بعنوان «يعقوب أو حكاية اليهود فى المانيا» وفى هاتين الروايتين تناشد المؤلفة الانجليز أن يسـعـوا إلى فـهم اكبـر لليـهـود وعطف أعظم عليـهم وتحـدثنا رواية «نيـلا» (التى كـتـبـتـهـا المؤلفـة على غـرار رومـانسـيـة والتـر سـكوت المعروفـة «إيفـانهـو») عـمـا تعـرض له اليـهـود فى المـاضى من اضطهـاد وحشى وتقع أحـداث الرواية فى انجلتـرا فى عـهـد الملك هنرى الثـامن وبطلهـا طبيب يهـودى اسـمـه إفرايم وهـو رجل شـهم يهب لنجـدة كل من يطلب منه المسـاعدة والرواية تتنـاول أيضـا ابنته الحـانية نيلا البـالغة من العمـر سـبعة عشـر عامـا والتى تسـهر على خدمة أمهـا المريضـة ويـتـعرض اليهـود فى الرواية لأعمـال العنف والشـغب ممـا يذكرنا بمـا حـدث لليـهـود فى دمـشق عـام ١٨٤٠ ولكن الذى يخـفـف هذا الجـانب المأسـاوى من الرواية أن اثنين من النبـلاء الانجليـز هـمـا السـيـر ريتـشـارد بوكلنر والبارون تشستر يقومان بإنقاذ هذه العائلة اليهودية من الاضطهاد .

أمـا أحـداث رواية «يعـقـوب» فـتقع فى مـيونيـخ بألمانيا وفـيـهـا نرى حـاكم المدينة يسـأل يهـوديا عن سـبب شكواه فيقول اليـهـودى انه يتـهم

النبيل الكونت أرنست ولشتين بقتل ابنه فتظهر امارات الغضب وعدم التصديق على وجه حاكم المدينة فينخس جواده كي يمضي في عدوه دون أن يلتفت الى أن اليهودى واقف فى طريقه . ويدهس الجواد اليهودى ويكاد أن يقتله فيستنكر أحد المارة أن يتصرف المسيحيون على هذا النحو . وتعطف على اليهودى الجريح امرأة مدقعة الفقر فتطلب نقله الى كوخها القريب للعناية به . ولاشك أن مثل هذه الكتابات نبهت بعض أدباء الانجليز الى أن اليهود الذين يعيشون بين ظهرانيهم لهم حقوق انسانية لاينبغى انتهاكها .

قلنا إن كثيرا من أثرياء اليهود اندمجوا فى الطبقة الارستقراطية الانجليزية وأنهم صاروا . يتمتعون بنفوذ اجتماعى كبير ؛ الأمر الذى شجع العديد من اليهود المضطهدين فى روسيا وألمانيا على الهجرة الى انجلترا طلبا للأمن والأمان . فضلا عن أن تعاظم النفوذ اليهودى فى انجلترا حال دون اندلاع أعمال الشغب ضد السامية فيها فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر . وأدى اندماج هذه الطبقة اليهودية الثرية فى المجتمع الى ارتفاع نسبة تزاوجها مع علية القوم من الانجليز المسيحيين . ولكننا نرى فى المقابل يهودا يعتزون بدينهم وتقاليدهم يرفضون الاندماج فى المجتمع الانجليزى رفضا باتا . ورغم ذلك فقد انجبت أجيال اليهود المتعاقبة أحفادا يستمسكون بتقاليد البلاد التى شبوا وترعرعوا فيها وكأنهم سلالة شكسبير أو وليم الفاتح . وبفضل ما حصلوا عليه من تعليم أصبح هؤلاء اليهود يشكلون جزءا من طبقة

أصحاب المهن الذين أسهموا بنصيب وافر فى الحياة القومية الانجليزية.

ولعلنا نذكر أن مجلس اللوردات اعترض بشدة على دخول اليهود البرلمان الانجليزى . ولكن نفس هذا المجلس قبل عام ١٨٨٥ تعيين اليهودى ناثان ماير روثتشيلد الذى منح لقب لورد عضوا فيه ؛ الأمر الذى جعل اليهود الانجليز يستبشرون خيرا بالمستقبل . ومع ذلك فمن الخطأ أن نظن أن جميع الانجليز كانوا راضين عن وجود اليهود بين ظهرانيهم ، فالطبقة الوسطى الانجليزية ظلت ترتاب فى اليهود وتضيق بجيرتهم فى المسكن ، وتعتبر ثقافة انجلترا ثقافة مسيحية حقة لايجوز لغير المسيحيين ولوجها . وعلى أية حال شعر بعض اليهود بنفس الامتعاض الذى شعر به بعض الانجليز نحوهم وفصلوا فصلا تاما بين ولائهم لدينهم وولائهم الى انجلترا واعتبروا أن مواطنتهم الانجليزية ثمرة كدحهم وكفاحهم واستمساكهم بمبادىء الدين اليهودى الحق الذى يلزم اليهودى بالولاء للوطن الذى يأويه . وبطبيعة الحال شعر نفر من الليبراليين الانجليز بالضيق من اصرار بعض اليهود على عدم الاندماج فى المجتمع .

وشهدت الفترة من ١٨٥٩ الى ١٨٦٥ توسعا هائلا فى التجارة الانجليزية الأمر الذى حفز اليهود الانجليز على المساهمة فى هذا التوسع ، مما جعلهم أندادا لسائر رعايا جلالة الملكة فيكتوريا . وساعد هذا التوسع التجارى أن انجلترا استحدثت وسائل نقل جديدة مثل

السكة الحديدية والبواخر عابرة المحيطات . وسارع اليهود الى الاسهام فى هذا الرواج التجارى ، فعلى سبيل المثال أنشأ اليهودى السير دافيد سالمونز بنك لندن ووستمنستر كما اشتركت عائلة جولد سميد اليهودية فى إقامة أحواض لبناء السفن فى لندن .. فضلا عن أن اليهودى موسى مونتيفيور وقريبه ناثان روثتشيلد اشتركا فى انشاء شركة التحالف للتأمين . وفوق هذا كله ساهم اليهود الانجليز فى إقامة تنظيمات استثمارية كبيرة الحجم . ولكن هذا التوسع الاقتصادى العظيم ما لبث أن أصيب بنكسة فى أواخر الستينات فى القرن التاسع عشر نتيجة الافراط فى المضاربات التجارية والبنكية . فلم يجد الانجليز كباش فداء ينحون عليها باللائمة غير اليهود . وباستمرار الانتكاسة الاقتصادية فى انجلترا فى عقد السبعينات استمر الانجليز فى لومهم للتجار ورجال الأعمال اليهود .

ولكن بالنظر الى المكانة الرفيعة التى بدأ اليهود يحتلونها فى المجتمع الانجليزى فإن الهجوم عليهم لم يفض الى اضطهادهم أو إلحاق الأذى بهم كما كانت الحال فى الماضى أيام الملك جون (١١٦٧ - ١٢١٦) وادوارد الأول (١٢٣٩ - ١٣٠٧) . والجدير بالذكر أن يهود انجلترا كانوا أسعد حظا من يهود روسيا حيث أدى ثراؤهم الى اندلاع المجازر وأعمال العنف ضدهم .

وكما أسلفنا أدى اضطهاد الروس لليهود فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر الى الهرب الى الشواطىء الانجليزية طلبا للأمن

والأمان . ويقدر عدد اليهود الفارين من الاضطهاد الروسى الى انجلترا عام ١٨٨١ - ١٨٨٢ بخمسين الف يهودى أشد ما يكونون فقرا . وأيضا فى عام ١٨٩٠ - ١٨٩١ فرّ من الاضطهاد الروسى والبولندى عشرون ألف يهودى . واستقر معظم اليهود المهاجرين فى حى الايست إند بلندن وفى ليدز ومانشستر . واتجه عدد كبير من هؤلاء المهاجرين الى رتق الأحذية وتفصيل الملابس بأرخص الأسعار ؛ الأمر الذى هدد دخول الانجليز العاملين فى هذه الحرف . وآثر هؤلاء اليهود المهاجرون الجدد التقوقع والانغلاق وضيق الأفق فى الاستمساك بعقيدتهم . فضلا عن تشككهم فى انفتاح أقرانهم من الأجيال اليهودية السابقة عليهم؛ الأمر الذى ساعد على توتر العلاقات بينهم وبين الانجليز . يقول المؤرخ الانجليزى السير والتر بيسانت عن هذه الموجة الأخيرة من المهاجرين اليهود انه رغم ضيق الانجليز من مزاحمتهم لهم فى العمل فليس هناك بالمرة ما يدل على أنهم كانوا يحملون لهؤلاء اليهود أية كراهية مشبوبة كما هى الحال فى فرنسا وروسيا وألمانيا . ويرد هذا المؤرخ السبب فى نجاح هؤلاء المهاجرين الجدد الى جدهم واجتهادهم ومراعاتهم للنظام واحترامهم لقوانين البلاد . وبسبب احساس هؤلاء اليهود الجدد فى روسيا وبولندا وألمانيا بعدم الأمان راودتهم أحلام العودة الى وطنهم الأصلى فى فلسطين . وقد وجدت هذه الفكرة تأييدا كبيرا من اليهودى السير موسى مونتفيو الذى لم يأل جهدا لتحقيقها . ودفعه حماسه الى اصطحاب زوجته عام ١٨٢٧ فى رحلة الى فلسطين . وأيضا بعد مرور

أحد عشر عاما قام بزيارة ثانية الى الشرق بهدف الحصول على موافقة محمد على على قدوم اليهود اليه وعلى السماح لعدد من العائلات اليهودية بالعيش فى المنطقة . وعند نشوب اضطهاد اليهود فى دمشق عام ١٨٤٠ زار مونتفيور الشرق للمرة الثالثة . وزادت حوادث الشغب ضد اليهود فى الشام من اقتناعه بأن حل المشكلة اليهودية يكمن فى إقامة مستعمرات زراعية فى فلسطين . وتقديرا لدوره فى السعى الى اقامة مستعمرة يهودية فى فلسطين سميت أولى المنظمات الصهيونية باسم مجتمع مونتفيور .

وسوف نشاهد فى الصفحات التالية كيف دافع الأديب السياسى بنيامين دزرائيلى عن أرض صهيون عندما قام بزيارة الشرق عام ١٨٣١ وكيف انه آمن بإنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين وتستشرف روايته الرومانسية «الروى» (١٨٣٣) رؤية مستقبلية لعودة شعب اسرائيل بعد طول شتات الى أرض الاسلاف والأجداد . وفيما بعد عبر دزرائيلى فى روايته «تانكرد» (١٨٤٧) عن طموحات بنى اسرائيل فى انشاء وطن قومى لهم فى فلسطين وانه بمثابة الكرمة التى ضاعت من يد الكرام ولكنها سوف تعود اليه بالحتم والضرورة فى نهاية المطاف .

وأيضا دافع عن هذه الفكرة أديب آخر هو الدبلوماسى لورانس أوليفانت الذى نبذ مستقبله السياسى المبشر بكل خير ليسعى الى اقامة مستعمرة زراعية فى شرق الأردن مؤذنا بقدوم الحركة الصهيونية الثانية . ورغم أن أوليفانت أخفق فى تحقيق طموحه فإن المشروع

اليهودى لاستعمار فلسطين اشتد عوده وقوى الدافع اليه بسبب مالقيه اليهود فى روسيا فى منتصف القرن التاسع عشر من خسف واضطهاد.

ويعتبر الشاعر الانجليزى اليهودى بول نيومان أحد رواد الحركة الصهيونية فقد نشر فى أبريل عام ١٨٩٥ قصيدة بعنوان « من أجل الوطن» فى « الكتاب الأصفر» بدأها الشاعر بمدح سحر انجلترا لينتقل بعد ذلك الى التعبير عن حبه للأرض التى عاش فيها بنو اسرائيل .

أما الصحفى اليهودى تيودور هيرتزل الذى عاش فى فيينا بالنمسا ونادى بضرورة اندماج اليهود مع كل الشعوب التى يعيشون بينها فقد غير رأيه عام ١٨٩٣ بعد أن رأى اليهودى البرىء دريفوس فى فرنسا توجه اليه تهمة الخيانة ظلما وعدوانا . فقد دلته هذه الحادثة على وجود عداوة للسامية كامنة تفور فى أعماق الأوربيين وانه لايمكن لأية شرارة أن تتسبب فى إشعالها .

وناشد هيرتزل يهود انجلترا أن يؤيدوا مشروع انشاء وطن قومى لليهود ولهذا قام بزيارة انجلترا عام ١٨٩٦ حيث ألقى خطابا فى جمع جماهيرى حافل فى لندن . ووجدت هذه الدعوة استجابة لدى البارون الانجليزى اليهودى روثتشيلد . ورغم أن بعض اليهود رحبوا بالدعوة واستشرفوا آفاق عالم جديد من الحرية فإن عددا آخر منهم فضل البقاء فى انجلترا وأمريكا على العودة الى أرض صهيون . ورغم ذلك فقد ردت فكرة انشاء وطن قومى لليهود لكل اليهود احساسهم بالعزة والكرامة

التى تعين عليهم أن يضحوا بجانب منها فى سبيل الاندماج مع الشعوب الأخرى . وفى النصف الثانى من القرن التاسع عشر زخرت الصحف والمجلات والدوريات الانجليزية بالمقالات التى تتناول بيوت اليهود وحياتهم وتقاليدهم ودينهم وأعيادهم وأساطيرهم وأدبهم الشعبى بهدف تبديد تحيزات الانجليز ضد السامية . وفى عام ١٨٧٩ ظهر كتاب بعنوان «علاقة اليهود بالكنيسة والعالم» أثار نقاشا واسعا وألقى حوله العديد من المحاضرات .

وقد نشر الرحالة الانجليزى المعروف فى الفترة من ١٨٦٩ حتى ١٨٧١ . أوراقا بعنوان «اليهودى والغجرى والاسلام» قارن فيها بين العنصر اليهودى وغير اليهودى .وهو يثنى على اليهود عاطر الثناء ويرفعهم – رغم انتقادهم أحيانا – الى عنان السماء فهم فى رأيه يتمتعون بالموهبة والعبقرية والقدرة المذهلة على التأقلم . فضلا عن تحليه بالصبر والاستقامة والاجتهاد والشراسة القتالية وهو قادر على تحقيق النجاح فى أية وظيفة يضطلع بأدائها مهما كان نوعها . ويضيف بيرتون أن اليهودى القذر والشرير الذى صوره ديكنز فى شخصية فاجين رئيس العصابة فى روايته المعروفة «أوليفر تويست» قد صار انسانا جديدا يتحلى بالفضائل مثل رياه الذى صوره هذا الروائى فى روايته «صديقنا المشترك» .

ويدحض جيمس ميل فى كتابه «اليهودى البريطانى» (١٨٦٢) الاتهام الذى يوجهه أعداء السامية ضد اليهود فيؤكد أن الرذيلة ليست

خصيصة من خصائصهم . فضلا عن تميزهم بالمرح والرغبة فى الاختلاط بالآخرين . والى جانب اتصافهم بالكرم فإنهم أقدر على التغلب على الأمراض من غير اليهود . حتى مجلة بانش التى سبق أن عبرت عن عداوتها لليهود فى أوائل العقد الرابع من القرن التاسع عشر ترسم على صفحات أعدادها الصادرة عام ١٨٨٢ صورة كاريكاتورية لشخصية بودشيا فى مسرحية شكسبير «تاجر البندقية» وهى تدافع عن اليهود على عكس ما ورد فى هذه المسرحية . وليس أدل من أن مجلة بانش غيرت مسارها المعادى للسامية فى انها نشرت عام ١٨٨٢ قصيدة بعنوان «صرخة من العالم المسيحى» تندد بملاحقة اليهود واضطهادهم باسم المسيح .

ويمكن القول بوجه عام إن الصحافة الانجليزية أصبحت بمرور الوقت متعاطفة مع اليهود فى وقت كانت فيه أوربا تستعذب اذلالهم . وبعد مؤتمر باريس فى عام ١٨٧٦ الذى عقده قادة اليهود فى أوربا والذى لفت أنظار الحكومات الى الاضطهاد الذى يتعرض له اليهود فى تركيا ذهبت مجلة ساترداى ريفيو فى عام ١٨٧٧ الى أنه رغم كل محاولات الدول الغربية لمعاملة اليهود معاملة كريمة ولائقة فانهم مازالوا يلقون شيئا من خسف الماضى .

وأردفت الصحيفة قائلة إن الشعب الانجليزى فى مقدمة البلاد الأوربية فى اظهار التسامح نحوهم . وعندما قامت روسيا القيصرية فى الثمانينات باضطهاد ونفى آلاف اليهود انزعج الشعب الانجليزى

انزعاجا واضحا لدرجة أن الكنيسة الكاثوليكية عبرت عن أسفها لما حدث لليهود الروس وأظهرت عن تعاطفها معهم ، وقد كتب الواعظ المرموق القس تشارلس هادون سبيرجون عام ١٨٨٢ ، ان قلبه انفطر للوحشية التى مارسها الروس مع اليهود وان جبين المسيحيين يندى خجلا لما يرتكبه أقرانهم من سفك لدمائهم ونهب لممتلكاتهم واغتصاب لبناتهم . ويضيف هذا الواعظ أن المسيحية تملى على المسيحى أن يرفع الظلم والاضطهاد عن اليهود . وقد كانت مجلة «ادنبرة ريفيو» الصادرة عام ١٨٨٣ أشد حدة فى تنديديها بهذا الاضطهاد . تقول هذه المجلة ان اضطهاد اليهود فى الماضى كان يرجع الى التعصب الدينى فى حين انه يرجع فى الحاضر الى الجهل الشائع والحسد والخوف . وتضيف هذه المجلة ان اضطهاد اليهود لا ينتقص من قدر العالم المسيحى فحسب بل انه يقف عقبة فى سبيل التقدم . وقد كتبت الروائية الانجليزية جورج اليوت مقالا بعنوان «الهينير الحديث» امتدحت فيه اتسام الشخصية اليهودية بالشفقة التى استمرت تميزهم رغم كل ما تعرضوا له من خسف . تقول هذه الكاتبة الكبيرة : «وبفضل تركيزهم لافراحهم على حياتهم العائلية فقد احتفظوا بداخلهم بالقدرة على ممارسة الرقة والحنان . ثم ان ما يظهرونه من عطف على الأيتام والأرامل ورعايتهم للنساء والصغار امتزج جميعا امتزاجا عظيما بعقيدتهم الدينية بحيث أصبح منبعا للرحمة التى لا يمكن أن تنقطع لوقت طويل أو شكل كبير . ثم أن شفقة اليهود تفيض حتى تعبر الخط الفاصل بينهم وبين غير

اليهود . وبوجه عام يمكن القول إن من أكثر الظواهر لفتا للنظر فى تاريخ هذا الشعب الشتيت وموضع الاحتقار والاستهزاء على مر العصور انه رغم تعرضه لهذا السوء المفسد الملوث فإنه خرج من كل هذا (فى أى تقدير يأخذ فى اعتباره النسبة العددية) ينافس سائر الأمم الأوربية فى التمتع بالصحة وجمال الجسد ويتفوق فى القدرات العملية والاستعداد العلمي والفنى وكذلك فى بعض أشكال القيم الأخلاقية إن اليهود يعيشون بيننا في كل مكان . وليس هناك جدوى من اعجابنا بهم .. وإذا كنا نرغب فى تخليص أنفسنا من المضايقات التى نشكو من وجودها فى كل من الطبقة العاملة او اليهود فإن أفضل سبيل نتبعه هو التشجيع على أن نحسن بكل الطرق أحوال هؤلاء الجيران الذين يزاحموننا بمناكبهم فى الجموع المحتشدة وان نوجه طاقاتنا الضيقة الأفق الى قنوات الرحمة والاحسان .

والرأى عند بعض الكتاب الانجليز أن كراهية اليهود ترجع الى انعزالهم عن الناس من ناحية ، وإلى حرصهم الزائد على مصالحهم من ناحية أخرى . ويذهب المؤرخ جولدوين سميث الى أن سياسة العزلة التى ينتهجها اليهود هى السبب فما يصيبهم من اضطهاد . يقول هذا المؤرخ فى بحث يعالج مشكلة اليهود فى انجلترا نشره عام ١٨٨١ فى العدد العاشر من مجلة القرن التاسع عشر أن اليهود يؤدون واجباتهم الاجتماعية فى المجتمع الانجليزى على خير وجه ، فضلا عن نفعهم لهذا المجتمع . غير أن هذا لا ينسيهم أبدا انتسابهم الى قبيلة أو عنصر

مختلف يرى أنه يفوق جميع الأمم ويتطلع الى مجيء اليوم الذى يتمكن فيه من السيادة عليها .

ويؤيد هذا الرأى المتشكك في نوايا اليهود كاتب آخر هو أرنولد هوايت توفر على دراسة أحوال المهاجرين اليهود من روسيا الى انجلترا. ولفت نظر هذا الكاتب انعزالهم عن المجتمع ورفضهم لكل ما هو أنجلو ساكسوني مما أدى الى احتكاكهم بجيرانهم الانجليز وتعكير الصفو بينهم . واعتبر ارنولد هوايت هذا الاحتكاك مسيئا الى المجتمع الانجليزى وغير مفيد له .

ولكن هذا الرأى المنتقص لقدر اليهود وجد فى الكتاب من يرفضه فقد برروا انعزال اليهود بأنه نتيجة طبيعية لكل ما وجدوه على أيدى أوربا المسيحية من اضطهاد : وهكذا نرى أن المجتمع الانجليزى كان منقسما على نفسه في نظرته لليهود . ورغم ذلك يمكن القول ان هذه النظرة إبان النصف الثانى من القرن التاسع عشر اتسمت فى مجملها بالسماحة والليبرالية اللتين تتجليان فيما كتبه المفكر الكبير هـ . أ . هـ . ليكى فى كتابه القيم «تاريخ العقلانية فى أوربا» (١٨٦٥) .

يقول ليكى :

« لقد لحق الاضطهاد بأمة اليهود فى صور أشد ما تكون بشاعة . ولكن عبقرية هذا الشعب المدهش انتصرت على كل ما لقيه من اضطهاد. وفى حين كان غيرهم يزحف فى دياجير الجهل المبين ، وكانت المعجزات التى يزعم الحواة الاتيان بها وبقايا المقدسات الكاذبة

الموضوعات التى يدور حولها اهتمام الأوربيين . وأيضا كان عقل العالم المسيحى الذى تستعبده الخرافات التى لا حصر لها تستغرق فى سبات مميت ؛ الأمر الذى قضى على الرغبة فى الاستقصاء والبحث عن الحقيقة بينما كان اليهود يسلكون طريق المعرفة وينكبون على الاستزادة من العلم ويتطلعون بشغف الى احراز التقدم بنفس الدأب الذى لا يعرف النكوص والذى أظهروه فى طريقة اعتناقهم لدينهم . فكان منهم أمهر الأطباء وأقدر رجال المال وأعمق الفلاسفة . فضلا عن أنهم اضطلعوا بنقل المعارف العربية وشرحها لأمم أوربا الغربية .

٢ - اليهود فى الشعر الفيكتورى
روبرت براوننج (١٨٠٢ - ١٨٨٩)

يعتبر روبرت براوننج واحدا من أبرز شعراء العصر الفيكتورى الذين عالجوا موضوع اليهود . فهو يسخر فى قصيدته «يوم الصليب المقدس» وقصيدته «الحبر اليهودى بن إزرا» من سخف التعصب الدينى الذميم ويعلى من شأن الطيبة الانسانية بغض النظر عن الجنس أو الدين . وقد استمد براوننج فكرة قصيدة «يوم الصليب المقدس» (١٨٥٥) من أمر كنسى أصدرته كنيسة روما فى القرن السابع عشر لإرغام اليهود مرة كل عام الى حضور كنيسة معينة وسماع موعظة خاصة . والجدير بالذكر أن هذا الأمر يبدأ بكلمات أوردها سكرتير الأسقف فى يومياته عام ١٦٠٠ وهى تشير الى أن مائدة روما الحافلة بأطيب الأطعمة لابد أن تلقى ولو مرة كل عام لقمة للكلاب الجائعة التى تدوسها الأقدام وتبصق عليها الأفواه ويزدريها المحتفلون بالوليمة . ويصف لنا الشاعر روبرت بروانتج فى لوعة وأسى وسخرية كيف كان اليهود المغلوبون على أمرهم يساقون فى حشد كبير الى الكنيسة كما لو كانوا قطيعا من الخنازير أو مجموعة من الفئران أو الديدان. ويستهزىء اليهود فى قرارة نفوسهم بهذا الضغط وينشدون فى صوت خفيض أنشودة موت بن إزرا التى تمجد ماضيهم التليد وعظمتهم الغابرة ويتعزون بالوعد الذى يتنبأ بأن رحمة الله سوف تشملهم من جديد .

ويدل العديد من قصائد براوننج الأخرى على معرفته الوثيقة بأدب وتقاليد الشعب الاسرائيلى . وتلقى أطول قصائده وهى بعنوان «الخاتم والكتاب»(١٨٦٨ - ١٨٦٩) الضوء على ما تعرض له اليهود فى القرون الوسطى من خسف واضطهاد بسبب تعصب المسيحيين الذميم . أما قصيدته «امتياز الدفن» فتصف لنا التذمر الذى يشعر به بعض الحثالة من غير اليهود من القانون الذى يحرم عليهم قذف اليهود بالحجارة عندما يجتمعون لدفن موتاهم فى الجبانات . ويتسم موقف الشاعر من اليهود بالعطف الأكيد . ويحدثنا الناقد ستوبفورد بروك عن هذا العطف قائلا : «لايوجد شاعر انجليزى آخر - ربما باستثناء شكسبير - يتحدث عن اليهود بعطف ودراية واعجاب حتى جاء روبرت براوننج ليكتب عنهم . إن اليهود غائرون فى نفس براوننج» .

ومن أهم قصائد براوننج التى تعالج موضوع اليهود «الحبر اليهودى بن إزرا» (١٨٦٤) و«فيليبو بالدينوتشى» (١٨٧٦) و«جوناثان هاكادوتش» (١٨٨٣) . وحظيت أولى هذه القصائد بشعبية هائلة . وهى تحدثنا عن حكمة وفلسفة واحد من أكبر أحبار اليهود فى القرون الوسطى هو أبراهام بن مير بن إزرا . وتستمد هذه القصيدة مادتها من حياة الحبر اليهودى الحقيقية ومن دفاعه عن حرية التفكير والبحث وحديثه الدائم عن خلود الروح ومن اقتناع الشاعر بالدور الذى لعبه اليهود فى إقامة الحضارة الحديثة . وفى قصيدته «جوناثان هاكادوتش» نرى براوننج يعلى من شأن الحبر جوداه القدسى ويوفيه حقه . فضلا

عن حسن استخدامه للتلمود ومعرفته الوثيقة به . وقد دفع عطف براوننج على اليهود ناقدا يهوديا عام ١٨٩١ الى القول : « إنها قد تكون نعمة أن نجد واحدا من أعظم شعراء انجلترا يظهر مثل هذا الفهم اللبيب لمطالب الشعب اليهودى .. وترجع أهمية الجانب العبرى فى أشعار براوننج الي أنها تفعل الكثير من أجل القضاء على التحيز ووضع فلسفة اليهود فى مكانها الصحيح بين أديان العالم . فالصورة التى رسمها براونج لكل من بن إزرا وجوتشنيان قد تحل محل شخصين شيلوك وفاجين فى تقدير عامة الناس . وهذه نتيجة مرغوب فيها للغاية» .

ماثيو أرنولد (١٨٢٢ - ١٨٨٨)

فى عام ١٨٦٩ نشر الشاعر والناقد الكبير ماثيو أرنولد كتابه الخطير «الثقافة والفوضى» . ويتضمن هذا الكتاب البالغ الأثر فصلا بعنوان «العبرية والهيلينية» ويعنى المؤلف بالعبرية Hebraism ذلك الموقف من الحياة القائم على طاعة الناموس والانصياع له ، واستهداف الحياة الأخلاقية ؛ فى حين أنه يعنى بالهيلينية تمجيد الحياة الفكرية والثقافية . والعبرية تبدو متعارضة مع الهيلينية ولكن ماثيو أرنولد يرى أنها مكملة لها . ويذهب ماثيو أرنولد إلى أن الفكر الانجليزى يتأرجح شدا وجذبا بين هاتين القوتين المتعارضتين ، يعيب على هذا الفكر غلبة الهلينية على العبرية . والرأى عند كاتبنا أن العبرية والهلينية وجهان لعملة واحدة يسعى كلاهما الى تحقيق نفس الغرض ألا وهو اكتمال الحياة الانسانية والحصول على الخلاص الروحى .

وقبل أن نستفيض في شرح مفهومه فى العبرية والهلينية يجدر أن نذكر أن والده الدكتور توماس أرنولد - ناظر مدرسة رجبي الخاصة الشهيرة - رأى أن العبرية لا تتماشى مع ما ورثه الشعب الانجليزى من تراث جرماني تيوتونى . وكانت وجهة نظر الأب ترفض تماما ادماج العنصر العبرى فى نسيج المجتمع الانجليزى أى أن رأيه كان على عكس رأى ابنه على طول الخط ، وشن الأب حربا شعواء كي يحول دون دخول اليهود البرلمان الانجليزى فى العقدين الثالث والرابع من القرن التاسع عشر . أى أن الأب كان أقل ليبرالية من الابن ، وكانت حجة الأب في هذا أن اليهود غرباء عن انجلترا ولا يعقل السماح للغريب بأن يستن القوانين والتشريعات التى تنظم حياة صاحب البيت . أضف إلى ذلك أن الوالد رفض التحاق اليهود بأية مؤسسات مسيحية عريقة مثل جامعة لندن . ولم ير الأب أن دفع اليهود الضرائب للحكومة الانجليزية يعطيهم الحق فى تنظيم المجتمع الانجليزى . ولهذا دعا الجالية اليهودية فى إنجلترا الى دفع الضرائب لتمكين اليهود من اقامة مجلس مستقل خاص بهم . وعلى النقيض من هذه النظرة الرافضة لاندماج اليهود فى نسيج المجتمع الانجليزى نرى أن الأديب الرومانسى المعروف وليم هازليت يتبنى موقفا أكثر ليبرالية وتحررا ويطالب باندماج اليهود فى لحمة المجتمع الانجليزى وسدته ويعتبر أن هذا أبلغ دليل على تسامح الشعب الانجليزى ورحابة صدره . ومعنى هذا أن هازليت فضل الثقافة على الأصل العرقي وهو ما نادى به الشاعر والناقد ماثيو أرنولد أيضا .

عارض الابن سياسة الآب ودافع عن دخول اليهود الانجليز مجلس العموم واللوردات . فلا غرو إذا رأيناه يرحب بمنح اليهودى المثقف الثرى ناثانييل روتشيلد لقب لورد . يقول ماثيو أرنولد فى هذا الشأن : «أشعر بالفخر الحقيقى والسعادة الحقيقية لأن الشعب البريطانى منحه لقب لورد مقدما بذلك دليلا على أنه تخلى عن سياسة إبعاد (اليهود)» .

وفى عقد الثمانينات من القرن التاسع عشر ضرب ماثيو أرنولد المثل بالممثلة راشيل والشاعر هنريتش هاينى والفيلسوف سبينوزا كنماذج للعولمة الثقافية والقدرة على تجاوز التفكير العرقى والوصول إلى أرقى مدارج الثقافة وبوجه خاص أشاد شاعرنا بنبوغ الشاعر الألمانى اليهودى هاينى وساقه كدليل على امكانية الجمع بين العبرية (المتمثلة فى فضيلة الكدح والاجتهاد وأداء الواجب الأخلاقى والبعد عن السفه فى إنفاق المال) والهيلينية الاغريقية المتمثلة فى السعى الخالص وراء المعرفة وقيم الحق والجمال .

وفى كتابه «الثقافة والفوضى» نذر ماثيو أرنولد نفسه للهجوم على ما أسماه حضارة الطبقة الوسطى فى انجلترا ذات الطابع المادى. والتجارى ، ويدعو هذا الأديب إلى تطعيم الروح الهيلينية التى ورثها الانجليز عن الاغريق بالعنصر العبرى لأن فى هذا التطعيم تحقيقا للوحدة الانسانية المتمثلة فى تعانق عبقرية الانجليز وتاريخهم بعبقرية الشعب اليهودى وتاريخه . والجدير بالذكر أن موقف ماثيو أرنولد الليبرالى المتحرر تجاه اليهود يشمل فى طياته الأضداد فهو يعامل

اليهود الذين يرفضون أن يتطعموا بالهيلينية بدون رحمة أو هوادة ويشن حربا شعواء عليهم ، ومن ثم نراه فى كتابه «الأدب والمسلمات» (١٨٧٣) يقول عن اليهود إنهم قد يثيرون المقت والاشمئزاز بفطرتهم العرقية الضيقة الأفق ولكنهم ورثة طاقة دينية وروحية هائلة . فضلا عن أنهم فى أحسن حالاتهم قادرون على تجاوز حدودهم واستشراف عالم أرحب وأفسح فى أصولهم العرقية .

ويضيف شاعرنا أن الطاقة الدينية الهائلة التى يتمتع بها اليهود لا تزال ضرورية فى ارساء قواعد الهيلينية الساعية وراء الحقيقة والجمال رغم أن هذه الطاقة قد أصبحت فارغة من كل معنى ومضمون .

وفى الفصل الخامس من كتابه «الثقافة والفوضى» يقارن ماثيو أرنولد بين ما يسميه الوجه المادى والتجارى بعبرية الطبقة المتوسطة الانجليزية السائدة فى زمانه وعبرية أيام المسيحية الأولى . ويشرح لنا هذا الفصل الانتقال من اليهودية إلى المسيحية مشيرا إلى أن هذا الانتقال اقتضى حرية إعمال العقل التى اتصفت بها الهيلينية حتى يمكن تحطيم قواعد الناموس العبرى الجامد التى تحولت بمرور الأيام إلى مجرد ممارسات روتينية فاقدة بذلك قوتها الدافعة ، وهكذا قطعت العبرية بالهيلينية الأمر الذى جعل من الممكن تحويل أو تطوير الدين اليهودى إلى شكل أرقى وأسمى هو المسيحية ، ورغم امتداح مؤلفنا للعبرية فإنه يؤكد ضرورة تخليص الفكر العبرى من فرديته وخصوصيته العرقية حتى يمكن أن يتعولم ويصبح ثقافة عالمية . ويذهب ماثيو أرنولد

فى كتابه «الأدب والمسلمات» إلى القول بأنه يعتقد أن السلوك القائم على العبرية يمثل ثلاثة أرباع الحياة وذلك بالنظر إلى قدرتها على تجسيد المثل العليا الهيلينية والهندوأوروبية ، وهكذا يصبح الفعل العبرى ملازما بالضرورة للجمال الهيلينى كما أنه يصبح قوة تستشرف عالم المستقبل، وكما أسلفنا يعتقد ماثيو أرنولد أن الشاعر اليهودى هاينى والفيلسوف اليهودى سبينوزا ينتميان إلى هذا العالم الثقافى الرحب ، ويرجع ذلك إلى قدرتهما على تجاوز حدود عرقيتهما وماضيهما اليهودى المحدود ، ويضيف ماثيو أرنولد أن هذين العبقريين يمثلان الجمال الناشىء عن احتواء الهلينية للعناصر العبرية ؛ ويؤمن بغربة اليهود وأن غربتهم تجعل منهم أناسا يختلفون عن الشعب الانجليزى الذى لا ينحدر من جذور سامية بل هندوأوربية .

وفى عام ١٨٦٧ نظم ماثيو أرنولد قصيدة بعنوان «راشيل» يدعو فيها إلى مزج الهيلينية بالعبرية وهو يعبر عن أسفه لأن العالم لم يتمكن بعد من الموائمة الضرورية بين العبرية والهيلينية فيقول إن العالم يتأرجح بين العبرية والهيلينية دون أن ينجح فى الموائمة المتوازنة والسعيدة بينهما .

الشاعر المنيسى توماس واد (١٨٠٥ - ١٨٧٥)

ألف الشاعر توماس واد الذى طواه الزمن فى طيات النسيان مسرحية أهملها تاريخ الأدب بعنوان «يهودى أراجون أو الملكة اليهودية» ، وهى مأساة من خمسة فصول لم تزد فترة عرضها على ليلة واحدة

فقط هى ليلة ٢٠ أكتوبر عام ١٨٣٨ على مسرح الكوفنت جاردن فى لندن ، ويرجع هذا الفشل الذريع للمسرحية إلى سببين هما غباوة كولمان الرقيب على المسارح آنذاك وانحياز المسرحية بشكل فاضح وصارخ لليهود مما أثار سخط النظارة الانجليز الشديد عليها ، وقد استمد واد أحداث فاجعته من مسرحية بعنوان «راكيل» (١٧٧٨) للمؤلفة لاهويرتا (١٧٣٤ - ١٧٨٧) التى أخذتها عن مسرحية أخرى بعنوان «راشيل التعيسة» (١٦٣٥) التى سبق أن ألفها الكاتب المسرحى ديامنتي الذى وجه إليه النقاد تهمة السرقة من كتاب ألفته ميرا دى أميسكوا بعنوان «يهودية توليدو» .

تعالج فاجعة الشاعر المنسى توماس واد طرد اليهود (من أسبانيا) والمؤامرة التى أحيكت لتزويج راشيل ابنة اكسافير اليهودى من الملك . ويصبح اكسافير رئيس الوزارة ولكنه يقتل نفسه حتى يتحاشى الاغتيال فى حين أن ابنته تتجرع السم ، والمسرحية مليئة بالخطب الرنانة التى تتحدث عن أمجاد الشعب اليهودى فى الماضى والمصير البائس الذى آل إليه الشعب المنكوب ، ورغم أن الرقيب كولمان قام بغباوته بحذف كثير من مناظر المسرحية وعباراتها دون أى داع فإن مؤلفها استطاع أن ينتقم منه بنشر النص المسرحي كاملا حتى يظهر حماقة هذا الرقيب، ولكن المسرحية على أية حال وجدت اهمالا من القارىء والمشاهد على حد سواء ، وقد أهدى المؤلف مسرحيته إلى يهود انجلترا وكرسها للدفاع عن حرمتهم الدينية والمدنية محتذيا فى ذلك حذو الأديب

الانجليزى ماكولى فى أول خطاب ألقاه فى البرلمان الانجليزى بمناسبة انتخابه . وامتد العمر بواد حتى شاهد بنفسه حصول اليهود فى انجلترا على حقوقهم السياسية والمدنية ، ولم يرق للرقيب كولمان أن تتحدث المسرحية عن أمل اليهود فى تأسيس أمة بنى اسرائيل من جديد، واستطاع واد بثاقب نظره أن يغوص فى أغوار نفسية اليهود وأن يعبر عن عذابهم ومأساتهم وأملهم فى تبديد ظلمة حياتهم فضلا عن التعبير عن ايمانهم الذى لا يفتر أو يضعف أبدا ، وقد استمد المؤلف شخصية أكسافير من شخصية باراباس اليهودى الشرير فى مسرحية كريستوفر مارلو «يهودى مالطا» .

شعراء آخرون

شرحنا موقف الشاعر الليبرالى ماثيو أرنولد المتعاطف مع اليهود ، ويتضح لنا هذا التعاطف بجلاء فى مقاله عن الشاعر اليهودى الألمانى هايتى وفى قصيدته التى نظمها بعنوان «حول قبر هايتى» ففى هذين العملين نطالع تجسيدا للثقافة والمعرفة العبرية ، ونحن نجد نفس هذا التعاطف عند الشاعر الجيرنون تشارلس سوينبرن (١٨٣٧ - ١٩٠٩) الذى عبر عن عميق حزنه وتعاطفه مع اليهود الروس الذين راحوا ضحية بطش القيصر الغاشم فى قصيدة بعنوان «حول الاضطهاد الروسى لليهود» .

ومن القصائد التى تتناول حال اليهود فى الزمن الغابر قصيدة بعنوان «اسرائيل فى مصر» (١٨٩١) تقع فى اثنين وعشرين مجلدا،

وقصيدة أخرى من نظم ادوين أرثرستون بعنوان «سقوط نينوه» التى تقع فى مجلدين ، إلى جانب أخرى تعالج موضوعات يهودية بعنوان «أغنية المزمار» (١٨٨٧) من نظم ادوارد هنرى بالمر وثلاث قصائد من تأليف السير أدوين أرنولد هى «عيد بالثازار» (١٨٥٢) و«زوجة بوتيفار» (١٨٩٢) و«مغامرة فيرا المدهشة» (١٨٩٠) .

وفى عام ١٨٩٣ نظم الشاعر روبرت بوتشانان (١٨٤١ - ١٩٠١) قصيدة بعنوان «اليهودى المتجول» وهى قصيدة تدور حول يهودى هائم على وجهه ضعيف طاعن فى السن لا حول له ولا قوة ، ويرمز هذا اليهودى الواهن إلى شخصية المسيح الذى يعجز عن اقناع العالم بألوهيته الأمر الذى يستثير الاشفاق عليه والرثاء له . ويتطلع هذا الرجل الى السماء باحثا عن علامة تبشر بألوهيته فلا يجدها ، ويظل هذا المسكين يجوب شوارع المدينة نحو تسعة عشر قرنا فيدب التعب فى أوصاله ويلح عليه هذا السؤال : هل البشر يستحقون الخلاص حقا؟ .. وبطبيعة الحال أثارت القصيدة لجاجا وجدلا محتدما .

إن جانبا كبيرا من الشعر الإنجليزى المؤلف فى الفترة بين عامى ١٨٨٠ و١٩٠٠ يدور حول تعاطف الانجليز مع اليهود بسبب ما تعرضوا له من اضطهاد متكرر ومن ثم ظهرت حركة تهدف إلى عودتهم إلى موطنهم القديم فى فلسطين ، ورغم أن معظم هذا الشعر يفتقر إلى الموهبة الأدبية فلا سبيل إلى إنكار أهميته الاجتماعية . ومع هذا فقد ظهرت فى انجلترا شاعرة وروائية موهوبة اسمها أمى ليفى لفتت إليها

الأنظار بفضل قدرتها الفائقة على التعبير عن آمال وطموحات المثاليين من اليهود فى جيلها ، وقد نشر ديوانها الأخير عام ١٩٠٠ بعد وفاتها بعنوان «شجرة السفح فى لندن» ، وكذلك نشرت كاتبة يهودية أخرى هى مسز هنرى لوكاس مجلدين منظومين من الشعر العبرى المترجم هما «أغنيات صهيون» (١٨٩٤) و«السنة اليهودية» (١٨٩٨) ، ويتضمن الديوان الأول مختارات من الأغنيات اليهودية المنتمية إلى العصور الوسطى يبلغ عددها خمسة وعشرين مقطوعة مترجمة ، وتحمس ناقد انجليزى لها فقال عنها إنه لا يستطيع أن يفهم سبب احتقار الكثير من المسيحيين للدين اليهودى فى وجود مثل هذا الشعر الدينى اليهودى الرائع . وأضاف أن هذه الترانيم اليهودية القديمة تعبر عما يجول فى خلد الانجليز وذكر أن الأمل يحدوه أن تلعب هذه الترجمات دوراً بارزا فى رأب الصدع بين المسيحيين واليهود .

٣ - اليهود في الرواية الفيكتورية

(أ) تشارلس ديكنز (١٨١٢ - ١٨٧٠) يهاجم اليهود ثم يندم على ذلك

الروائي الانجليزى تشارلس ديكنز غنى عن التعريف . نشر ديكنز روايته المعروفة «أوليفر تويست» مسلسلة عام ١٨٣٧ فى مجلة «متنوعات بنتلى» وهذا العام يصادف أول سنة في عهد العصر الفيكتورى ، ويصور ديكنز فى هذه الرواية شخصية يهودى عجوز يتربع على عرش الاجرام اسمه فاجين ، وهو زعيم عصابة للنشل وأول من استقبل الطفل البرىء أوليفر تويست ليعلمه النشل . فضلا عن أنه دبر مع اللص القاتل بيل سايكس سرقة المنازل ، وتعطى الرواية الانطباع بأن ديكنز يعتبر اليهود طغمة من الأشرار والفاسدين والخارجين على القانون ، إن صورة فاجين فى الرواية قميئة ومنفرة للغاية مما يوحى بأن مؤلفها يتصف بمعاداة السامية ، صحيح أن ديكنز لم يقل بصراحة ان جرائم فاجين ترجع إلى يهوديته ، ولكن تحامل عامة الانجليز على اليهود وتحيزهم ضدهم جعل من السهل عليهم أن يربطوا بين شروره ويهوديته ، ولم تمض ثلاثة أعوام على تأليف ديكنز لروايته حتى انتشرت فى البلاد الأوروبية عام ١٨٤٠ شائعة مفادها أن اليهود سفكوا دم راهب فى دمشق اسمه الأب توماس لاستخدام دمه فى أداء الطقوس الدينية الخاصة بالاحتفال بعيد الفصح ، ويعيب أنصار اليهود على مؤلفنا أنه سمح لنفسه أن يجارى العامة فى تحيزاتهم وأحقادهم ضد اليهود دون

فحص أو تمحيص ، ومما يزيد من مسئوليته أنه كرس أدبه لإصلاح المجتمع ، فبدلا من أن يدافع عن حق اليهود فى دخول البرلمان الانجليزى ومنحهم الحقوق المدنية نراه يشارك العامة فى مشاعرهم المعادية للسامية ، غير أن المدافعين عن ديكنز يقولون إن معاداة السامية لم تخطر على باله وأنه سعى إلى تصوير فاجين على أنه مجرد فرد لا يمثل اليهود ، غير أن ما عرف عن أدب ديكنز الروائى من أنه يعنى بتصوير النماذج البشرية وليس السمات الفردية هى التى دفعت الكثيرين إلى الاعتقاد بأنه أراد أن يجعل من المجرم فاجين ممثلا لجميع اليهود .

ويبدو أن شخصية فاجين الاجرامية أغرت المشتغلين بالتمثيل بتقديم رواية «أوليفر تويست» على خشبة المسرح ، وقد قدم أول إعداد مسرحى لهذه الرواية على مسرح سانت جيمس فى ٢٧ مارس ١٨٣٨ ، ولكن الجازيت الأدبية تصدت فى عددها الصادر فى ٣١ مارس من نفس العام للهجوم على النص المسرحى . وقبل انصرام عام ١٨٣٨ توالت اعدادات مسرحية أخرى للرواية التى انتهى ديكنز من نشر آخر حلقاتها فى عام ١٨٣٩ . ورأى اعداد ألمر المسرحى لرواية «أوليفر تويست» طريقه إلى مسرح سرى ، ولكن ديكنز لم يكن راضيا عنه فقد قيل أنه انتحى ركنا قصيا من مقصورة المسرح وظل جالسا على الأرض حتى نهاية العرض، ولكن هذا لا يعنى بحال من الأحوال أن ديكنز كان يعترض على تمثيل رواية «أوليفر تويست» . بالعكس فقد رحب بتمثيلها

لدرجة أنه قام بنفسه قبل آكتوبر ١٩٣٨ بإعداد مسرحى للرواية وقدمه الى المخرج ماكريدي الذى رفض تمثيله فأعطاه الى مخرج مسرح الأدلفى فردريك ييتس الذى فضل لسبب غير معلوم اعداد ت . هـ . لاسى المسرحى للرواية .

ويقال إن ديكنز استمد شخصية اليهودى فاجين من خارج فعلى على القانون اسمه أيكي سولومنز الذى كان نشالا منذ الرابعة عشرة من عمره ، وفي مايو عام ١٨٢٧ أوشك هذا الرجل على الهجرة إلى نيو ساوث ويلز بأمريكا الشمالية حيث نفيت زوجته عند القاء القبض عليه ، واستطاع هذا النشال أن يهرب من البوليس ليصل إلى استراليا ، وهناك ألقى البوليس الأسترالى القبض عليه وقام بترحيله عام ١٨٣٠ إلى انجلترا حيث قدم إلى المحاكمة فى محكمة الأولد بايلى خلال شهر يوليه من نفس العام . ووجهت إليه المحكمة ثمانية اتهامات لم يثبت ضده سوى اتهامين منها فحكمت عليه المحكمة بإبعاده من البلاد إلى بلاد ڤان دييمين لمدة سبعة أعوام وتصادف أن هاجر إلى أرض المنفى ابنا الممثل روبرت وليم أليتون (١٧٧٤ - ١٨٣١) اللذان أرسلا إلى والدهما خطابات مثيرة عن الحياة فى أرض المنفى فطلب الأب من رجل يدعى دابليو ت. مونكريف أن يؤلف له مسرحية ميلودرامية بعنوان «بلاد فان دييمين» اشتملت على شخصية ثانوية يهودية اسمها «بارنى فنس». وتحدد العاشر من فبراير ١٩٣٠ موعدا لتقديم هذه الميلودراما فى منطقة سرية بالقرب من لندن ، وكان ذلك قبل محاكمة النشال ايكى

سـولومنز ، وكـان من الممكن أن تطوى هـذه المسـرحـيـات فى طيـات النسيان لولا أن محاكمة النشال سولومنز جددت الاهتمام بها ، واعيد تمثيل المسرحية بعد اجراء تعديل عليها فقد أطلق اسم النشال اليهودى أيكى سولومنز على اسم بارنى فنس وليس مستبعدا أن يكون ديكنز قد قرأ نص هذه المسرحية المعدلة فضلا عن مشاهدتها .

وعند نشـر رواية «أوليفر تويست» فى عام ١٨٣٨ كـان اليـهـود فى انجلترا قـد حـصلوا على عدد من الحـقـوق والمكاسب المدنيـة ، ففى عام ١٨٣١ ألغيت القيود المفروضة على التجار اليهود في مدينة لندن ، وتم فى عـام ١٨٣٣ تعـيين يهـودى فى مـهنة المحـامـاة . فـضـلا عن أنه تم انتـخـاب أول مـأمـور يهـودى فى انجلتـرا عـام ١٨٣٥ ، ولكن مـثل هذه المكاسب لا تعنى انتـهـاء تحـيـز عـامـة الناس ضـدهم ، والحـقـيـقـة أن تشـارلس ديكنز استطاع تخليد شـخـصية فاجين الشريرة مثلما خلد شكسبير المرابى اليهودى شيلوك .

وبعد حوالى نصف قرن من وفاة ديكنز ظهر فى عام ١٩١٨ كـتيب صغير بعنوان «تشارلس ديكنز وشخصياته اليهودية» .

Charles Dickens and His Jewish Characters

ويلقـى هذا الكتـيب الضـوء على المراسـلات المتـبـادلة بين تشـارلس ديكنز والسـيدة اليـهودية اليزا دافيد التى اشترت منزل ديكنز فى لندن الذى قرر أن يتركه ويسكن فى جادزهيل واسـتغلت هذه السـيدة فرصة العـلاقـات الودية التى نشـأت بينهـا وبين ديكنز نتـيجـة المـعـامـلات المالية

فكتبت إليه خطابا مهذبا للغاية احتجت فيه على تصويره شخصية اليهودى فاجين على هذا النحو القبيح ، فرد عليها مؤلفنا بخطاب بتاريخ ١٠ يوليه ١٨٦٣ جاء فيه :

«إن فاجين فى رواية (أوليفر تويست) يهودى لأنه حقيقى لسوء الحظ فى زمن القصة . إن تلك الطبقة من المجرمين كادت أن تقتصر على اليهود ، ولكن بكل تأكيد لا يوجد رجل عاقل أو امرأة عاقلة من دينكم يمكن أن يغيب عن أى منهما أن بقية شخصيات الرواية تنتمى إلى الدين المسيحى ، فضلا عن أنه (أى فاجين) يسمى اليهودى ليس بسبب انتمائه إلى الدين اليهودى بل بسبب العنصر الذى ينحدر منه» ، وغير أن مثل هذا الدفاع عن اليهود لم يدفع عنهم الضرر الذى لحق بهم ، فجمهور القراء الانجليز بادروا إلى الربط بين شخصية رئيس العصابة اليهودى فاجين وبين الشعب اليهودى بأسره ونسوا أو تناسوا أن كل أفراد العصابة فى رواية «أوليفر تويست» ينتمون إلى الدين المسيحى .

تقول الناقدة جوليت شتين إن السيدة اليهودية إليزا دافيد التى احتجت على تصوير تشارلس ديكنز لشخصية فاجين اليهودى على هذا النحو السيئ اقترحت على مؤلفنا أن يكفر عن ذنبه بالتبرع لاقامة دار استشفاء للمرضى اليهود . ورغم أن ديكنز استجاب لطلبها فقد اكتفى بالتبرع بمبلغ رمزى مؤكدا أن تبرعه لا يعنى أنه يريد التكفير عن زرايته باليهود ومدافعا عن نفسه بأن أحداث روايته «أوليفر تويست» فى وقت كان أمثال فاجين من الأشقياء والخارجين عن اليهود ينتمون فى العادة

إلى أصــول يهـودية . ويذكـر ديكنز الأســبـاب التى دعـتـه إلى تأليف شخصية فاجين فيقول إنه أراد أن يقدم خدمة إلى المجتمع وأنه بذل قصارى جهده فى تصوير مثل هذا البائس الذى يعيش فى قاع المجتمع ويرتكب الجرائم والموبقات وينتظره حبل المشنقة فى نهاية المطاف. ومعنى هذا أن ديكنز دافع عن نفسه من منطلق اتباعه نهج الواقعية . وتذهب جوليت شتين إلى تأثر ديكنز بالداروينية الاجتماعية التى تتلخص فى الايمان بأن الفروق بين الطبائع البشرية ترجع إلى اختلاف الأجناس التى تنتمى إليها.. أى أن هذه الخلافات تنبع من جذور بيولوجية. وأوضح ديكنز فى رده على السيدة اليزا دافيد أنه لم يهاجم فاجين بسبب انتمائه إلى الدين اليهودى بل بسبب انتمائه إلى الجنس اليهودى ، الأمر الذى دعاه إلى تلقيبه باليهودى وعدم الاشارة إليه باسمه إلا إذا كان هناك من يخاطبه. إن ديكنز فى رأى جوليت شتين يستند إلى البيولوجيا فى تصوير جنس اليهود على أنهم ورثة للشر جيلا بعد جيل. ومعنى هذا أن فاجين كما رسمه ديكنز تجسيد للشعب اليهودى فى ماضيه وحاضره ومستقبله.

والجدير بالذكر أن المؤرخ المعروف اللورد ماكولى ألف عام ١٨٣٠ فى مجلس العموم خطابا دافع فيه عن اعطاء اليهود حق المواطنة البريطانية .ولكن ديكنز فى روايته «اوليفر تويست» يعارض مثل هذا الموقف الليبرالى من اليهود. فأحداث هذه الرواية تشير إلى أنه يعتبرهم عائقا فى سبيل التغير الاجتماعى . حتى المجرم بيل سايكس الذى

ينخرط فى عصابة اللصوص التى يتزعمها اليهودى فاجين يقول إن منظر هذا اليهودى يذكره بمنظر إنسان يسكنه شيطان. حتى منظر فاجين الخارجى يشبه منظر الشيطان بشعره الأحمر وأنفه الطويل المقوس وشوكة الشواء التى يمسك بها . وهى نفس صورة اليهودى التى شاعت فى العصور الوسطى كسافك دماء الأطفال ومتكالب على جمع المال مثل شيلوك فى مسرحية «تاجر البندقية». فضلا عن الرائحة الكريهة التى تفوح منه. حتى مسكنه يتسم بالقذارة والعفن . فضلا عن اعتقاد الأوربيين ومن بينهم ديكنز بأن اليهودى تفوح منه رائحة نتنة خاصة تشبه رائحة الجدى النهم الذى لا يشبع من ممارسة الجنس. وفاجين ينتمى إلى عالم المدينة الفاسد وليس إلى الحياة الريفية النقية. ويعلى ديكنز من شأن الريف الذى يسمو بروح الإنسان ويذيقه شيئا من طعم النعيم فى حين يصور المدينة على أنها مكان ملوث تشيع فيه الضوضاء . غير أن فاجين وأمثاله من أهل المدينة ينجحون فى تلويث حياة الريفيين وإفسادها .

ويعدد ديكنز أوصاف فاجين البشعة فهو يزحف كالحية الرقطاء ، ويبدو بمنظره الماكر كالذئب. وهو يمثل الاخلال بالنظام وقذارة المدينة. وهو رغم شخصيته المقيتة يتمتع بالقدرة على تحريض الآخرين على انتهاك القانون. ورغم أن شخصيتى الرواية سايكس ونانسى يمقتانه فإنهما مستسلمان لتحريضه وغوايته. وهو المسئول الأول والأخير عما أصاب نانسى من انحطاط وتدهور. ورغم شخصيته الكريهة فإنه قادر

على اجتذاب الآخرين إليه. فقد استطاع أن يخلب لب أوليفر بحركاته وألاعيبه المضحكة. وترى جوليت شتين أنه كان يمكن أن يتحقق الخلاص لكل من سايكس ونانسى لولا غواية فاجين لهما. وعندما ألقى القبض على فاجين وزج به فى السجن انتظارا لحبل المشنقة لم يظهر عليه أى أثر للندم. ولهذا صوره الرسام كرونكشانك جالسا فى زنزانته وبجواره كتاب مقدس مغلق لم يعنى اليهودى بمطالعته والاهتداء به. وإذا كان شيلوك في مسرحية شكسبير المعروفة «تاجر البندقية» هو أشهر يهودى شرير فى الدراما الانجليزية فإن فاجين يجىء فى المرتبة الثانية فى مضمار السوء فهو أسوأ يهودى يظهر فى الرواية الانجليزية. وفاجين كما أن سبق أن ذكرنا إنسان مقيت إلى أقصى الحدود يتلقى المسروقات التى تستولى عليها أفراد عصابته وهو غادر وجبان وشحيح. فضلا عن أنه فى وضع المحرض على القتل فهو الذى حرض بيل سايكس على قتل عشيقته نانسى بعد أن فشل فى تحريض نانسى على دس السم لعشيقها.

وعندما شعر ديكنز بغضب اليهود منه أراد أن يدخل الطمأنينة فى نفوسهم فقبل حضور حفل الغداء السنوى الذى أقامته المدرسة اليهودية الحرة فى وستمنستر بلندن. وحاول ديكنز أن يزيد من طمأنينتهم فذكرهم بما أظهره من تعاطف معهم فى كتابه الصادر عام ١٨٥١ بعنوان «تاريخ الطفولة فى انجلترا» لقد سعى ديكنز إلى الدفاع عن نفسه أمام إليزا دافيد قائلا : إنه من الضرورى الفصل بين اليهودية كدين واليهودية كجنس. ولكن السيدة دافيد رأت استحالة مثل هذا

الفصل قائلة إن اليهودى الذى يتخلى عن دينه ويعتنق دينا آخر لا يمكن اعتباره منتميا إلى الجنس أو العنصر اليهودى.. يقول ديكنز فى معرض الدفاع عن نفسه ضد اتهام السيدة إليزا دافيد بمعاداة السامية إن المجرمين الآخرين فى رواية «أوليفر تويست» ينتمون إلى الدين المسيحى. ولكن السيدة دافيد تدحض هذا بقولها إن الرواية تصور مسيحيين أشرارا ومسيحيين أبرارا فى حين أنها تخلو تماما من أى يهودى بار. ففاجين اليهودى الشرير لا يقابله فى الرواية أى يهودى بار الأمر الذى يوحى بأن جميع اليهود أشرار وفاجين الشرير يسير متلصصا فى أزقة لندن وشوارعها الخلفية وهو يتاجر فى الروبابيكيا شأن يهود ذلك الزمان. ولكن ديكنز أسقط عنه بعض السمات اليهودية المتعارف عليها فى مجال المسرح وهى التأتأة والخنف فى الكلام. بل إن اللغة الانجليزية التى يستخدمها فاجين لا تقل فى سلاستها عن لغة أوليفر تويست نفسه وهو أمر غير محتمل. وكما أسلفنا يستعير ديكنز من القرون الوسطى صورة اليهودى الشرير المفسد لبراءة الأطفال والسافك لدماء المسيحيين ودس السم لهم هذه هى الصورة التقليدية لليهودى كما استقرت فى مخيلة القرون الوسطى. ورغم أن فاجين يحيد عن عادات اليهود فى أنه يأكل لحم الخنزير فإن ذلك لا يعنى أنه لا يمثل الشرور التى تجسدها الشخصية اليهودية. ويرى بعض النقاد أن ديكنز لم يهدف بروايته إلى شن حملة ضد السامية بل إنه فقط استغل الشعور المناهض للسامية الراسخ فى عقول الأوربيين منذ القرون الوسطى وفى

الدراسة التي أجراها الناقد لوريات لين عن التغييرات التى أدخلها ديكنز على نسخة «أوليفر تويست» اللاحقة المنشورة عام ١٨٦٧ يلفت أنظارنا إلى أن ديكنز في الفصل الذى يدور حول انتظار فاجين التفاف حبل المشنقة حول رقبته بعد القبض عليه يتعمد تسمية اليهودى باسم فاجين وعدم الاشارة إليه كما هى الحال فى طبعة الرواية السابقة بلقب اليهودى حتى يضفى على هذا المجرم سمة فردية ولا يجعله يبدو فى شره وسوء خلقه ممثلا لسائر اليهود. وليس هناك من تفسير لهذا التغيير سوى أن ديكنز عض بنان الندم على أنه يصور فاجين كممثل لسائر اليهود. ورغم هذه المحاولة فقد عجز ديكنز عن ابعاد صفة اليهودية عن هذا الرجل العريق فى الاجرام ويعزو الناقد أدموند ويلسون موقف ديكنز المزدوج من اليهود إلى نوع من الازدواجية اتسم بها خياله. وتتجلى لنا هذه الازدواجية بوضوح فى أخريات أيامه فى رسمه صورة اليهودى على نحو محبب للنفس وذلك فى روايته «صديقنا المشترك» المنشورة عام ١٨٦٤. ويبدو أن الموقف المتحرر الذى اتخذه الانجليز فى العصر الفيكتورى بين عامى ١٨٣٠ و١٨٦٠ شجع ديكنز على نبذ عداوته السابقة لليهود. فقد استنت انجلترا فى هذه الفترة قوانين جديدة أعطت اليهود قدرا أكبر من الحرية الاجتماعية الأمر الذى أدى إلى زيادة رقعة نشاطهم التجارى. ويقدر عدد اليهود فى انجلترا فى عام ١٨٣٠ بنحو ثلاثين ألف يهودى عمل معظمهم كباعة جائلين وباعة الروبابيكيا وأيضا الاشتغال بالربا. وعندما كان ديكنز يحرر عددا

من المجلات مثل «متنوعات بنتلى» و«كلمات منزلية» و«على مدار العام» أظهر عداوة غير خافية ضد اليهود . حتى اسكتشاته وخطاباته الباكرة تنم عن هذه العداوة وعندما عرض منزله فى لندن للبيع تقدم لشرائه رجل أعمال يهودى هو زوج إليزا دافيد التى احتجت بشدة على العداوة ضد السامية التى تتجلى فى رواية «أوليفر تويست» لم يستبشر ديكنز خيرا فقد كان يتوقع منه التسويف والمراوغة غير أن هذا اليهودى كان صادقا معه فى كل معاملاته المالية.

رسم ديكنز فى رواية «صديقنا المشترك» شخصية يهودية اتسمت بالامانة والانسانية الغامرة والاخلاص والتواضع والاحسان والرغبة فى عمل الخير والعطف على كل صاحب حظ عاثر اسمها رياه. كان كل شيء فى شخصية رياه ينطق بالتقوى والورع. ومع ذلك فقد أخفق ديكنز فى تعويض اليهود عما سبق أن ألحقه من ضرر. فالمثقف العام يعرف شخصية اليهودى فاجين البالغة السوء فى رواية «أوليفر تويست» فى حين أنه لا يعرف عن شخصية اليهودى الطيبة رياه أى شيء. ثم إن هذه الشخصية الحميدة لم تكن محورية مثلما كانت شخصية أوليفر تويست محورية.

ولعل أهم ما يلفت النظر فى شخصية .. رياه اليهودية الحبيبة إلى النفس أنه نذر حياته لحماية الأطفال والقصر من الفساد على عكس فاجين الذى سعى ما وسعه السعى إلى جذبهم نحو الشر . فهو يقدم الحماية والدعم المعنوى لفتاتين شابتين هما جينى رن ابنة سكير عربيد

وليزى هكسام البنت اليتيمة التى انجبها أحد الصيادين . وهو يخف لنجدة ليزى هكسام عندما يستشعر أن الخطر يهددها . فقد وقعت هذه الفتاة فى غرام محام شاب اسمه يوجين راى برن لا يفكر مطلقا فى اتخاذها زوجة له . وتخشى ليزى على نفسها من الوقوع فى شباكه والاستسلام له ، فتلجأ إلى رياه فيساعدها على ايجاد عمل لدى بعض اليهود فى مكان بعيد عن لندن حتى لا تقابل الفتاة حبيبها وتقع فى غوايته . وتصف ليزى صاحب العمل اليهودى : «إن هذا الجنتلمان يهودى بكل تأكيد كما أن زوجته سيدة يهودية والذى عرفنى بهما يهودى . ولكنى أظن أننى لن أجد فى العالم بأسره من يفوقهما شفقة وحنانا» ، وبالرغم من أنها تستخدم كلمة «ولكن» فى هذه العبارة فليس من شك فى أنها تعبر عما تشعر به من امتنان نحو اليهود بصدق شديد . وأنه لمن المؤسف أن يكون هذا الرجل الطيب أداة طيعة فى يد مراب مسيحى لا ضمير له يدعى فاستيشن يتستر وراء رياه ، ويفرض صاحب الشركة على عملائه شروطا تعسفية واستغلالية بدون رحمة غير أنه يدعي أن رياه هو المسئول عنها . وتبلغ السخرية مداها عندما يصف صاحب الشركة رياه أمام الزبائن بأنه يهودى جشع . فضلا عن أنه يعيب عليه نذالته وخسته . غير أن ديكنز - كما أسلفنا - لم يحالفه التوفيق فى رسم شخصية اليهودى الطيب القلب مثلما حالفه التوفيق فى رسم شخصية فاجين الشرير .

ب. رئيس الوزارة بنيامين دزرائيلى (١٨٠٤ - ١٨٨١) يبالغ فى تمجيد اليهود

كان والده ايزاك دزرائيلى مؤلفا شعبيا للقصص فضلا عن تأليفه لكتابين هما «عجائب الأدب» (١٨٢٣) و«عبقرية الدين اليهودى» (١٨٣٣). ولد ابنه بنيامين عام ١٨٠٤ وتوفى هذا الابن عام ١٨٨١. استطاع بنيامين دزرائيلى أن يحصل على مقعد فى البرلمان عام ١٨٣٧ وهو عام اعتلاء الملكة فيكتوريا العرش البريطانى وظل يحتفظ بهذا المقعد على مدار أربعة وأربعين عاما حتى وفاته. ورغم أن والده قام بتعميده وفقا للمذهب الانجليكانى فقد ظل كثير من الانجليز يرتابون فيه، ويصفونه بأنه أجنبى. وساعد على ذلك شحوب وجهه وأن ملامحه اليهودية كانت ناطقة وايثاره عدم الاختلاط بالناس. واستقبله الانجليز بالسخرية والاستهزاء منذ أول يوم يدخل فيه البرلمان. وبدلا من الترحيب به استقبله مجلس العموم بالضحك والهسهسة عندما وقف كعضو جديد فى البرلمان ليلقى أول خطاب سياسى، الأمر الذى دفعه إلى رمى القفاز فى وجوه المستهزئين به ، فقد قال لهم إن اليوم سيأتى حين يصغون إلى ما يقول . وعايره الانجليز بيهوديته فلم يهتز له جفن وظل صامدا كالصخرة . وفى معايرتهم له وصفه أوكنل بأنه وريث اللص الذى جدف على المسيح أثناء صلبه معه. أما لوكهارت قريب الروائى المعروف والتر سكوت فقد وصفه بأنه محتال يهودى على أعلى مستوى. ونجح دزرائيلى فى الاحتفاظ بهدوئه أمام هذا الطوفان الجارف من التجريح

والاهانة. تحمل دزرائيلي معايرة الانجليز له مثلما تحمل أسلافه اليهود خسف الأمم بهم. وذات يوم عبر عن وجيعته لأخته دوروثي فقال لها: «إنهم لا يكرهونني لسياستي بل يكرهونني لنفسي». وأساء إليه زعيم المعارضة في البرلمان السير روبرت إنجليز عندما خاطبه قائلا: «إن اليهود نوع من الناس لا يمكن أن يعتبروا أنفسهم من الانجليز فهم شعب من الغرباء» ولم يشفع لبنيامين أن أباه عمده كمسيحي وهو في الثانية عشرة من عمره لأسباب اجتماعية ودنيوية . وحدث ذلك يوم ٣١ يوليه عام ١٨١٧ ولكن من الواضح أن دزرائيلي ظل طيلة حياته يشعر بأنه يهودي في أعماقه. ويبدو أن اللغة الطنانة التي استخدمها دزرائيلي في خطبه والملابس المزركشة البراقة ذكرت الانجليز بأنه ينتمي إلى الشرق أكثر من انتمائه إليهم.

وفي عام ١٨٣٣ دعا دزرائيلي في روايته الرومانسية الشرقية التي تحمل عنوان «آلروي» إلى تحقيق الحلم الوطني أو القومي الذي يتطلع إليه اليهود . وقد استقى دزرائيلي مادته الروائية من حكاية اليهودي دافيد ألروي أو ابن ألروهي الذي دعا نحو عام ١١٦٠ يهود أذربيجان إلى الثورة ولكن يد الغدر والخيانة اغتالته. ويعلي دزرائيلي من شأن هذا البطل القومي ويعتبره عبقرية عسكرية وشهيدا ضحى بروحه في سبيل تحقيق الحلم القومي اليهودي. يقول دزرائيلي إنه أثناء وجوده في أورشليم عام ١٨٣١ قام بزيارة مقابر ملوك إسرائيل في الزمن الغابر، الأمر الذي جعل تفكيره ينصرف إلى شخصية ألروي التي بهرته في

طفولته . ومن ثم قرر أن يعالجها فى عمل روائى، وتتميز لغة دزرائيلى فى هذه الحكاية بأنها لغة تزدان بالزخارف ويغلب عليها الطابع الغنائى في كثير من المواضع. وتنتهى الرواية بهزيمة ألروى الذى يسعى إلى أن يعيد إلى اليهود أمجادهم الغابرة فتحاول أخته ميريام أن تخفف عنه مرارة الهزيمة، وتقول إن من دواعى فخره أنه فعل أشياء عظيمة من أجل مجد اسرائيل، وأن ذكراه سوف تصبح مصدر الهام للأجيال اليهودية القادمة. ويرى بعض النقاد أن مسيحية دزرائيلى وانجليزيته لم ينسياه أصله اليهودى على الاطلاق ؛ ولهذا تهفو نفسه إلى أن يلعب دور المحرر لشعب إسرائيل أى يلعب الدور نفسه الذى لعبه ألروى فى محاولة تحرير اليهود . ويتلخص هذا الدور فى إحياء مجد شعب بنى اسرائيل التليد الذى لايزال يحتفظ بجذوة عزته متقدة رغم كل ما تعرض له من خسف واضطهاد على أيدى الفراعنة والأشوريين والأباطرة الرومان والصليبيين ومحاكم التفتيش فى اسبانيا وزعماء قبائل القوط. ولا شك أن قانون الاصلاح الصادر عام ١٨٣٢ الذى اعترف بحقوق اليهود الانجليز الانتخابية والدستورية أعطى دزرائيلى الأمل فى توسيع نطاق الديمقراطية القومية وفى الحلم الرومانسى بإقامة امبراطورية انجليزية عظيمة تحقق لليهود آمالهم فى انشاء وطن قومى لهم.

وفى شبابه الجانح نحو الرومانسية نشر دزرائيلى عام ١٨٢٦ رواية بعنوان «فيفيان جراى» تدور أحداثها فى انجلترا تحت حكم النظام الأرستقراطى القديم ، غير أن زمن الرواية القديم لم يمنع المؤلف من

تصوير وجهاء المجتمع ورجاله المرموقين المعاصرين له لدرجة أن ناشر هذه الرواية لم يجد غضاضة فى أن يمد القارىء بمفتاح للاسماء الحقيقية للشخصيات الروائية المشار إليها واحتج دزرائيلى على ذلك زاعما أن كل شخصياته من نسج الخيال ولا تمت إلى الواقع. ويؤكد بعض النقاد أن دزرائيلى عالج الحياة البرلمانية والسياسة الحزبية المعاصرة له فى أدبه وأنه فسرهما على النحو الذى يتفق مع مصالح حزبه. وفى عام ١٨٣٢ نشر مؤلفنا رواية بعنوان «كونتارينى فليمنج» . وتشتمل روايتا «فيفيان جراى» و«كونتارينى فليمنج» على بعض ذكريات المؤلف عندما كان تلميذا يعايره أقرانه بمولده ، ويكيلون له الاهانات لمنظره الأجنبى الأمر الذى حفزه إلى تحدى هذا الجو العدائى وعمق فيه احساسه بالغربة عن المجتمع. ويلقب فراش المدرسة التلميذ «فيفيان جراى» بـ «الغريب المهيج للخواطر» فيصيحون فى وجه الصبى «لا للغرباء» «لا للغرباء» . وأيضا نجد أن أقران الطالب كونتارينى فليمنج يشعرونه باستمرار باختلافه عنهم من نواحى العرق والشكل الهيئة . فلا غرو إذا رأينا دزرائيلى يراقب المجتمع الانجليزى المعاصر له كشخص غريب عنه. وهو يراقب هذا المجتمع الغريب عنه كما يراقب عالم التاريخ الطبيعى ، فى برود وحيدة علمية تصرفات وعادات النحل. وهكذا فهم هذا السياسى الأديب المجتمع الانجليزى والسياسة الانجليزية بعقل الأجنبى.

وتعبر أعمال دزرائيلى الأدبية «كوتنجسى» (١٨٤٤) «سيبل أو

أمتان» (١٨٤٥) و«تانكرد: أو الحملة الصليبية الجديدة» (١٨٤٧) عن رد فعل مؤلفها السياسى لمجريات الأحداث وفلسفته فى الحياة. وتتضمن جميع هذه الرومانسيات دعوة إلى إصلاح المجتمع الانجليزى من الناحيتين الأخلاقية والاجتماعية حتى يزداد رفعة ورقيا. والرأى عند مؤلفنا أنه لا مناص من أن تغير الأرستقراطية الإنجليزية الحاكمة من مسلكها وأسلوبها فى الحياة إذا أرادت الرقى والتحضر ويوصى دزرائيلى الشعب البريطانى بتكريس أداء الواجب وجعله الأساس لأية نهضة اجتماعية . والطريق الذى رسمه فى رومانسياته هو نفس الطريق الذى سلكه حين قيض له أن يتولى مسئولية قيادة دفة السياسة الانجليزية. دعا مؤلفنا فى أدبه إلى ضرورة تلقين الطبقة الانجليزية الحاكمة مبادىء الشرف والفضيلة والشجاعة وانفاق المال بغير سفه أو اسراف والسلوك الراقى المهذب. كما أراد من الارستقراطية الانجليزية المنحلة أن تتغير وتضع يدها فى يد الطبقة الانجليزية المتوسطة المفعمة بالحيوية والنشاط ، فبدون ذلك لا يمكن إقالة المجتمع الانجليزى من عثاره. ومن أجل الارتقاء بالمجتمع الانجليزى استحدث دزرائيلى مذهبا سياسيا يؤمن بالملكية الحرة والكنيسة وبحزب المحافظين بعد أن يتجدد شبابه. ولكنه أكد أن مثل هذا التقدم لن يكتب له النجاح إلا إذا عمل الانجليز على إزاحة العوائق القانونية والدستورية التى تعترض طريق تحرير اليهود وتمثيلهم النيابى ، وإلا إذا تشرب المحافظون روح اليهود وتعلموا منهم الاحساس بعزة وكرامة الجنس الذى ينحدرون من صلبه.

ويذهب دزرائيلى فى رواية «سيبل» إلى انقسام أمة الانجليز إلى أمتين أمة الفقراء وأمة الأغنياء. وهو يهاجم روح المادية التى استشرت فى المجتمع الانجليزى وباتت تهدد كيانه. ويذكّر دزرائيلى الانجليز الذين يهاجمون سياسة استعباد الزنوج على أنها منافية للقيم والأخلاق بضرورة الالتفات إلى أن بلادهم تعج بالمحرومين من بنى جلدتهم مثل عمال مناجم الفحم الذين يقاسون شظف العيش الذى يقاسيه الزنوج ويعملون لمدة ست عشرة ساعة فى اليوم. ويبشر دزرائيلى الشعب الانجليزى بضرورة العودة إلى حكمة الشرق المتمثلة فى الناموس الموسوى. وتصل دعاية دزرائيلى لصالح اليهود ذروتها فى رواية «تانكرد: الحملة الصليبية الجديدة» حيث نرى هذا البطل الشاب يضيق بحياة الزيف التى يعيشها المجتمع الانجليزى فيقرر السفر إلى الشرق لأداء فريضة الحج . وعندما يتوجه هذا الشاب إلى جبل سيناء يتضح له أن شعور الأوروبيين بالسخط والمرارة يرجع إلى أنها - أوروبا - لم تعد تعبد إله سيناء أو إله موسى وإلى أن العالم الغربى استبدل بقيم الشرق الروحية مادية كتلك التى استحدثتها قلعة الصناعة فى مانشستر . ويذهب مؤلفنا إلى أنه ينبغى على هذه الحملة الصليبية الجديدة أن تتجه شطر أورشليم . فلا غرو إذا رأينا فى رواية تانكرد اليهودى سيدونيا يسدى النصح إلى شخص تانكرد أن يتوجه شطر أورشليم والشرق . وتخبرنا الرواية أن الشابة الجميلة إيفا التى تنحدر من أصل يهودى على استعداد لاعتناق الدين المسيحى لولا أن المسيحيين يلحقون الظلم

والضيم بشعب الله المختار ذلك الشعب الذى خرج منه مخلصنا يسوع المسيح. تقول إيفا فى هذا الصدد:

«إن المسيحية التى استقيتها من كتابكم تتعارض مع المسيحية التى تمارسونها. وعندما تستبد الحيرة بى أجد أن الحكمة قد تقتضى منى أن أبقى فى كنف كنيسة هى أقدم سائر الكنائس طرا، أى فى كنف الكنيسة التى ولد فيها يسوع ولم يتركها أبدا لأنه ولد يهوديا وعاش يهوديا ومات يهوديا».

بهذه الكلمات تنكر إيفا الزعم بأنه يتعين على جنس اليهود أن يتحمل وزر قتل المسيح على يد البعض منهم. وتضيف إيفا إلى ذلك قولها إن جانبا كبيرا من اليهود فى الأقاليم أظهروا تعاطفهم مع المسيح. فلماذا إذن يكابد اليهود ونسلهم المر والعذاب بسبب جريمة لم يقترفوها ؟ وتحكى إيفا أن عائلتها وأجدادها كانوا يعيشون فى الفيافى والصحارى ويتنقلون بين الشعاب والوديان ومن ثم فإنهم أبرياء من جريرة صلب المسيح . وتستطرد إيفا والألم يعتصرها أن بائعا لثمار التين فى سميرنا تعمد أن يعبر الطريق تحاشيا لها كلما رآها وكأنه يخشى على نفسه من دنسها . ولهذا تؤكد إيفا أنها لن تعتنق الدين المسيحى أبدا حتى إذا لم تجد غير حبات الرمل تأكلها . وأيضا تقول إيفا إن اليهود هم الذين خلصوا البشرية من الخطيئة والإثم ومع ذلك فإن المسيحيين لا يكفون عن إيذائهم والإمعان فى اضطهادهم .

ويسعى تانكرد إلى تهدئة إيفا وإدخال الطمأنينة إلى نفسها وينفى

عن نفسه شبهة إلحاق الأذى باليهود فتجيبه إيفا بقولها إنهما إذن متفقان على أن نصف العالم يعبد العذراء مريم وهى امرأة يهودية والنصف الآخر يعبد يسوع المسيح وهو يهودى . وتتساءل إيفا من أخلق بالتفوق على الآخر فى عراقته وأصالته إذن: الجنس المعبود (أى اليهود) أم الجنس العابد (أى غير اليهود) ..؟

سعى دزرائيلى فى محاوراته وخطبه فى مجلسى العموم واللوردات إلى إبراز أنه يجب على الانجليز مثل اللورد إلدون وجلادستون ممن يتباهون بعظمة الدستور الانجليزى أن يدركوا أنه مأخوذ من المبادىء اليهودية وأن اليهود والمسيحيين يعبدون نفس الإله وأنهم فى عبادتهم يشتركون فى ترديد نفس مزامير الكتاب المقدس .

وعلى مرأى من جبل سيناء يصل تانكرد إلى رأى مفاده أن قوانين موسى أو قوانين سيناء هى التى تحافظ على حياة انجلترا وممتلكاتها . ورغم ذلك فالانجليز يضطهدون اليهود الذين علموهم استنان التشريعات السامية التى تخفف شقاء وعناء الجماهير الغفيرة . ويؤكد دزرائيلى أنه ليس هناك بين شعوب الأرض قاطبة من يدين بالفضل لليهود أكثر من الشعب الانجليزى الذى لولا اليهود لما استطاع أن يحقق لنفسه الحرية الدينية، ويتساءل تانكرد لماذا تحرص المجتمعات الساكسونية والكلتية على اضطهاد الجنس السامى رغم أنها استمدت منه قواعد السمو والرحمة ؛ ذلك الجنس الذى يطالع الانجليز أدبه فيستمدون منه المتعة والعلم فضلا عن السـ وى والعزاء . ويهدف دزرائيلى من روايته تانكرد

أن يبين سخافة الانجليز فى اعتراضهم على تحرير الشعب اليهودى العظيم الذى أسهم بنصيب وافر فى بناء الصرح الحضارى الحديث . ويفاخر كاتبنا فى أدبه الروائى بمنجزات اليهود فهو يرى أن الأصول العرقية لأى إنسان تفوق فى أهميتها جنسيته أو قوميته؛ فعظمة أى إنسان ما هى إلا انعكاس لعظمة الجنس الذى ينحدر منه . ويعلى مؤلفنا من شأن العرق اليهودى لأنه عرق خالص وخال من الشوائب ، وهو جنس استطاع أن يقهر النفى والمجازر والسلب والنهب الذى تعرض له وأن يتحدى الزمن . بالغ دزرائيلى فى إعلائه شأن العرق اليهودى فنسب إليه كل شىء راق وسام مؤكدا أن الدماء اليهودية تجرى فى عروق الموسيقيين الفطاحل أمثال موزارت وروسينى ، وفى عروق أبرز الدبلوماسيين الأوروبيين. حتى الأدب الانجليزى نفسه لا يقارن بعظمة ما أنتجه اليهود من أدب . واليهود فى نظره حفظة التقاليد والحكم المستقر ولسوف تخلص حكمتهم الآتية من الشرق أمم العالم . ولهذا كله لم يعد ممكنا بعد اليوم أن نرضى بتصوير اليهودى فى الأدب على أنه حافظ للمسروقات أو محرض فى عصابة أو مراب لا هم له سوى جمع المال أو بائع روبابيكيا فاليهودى الآن يضطلع بقيادة الفكر الإنسانى والفلسفة وكل تقاليد المجتمع الغالية والعزيزة على النفس، ويرد دزرائيلى أسباب نجاح اليهود الى ما يتمتعون به من طاقة هائلة ونشاط عظيم وثقة بالنفس بلا حدود ومثابرة على العمل بلا كلل أو تعب ، فضلا عن اعتزازهم بأنفسهم وتمردهم على الضيم ومثاليتهم التى

ورثوها عن أجدادهم . والجدير بالذكر أن موقف النقاد من إنتاج دزرائيلى تأرجح بين الاستحسان والرفض فمنهم من أشاد بموهبته الأدبية وأسلوبه المميز وبأهمية كتاباته من الناحيتين السياسية والاجتماعية فى حين أن بعض النقاد الآخرين استنكروا تحيزه السياسى الواضح لليهود وتحمسه المبالغ فيه لهم .

فعلى سبيل المثال تصدت مجلة «بانش» لدحض دعاية دزرائيلى .

ج ـ أنتونى ترولوب (١٨١٥ ـ ١٨٨٢)

يذهب بعض النقاد الى أن الروائى الانجليزى أنتونى ترولوب يفوق تشارلس ديكنز فى واقعيته .. ويرى ترولوب أن هناك نوعا من التوتر يعترى طبيعة الفن الروائى يتمثل فى التعارض بين سعيه الى تسلية القارىء وتعليمه . والمشكلة التى تواجه هذا الفن هى الجمع بين قدرة الرواية على الامتاع وقدرتها المماثلة على تعليم الناس على نحو جاد . ويذهب ترولوب الى أنه يستمد جميع شخصياته الروائية من المجتمع الذى يعيش فيه ولا ينسجها من خياله . والرأى عنده أن الطبيعة الإنسانية تجمع بين التعقيد والتنوع ، وأن الخير والشر يجتمعان فى النفس البشرية الواحدة . ويختلف البشر فيما بينهم فى درجة ما يتسمون به من شرور وفضائل ، فاختلاف هذه الدرجة هى سبب مانراه من تنوع البشر فضلا عن أنها تشكل أساس الصراعات التى تحتدم بينهم . وينصرف اهتمام ترولوب الى استجلاء التعقيدات النفسية والعاطفية فى نفوس شخوصه . ورغم أن بناءه الروائى

يعانى من كثرة التشعب والاستطراد وأن حبكاته الروائية تتجاوز قدرة المؤلف على السيطرة عليها فإنه ينجح فى أن يقدم الينا دراسات نفسية جيدة لشخوصه . ويهدف ترولوب فى الكثير من الأحيان الى استجلاء ما يعتمل داخل الإنسان وأثره فى مسلكه وتصرفاته .

لم يكن ترولوب روائيا متميزا بل كان روائيا من الدرجة الثانية بلغ إنتاجه الروائى نحو ستين رواية من بينها رواية نشرت عام ١٨٦٧ بعنوان «نينا بالاتكا» وهى تدور حول قصة حب نشأت بين يهودى اسمه انطون ترينديلسون ومسيحية اسمها نينا بالاتكا . وتقع أحداث هذه القصة في مدينة براغ وتشير الى أن المؤلف لا يجد غضاضة فى زواج المسيحية من اليهودى ، ومن أجل هذا نراه يرسم صورة مقيتة للكاثوليك الذين يسعون إلى الحيلولة دون اتمام هذا الزواج . ولا يثير جوزيف بالاتكا والد نينا اعتراضا يذكر على زواجها من يهودى ، وتظهر هذه الفتاة المسيحية اخلاصا عظيما نحو زوجها اليهودى الذى لا يخلص لها بقدر ما تخلص له . ورغم هذا فإن المؤلف ينسب اليه عددا من الخصال الحميدة التى يحلو للمسيحيين أن ينسبوها الى أنفسهم مثل التسامح مع والد زوجته المسيحى الذى استدان منه المال . ورغم هذه السماحة فإن ترولوب يرسم بعض الجوانب السلبية فى شخصية اليهودى فهو جشع وشكاك ومخادع . ويحرص المؤلف على فضح ضيق أفق النظرة التى تجعل المسيحى يرفض فكرة زواج اليهودى من مسيحية ولكنه

فى نفس الوقت يعترف بشرعية الاعتراضات التى يثيرها المسيحيون ضد هذا الزواج .

ولكن معالجة موضوع اليهود فى الحياة الانجليزية يبرز بشكل خاص فى رواية ترولوب «الطريقة التى نعيش بها الآن» التى كتبها وهو فى الثامنة والخمسين من عمره . والجدير بالذكر أن هذا المؤلف كان قد عاد فى ديسمبر ١٨٧٢ من بلاد المهجر الى لندن ليجد أن الحياة فيها أصبحت لا تطاق . وهاله أن يجد فى انتظاره جيلا جديدا من الخارجين على الأعراف والمنحرفين عن جادة الطريق ؛ الأمر الذى دعاه الى شن هجوم شديد الوطأة عليه فى روايته «الطريقة التى نعيش بها الآن» . كتب ترولوب مبررا هجومه الشديد على فساد الحياة اللندنية الجديدة بقوله إنه لاحظ عند عودته من بلاد المهجر إلى لندن انتشار عدم الأمانة وشيوع الرغبة فى الصعود إلى القمة دون وازع أو رادع . ويبدى ترولوب دهشته من أن هذا الاتجاه الفاسد الجديد يرتدى ثوبا قشيبا ورائعا فهو فساد يظهر فى القصور الفخيمة حيث تزدان الجدران باللوحات وتمتلىء الدواليب بالمجوهرات وينتخب صاحبها عضوا فى البرلمان ويتعامل بملايين الجنيهات ، إنه فساد يبدو رشيقا ورائعا . يقول ترولوب إن إدراكه لهذا الفساد هو الذى حفزه الى الامساك بالقلم لكتابة روايته «الطريقة التى نعيش بها الآن» (١٨٧٣) .

ويلاحظ على جميع شخصيات رواية «الطريقة التى نعيش بها الآن» سواء كانت يهودية أو مسيحية أنها تعانى من العيوب وتشوبها

النقائص؛ الأمر الذى قد يغرى بعض القراء على الظن بأن المؤلف يوزع الاتهامات بالتساوى ضد اليهود والمسيحيين على حد سواء ، ولكن الحقيقة أن كراهية المؤلف تنصرف الى اليهود أكثر مما تنصرف الى المسيحيين . والرواية تدور حول ممول يهودى نصاب أنانى وفظيع فى جشعه اسمه أوغسطوس ميلموث . وهذا النصاب اليهودى يستقر فى لندن بعد نجاحه فى القيام بالكثير من أعمال النصب فى كل من ڤيينا وباريس ؛ الأمر الذى مكنه من جمع ثروة طائلة ساعدته على اجتذاب أرستقراط انجلترا الجشعين اليه وسهلت عليه مهمة اقناعهم بقدرته على توفير الثراء لهم عن طريق لمسة يده السحرية التى تجعل النقود تتوالد . واحدى الافكار التى شغلت بال انتونى ترولوب كروائى تتلخص فى أن اليهودى يختلف عن سائر البشر فى ملامحه وصفاته الجسدية فهو تعلوه القذارة وتكسو جلده الدهون كما أن شعره أسود وكثيف . هذه الصورة لليهودى تظهر فى روايته «الطريقة التى نعيش بها الآن» وقد سبق أن رسم صورة مماثلة فى روايته «رئيس الوزراء» حيث نجد أن النظرة الى اليهودى تختلف اختلافا تاما من شخص الى آخر ، فالجنتلمان الانجليزى ، يرى فيه القذارة فى حين أن النساء الانجليزيات يرين فيه الوسامة والفحولة الجنسية التى لا سبيل الى مقاومتها ، وتقع فى غرامه الجارف امرأتان هما إميلى وارتون والليدى جلينكورا .

ويسعى انتونى ترولوب فى روايته «نينا بالاتكا» إلى إظهار نوع من العطف على اليهود تماما كما فعل تشارلس ديكنز فى روايته «صديقنا

المشترك» ولكنه يفشل فى ذلك على نحو فشل ديكنز فى روايته . فى حين أن ترولوب يحالفه التوفيق فى رسم صورة منفرة لليهود مثلما نجح ديكنز فى رواية «أوليڤر تويست» فى رسم صورة كريهة لهم . وتتميز «الطريقة التى نعيش بها الآن» بإبراز مدى انشغال بال اليهود الاوغاد بالمال فى حين أن المسيحيين الأوغاد فى الرواية يدركون أن المال قادر على تلويث الحياة وتدنيسها ، ولهذا فإن اليهود فى هذه الرواية لا يجدون غضاضة فى تلويث أيديهم من أجل الحصول على المال ، فى حين أن المسيحيين ينتظرون أن يهبط عليهم المال دون تلويث أيديهم . وشخصية اليهودى المحورية أوغسطوس ميلموث كما أسلفنا شخصية محتال ونصاب ورغم هذا فهى تحمل الآخرين على احترامها والخوف منها ، وهى تتمتع بقدر هائل من النشاط يساعده على تحقيق مآربه التجارية ، وإنه لمن الغرابة بمكان أن أنتونى ترولوب الذى ينعى اندثار القيم الاجتماعية القديمة يحمل نحو هذه الشخصية قدرا واضحا من الاعجاب يتزامن مع نفوره منها ، ويرجع أحد أسباب هذا الاعجاب الى قدرة هذا اليهودى الشرير على أن يواجه تدهور أحواله بضبط النفس والتحكم فى عواطفه .

ويشبه الشرير اليهودى ميلموث أقرانه من الشخصيات اليهودية الشريرة فى الأدب الانجليزى أمثال باراباس فى مسرحية كريستوفر مارلو «يهودى مالطا» وشيلوك فى مسرحية «تاجر البندقية» لوليم شكسبير فهذه الشخصيات جميعا تتمتع بالثراء والعودة بالنفع على

المجتمع الانجليزى المسيحى ؛ ولكنها فى ذات الوقت تضمر العداء لهذا المجتمع وتسعى جاهدة إلى تقويضه والاساءة اليه . وهناك وجه شبه آخر فرجل الأعمال الناجح ميلموث يشبه كلا من باراباس وشيلوك فى أن له ابنة تتآمر عليه وتتعاون مع أعوانه لتدميره ، وتنجح ابنة ميلموث فى السيطرة على جانب كبير من ثروة أبيها ، وفى حين نرى أن شيلوك وباراباس أرملان نجد أن زوجة ميلموث لاتزال على قيد الحياة ، ويستخدم المؤلف هذه الزوجة لرسم تقاطيع الوجه اليهودية وتمييزها عن سواها من الأجناس ، وصورة اليهودى فى الأدب الانجليزى بوجه عام وفى أدب أنتونى ترولوب بوجه خاص تتميز بالذكاء على الدوام، والفرق بين الذكاء اليهودى والذكاء المسيحى يتلخص فى أن الأول يفتقر إلى الأخلاق الأمر الذى يعطى الانطباع بأنه ذكاء وضيع أجوف رغم نجاحه المؤكد فى الوصول الى مآربه .

وأيضا تحتوى رواية ترولوب «الطريقة التى نعيش بها الآن» على شخصية يهودى ثرى من رجال الأعمال فى لندن اسمه حزقيال بريجرت وهو أرمل يسعى إلى الزواج من امرأة تدعى جورجيانا لونجستاف حتى تتمكن من اعلاء شأنه فى المجتمع الانجليزى . ولا يخفى المؤلف كراهيته لهذه الشخصية اليهودية القميئة شكلا وموضوعا . فترولوب يصف هذا الرجل ذا الوجه المنفر بأنه يشبه الجزارين والحلاقين فى آن واحد . يقول ترولوب فى روايته إن اليهود أوشكوا على احتلال انجلترا ونهب ثرواتها وتسميم ينابيع الحياة فيها ، فضلا عن أن الرواية تحتوى على

بعض الشخصيات اليهودية الهامشية المحتقرة مثل النصاب اليهودى جولد شتينر الذى يتخلى عن ديانته اليهودية ويعتنق الدين المسيحى لاهداف دنيوية وضيعة .

وتختلف الشخصية اليهودية الشريرة فى أدب ترولوب الروائى عنها فى أدب كل من تشارلس ديكنز وكريستوفر مارلو حيث إن اليهود الأشرار فى أدب كل من ديكنز ومارلو أوغاد من الألف الى الياء ، فى حين أن الشرير اليهودى ميلموث يشبه شيلوك فى كونهما يتمتعان رغم شرهما ببعض الخصال المحببة الى النفس مثل قدرتهما على التحكم الواضح فى مشاعرهما ؛ الأمر الذى يمكن شيلوك من السخرية فى قرارة نفسه من المسيحيين من أهل البندقية كما يمكن ميلموث من اظهار احتقاره للمحيطين به . وترولوب لا يلجأ إلى الاثارة والمعالجة الميلودرامية التى نراها فى الصورة التى يرسمها ديكنز لشخصية زعيم العصابة فاجين فى رواية «أوليفر تويست» ولكن هذا لا ينبغى أن ينسينا وحشيته وفظاعته وجنوحه الى مص دماء كل من يقابله ، فضلا عن أن منظره من الناحية البدنية أقرب ما يكون إلى البلطجى الذى يشيع الخوف والرهبة فى النفوس . والانطباع العام الذى يتركه اليهودى فى أدب ترولوب الروائى أنه نصاب محتال ويخلو من كل أثر للتهذيب . ورغم شخصيته المرهوبة الجانب فإن ابنته مارى تشق عصا الطاعة عليه وتزمع الزواج من البارون السير فيلكس كادبرنى الذى يخطط لأن يعيش عالة عليها ويستحوذ على أموالها ، ويستشيط الرجل غضبا من ابنته

العاقة ماري فيقوم بضربها ضربا مبرحا . ويلاحظ في هذا المقام أن عددا غفيرا من الشخصيات اليهودية التي يرد ذكرها في الأدب الانجليزي أمثال ميلموث وباراباس وشيلوك وفاجين يتسم بالغلظة والوحشية والقدرة على استخدام القسوة البالغة.

ورغم كل ما يحمله ترولوب لشخصية ميلموث اليهودي من موجدة وبغضاء فقد ظل مؤلفنا يحمل شيئا من الاعجاب به ، وعندما أقدم هذا اليهودي على الانتحار لم يفت المؤلف أن يضفي على موته شيئا من الجلال الروحاني ، ويحظى ميلموث بشيء من تعاطف المؤلف والقارىء معه بسبب انتحاره . ويذهب ترولوب الى الاعتقاد بأنه رغم وحشية اليهود ونزوعهم إلى الإجرام فإنهم لا يخلون تماما من العواطف الإنسانية . ويختتم ترولوب روايته «الطريقة التي نعيش بها الآن» بنوع من التفاؤل بأن المجتمع الانجليزي لن يقع في براثن اليهود أو يصبح مطية لهم أبدا . ويتضح من رسم المؤلف لشخصية ميلموث أنها لا تخلو من التناقض فرغم أن شخصيته بوجه عام تثير النفور والاشمئزاز فإن القارىء لا يملك غير أن يعجب بقدرته الهائلة على تحمل المكاره .

د - جورج اليوت (١٨١٩ - ١٨٨٠)

في عام ١٨٧٦ أصدرت الروائية الانجليزية المعروفة جورج إليوت وهي في ذروة شهرتها ومجدها الأدبي روايتها الأخيرة بعنوان «دانييل ديروندا» التي تدافع عن الفكر الصهيوني في زمن باكر للغاية . ودانييل ديروندا اسم شخص يهودي لا يفطن الى أصله اليهودي يتبناه

أرستقراطى انجليزى ويحسن تنشئته . ويدور نصف الرواية على أقل تقدير حول شخصيات وموضوعات يهودية خالصة لدرجة أنها تنقسم الى نصفين الأول انجليزى والثانى يهودى ، ورغم أن ديروندا يجهل أن أصله يهودى فإنه ينجذب دون أن يشعر نحو بنى جلدته من اليهود .

وإذا كان الأدب الانجليزى قد درج على رسم صورة مقيتة لليهود فقد شذت الروائية جورج إليوت عن هذه القاعدة إذ أنها رسمت صورة دانييل ديروندا على نحو محبب للنفس ، فضلا عن أن الرواية تحتوى على عدد من الشخصيات اليهودية التى تتسم بالخصال الحميدة مثل الفتاة الفاضلة ميرا التى يقع ديروندا فى غرامها . وينصرف اهتمام هذه الفتاة الى البحث عن أخيها وأمها التى يتضح أنها ميتة ، أما أخوها واسمه إزرا موردخاى فيعمل فى حرفة متواضعة هى صناعة الساعات ويعيش لدى عاملة يهودية تعمل برهن الاشياء، غير أن صورته النبيلة أقرب ما تكون الى صورة نبى فى التوراة أو العهد القديم. تقول جورج إليوت فى وصف هذا الرجل بأن ملامح النبوة تبدو على وجهه ، فضلا عن أنه يعطى الانطباع بأنه شاعر عبرى عبقرى ومجدد ينتمى الى العصر الوسيط. ورغم أن هذه الرواية تصور هذا الرجل فى أواخر أيامه وقد ذوى جسده من شدة السقم والمرض فإنه لايزال يحتفظ بجذوة حلمه الصهيونى فى أن يجد خليفة له فيترسم خطاه ويؤمن إيمانا عميقا وراسخا بإحياء فكرة إنشاء وطن يهودى فى فلسطين، ويقع اختياره على دانييل ديروندا كى يخلفه ولكن ديروندا يرفض هذا العرض وينكر

أنه يهودى فهو كما أسلفنا يجهل حقيقة أصله اليهودى ، ولكنه يعجز عن مقاومة سحر شخصية موردخاى ويظهر نحوها التقدير والتبجيل : الأمر الذى يحفزه - بالاضافة الى حبه للفتاة اليهودية ميرا - إلى التوافر على دراسة الموضوعات واللغة العبرية وزيارة المجامع اليهودية .

والجدير بالذكر أن جورج إليوت كتبت هذه الرواية المدافعة عن إنشاء وطن قومى لليهود قبل أن يتزعم الصهيونى المعروف ثيودور هيرتزل الحركة الصهيونية ويدعو إليها فى كتاباته بعشرين عاما على أقل تقدير ؛ الأمر الذى دفع يهود أوروبا إلى الإيمان بأن جورج إليوت نصيرة الصهيونية . وليس أدل على اعتراف الحركة الصهيونية بالفضل لها من أن الصهاينة عند إنشاء دولة إسرائيل عام ١٩٤٨ أطلقوا اسم جورج إليوت على أحد شوارع تل أبيب ، فضلا عن أنهم أطلقوا اسمها أيضا على الكثير من شوارع مدن اسرائيل الرئيسية .

استقبل الصهاينة المعاصرون لجورج إليوت روايتها «دانييل ديروندا» بحماس بالغ وتهليل عظيم ، وأثلج صدر المؤلفة تقريظ اليهود المتعلمين لها ، وامتداح دقة واتساع معرفتها بتاريخ اليهود وأدبهم وعاداتهم . ومع ذلك فقد راودت المؤلفة أثناء تأليفها للرواية الشكوك واعتقدت أن الجمهور الانجليزى سوف يستقبلها بالامتعاض والازدراء بسبب اعتياد هذا الجمهور على الزراية باليهود وتصويرهم على نحو منفر . حتى جورج هنرى لويس الذى اتخذته المؤلفة عشيقا وزوجا مدنيا لها ساورته مثل هذه الشكوك ، ولهذا كتب يوم ١ ديسمبر عام ١٨٧٥

الى ناشر الرواية جون بلاك وود يشكره على تحمسه للرواية ويعبر عن امتنانه لإعجابه بها لأنه كان يشارك المؤلفة شكوكها فى حسن استقبال الجمهور الانجليزي لها . وفى ٧ سبتمبر عام ١٨٧٦ أرسل الناشر بلاك وود الى المؤلفة خطابا أشار فيه إلى الانطباع العام الذى تركته رواية «دانييل ديروندا» فى نفوس القراء الانجليز . يقول بلاك وود فى هذا الصدد إنه يكاد يكون من المستحيل الترويج بقوة للفكر الصهيوني فى انجلترا ويعبر عن دهشته واعجابه لقدرة المؤلفة على الانتقال فى نصف الرواية اليهودى الى نصفها الانجليزى دون أن تفقد التماسك بين جمهور قرائها . صحيح أن المعادين لليهود اشتكوا من الرواية وزمجروا ضدها ولكن هذا لم يمنعهم من الاستمرار فى قراءة الرواية . وفى الشهر التالى يوم ١٢ اكتوبر كتب جورج هنرى لويس الى صديق له يقول : «لقد شعرت أنا والمؤلفة بالامتنان العميق لما أبداه الحبر الأكبر واليهود المتعلمون الآخرون من اعجاب شديد بالرواية ولما أبدوه من دهشة من أن تعرف كاتبة مسيحية الكثير عن حياتهم وأن تتمكن هذه الكاتبة من الفهم الكامل لمشاعرهم وطموحاتهم ، ومما يزيد من ترحيبى بالرواية أن جزءاً كبيرا على أقل تقدير من جمهور القراء المسيحيين لا يتعاطفون بالمرة مع هذا الجزء «اليهودى» من رواية دانييل ديروندا» . وفى ٢٩ أكتوبر من عام ١٨٧٦ كتب لويس الى بلاك وود يقول : «يبدو أن اليهود يشعرون بالامتنان العظيم نحو ديروندا ومن الجائز أن يعوض امتنانهم عن ازورار عدد كبير من المسيحيين عنها ، ومن الجائز عندما

تصدر طبعة رخيصة من الرواية أن ترى أثر العطف الذى تظهره المؤلفة نحو اليهود» . وبعد مضى أيام قلائل كتبت جورج إليوت الى ناشرها بتاريخ ٣ نوفمبر من نفس العام تقول : «توقعت أن تثير روايتى قدرا من المشاعر المضادة يفوق مالمست من امارات» ، غير أن تقديرها لحقيقة الموقف لم يكن سليما مثل تقدير عشيقها جورج هنرى لويس له فهو يذكر فى هذا الصدد بتاريخ ٢٢ نوفمبر من نفس العام : «يبدو أن هناك احساسا عاما بخيبة الأمل المتمثل فى كل هذا الإعراض عن العنصر اليهودى لدرجة أن أملى الوحيد أصبح يتمثل فى أن بيع الرواية على نطاق واسع لن يتحقق الا عن طريق جمهور القراء اليهود ، وأخشى أن ذلك لن يتم الا بإصدار طبعة رخيصة» . ورد الناشر على جورج هنرى لويس بقوله : «قد يكون اليهود أكثر اثارة للاهتمام فى العالم ، ولكن سحر يراع المؤلفة لا يستطيع أن يجعلهم على الفور عنصرا شعبيا فى الرواية». وفى ١ ديسمبر ١٨٧٦ كتبت جورج إليوت فى يومياتها مدخلا مفاده أن استقبال رواية دانييل ديروندا كان مزيجا من السخط والرضا المقترن بارتفاع نسبة مبيعاتها .

ولم يكن افتقار الانجليز الى العطف على اليهود السبب الوحيد فى إعراضهم عن رواية «دانييل ديروندا» كما كانت جورج إليوت وعشيقها لويس يعتقدان فهناك سبب آخر يتمثل فى ضعف جزء الرواية الخاص باليهود بالمقارنة بجزئها الخاص بالانجليز من الناحيتين الفنية والجمالية، لقد دأب نقاد الأدب على مدار قرن بأكمله على ترديد الرأى

النقدى الذى يمتدح نصف الرواية الانجليزى لتميزه بالسخرية والنعومة النفسية والدقة الاجتماعية فى حين ينحى باللائمة على نصفها اليهودى لما يتصف به من جمود ونزعة الى التبشير والوعظ والارشاد. وظلت هذه النظرة النقدية سائدة حتى وقت قريب حيث نرى الناقد الكبير ف . ر. ليفز يهاجم نصف الرواية اليهودى ويرد السبب فى ضعفه الى شدة تورط المؤلفة العاطفى في أحداث وشخصيات هذا النصف، ومن ثم نراه يصف هذا النصف بأنه مجرد افتراض عاطفى . واقترح ليفز استبعاد النصف اليهودى والاحتفاظ بالنصف الانجليزى وإعادة نشره كرواية مستقلة بعنوان «جونيدولين هارليث» .

ويمكن القول بأن جورج اليوت نجحت فى أن ترسم فى رواية «دانييل ديروندا» صورة للأم اليهودية المتمردة على كل القيود التى تفرضها الديانة اليهودية عليها ... تلك الديانة التى تعلى من شأن المرأة الخاضعة الخانعة مثلما نجد فى شخصية البطلة اليهودية المطيعة ميرا . ومن الخطأ أن نظن أن مؤلفتنا كانت دوما تبدى العطف على اليهود ، فقبل صدور روايتها الأخيرة «دانييل ديروندا» بثمانية عشر عاما نراها ترفض الصورة الحانية على اليهود والمبرزة لفضائلهم والمنادية بتفوقهم كشعب الله المختار كما صورها بنيامين دزرائيلى فى أعماله الروائية . وقد عبرت جورج إليوت فى ١١ فبراير ١٨٤٨ عن رفضها لفكرة تفوق اليهود على سائر الأجناس بل تفوق الدين اليهودى على سائر الأديان . وتعترف كاتبتنا بتفوق الشعر العبرى غير أنها فى نفس الوقت تعبر عن

ازدرائها للأساطير اليهودية الباكرة والتاريخ اليهودى ، وقد ذهبت الى أن كل ما هو يهودى أقرب ما يكون الى الدونية والانحطاط . وبالنظر الى أن هذا كان موقفها من اليهود قبل تأليف «دانييل ديروندا» فلا مناص من الإقرار بأن موقفها المحتقر لليهود تغير رأسا على عقب وكان بمثابة تطور جذرى ودرامى معا . ويتضح لنا هذا التغير الجذرى من الخطاب الشهير الذى أرسلته الى الروائية الأمريكية هارييت بيتشر ستو مؤلفة رواية «كوخ العم توم» ، والذى شجبت فيه استعباد الزنوج فى أمريكا . تقول جورج إليوت فى هذا الخطاب إنها أحست بدافع يحفزها الى الكتابة عن اليهود بكل ما أوتيت من عزم وعلم ، وتشكو كاتبتنا قائلة : «إننى أقابل رجالا تلقوا تعليمهم فى مدرسة راجبى الراقية الخاصة يعتقدون أن المسيح كان يتحدث باليونانية» ، وتستدل جورج إليوت فى هذا على مدى انحطاط الثقافة الانجليزية وضيق أفقها آنذاك .

ومن المرجح أن اهتمام جورج إليوت الشخصى باليهود يرجع الى عام ١٨٥٤ حين قامت بزيارة ألمانيا بصحبة عشيقها وزوجها غير الرسمى لويس الذى قدمها الى فطاحل اليهود فى مجالات الفن والموسيقى والعلوم الأمر الذى أوحى اليها فى عام ١٨٥٦ بكتابة مقال عن الكاتب الألمانى اليهودى المعروف هنريتش هاينى . وقد رسخت جورج إليوت بمقالها اعتقادا ظل سائدا فى أوساط النقد الايطالى والأمريكى أن هاينى هو الوريث الحقيقى لجوته فى الأدب الألمانى . وتوثقت عرى

صداقتها بالمفكر الألماني اليهودى عمانوئيل ديوتش الذى آمن إيمانا متأججا بضرورة إنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين . ومن مظاهر هذه الصداقة أن عمانوئيل ديوتش الذى التقت به عام ١٨٦٦ كان يعطيها درساً أسبوعيا فى اللغة العبرية فضلاً عن أنها صورته فى رواية «دانييل ديروندا» فى شخصية موردخاى . والذى لاشك فيه ان اهتمامها بدراسة الأديان أسهم فى حفزها إلى العناية بدراسة الديانة اليهودية . والجدير بالذكر أن جورج إليوت أولت الدين البروتستانتى الانجيلى بالغ اهتمامها فى باكورة حياتها قبل ان تساورها الشكوك فى صحة الدين . ونحن نراها فى هذه الفترة الباكرة من حياتها قبل أن تشرع فى تأليف القصص والروايات تتوافر على ترجمة «حياة المسيح» لشتراوس وأيضا ترجمة كتابى سبينوزا «الاخلاق» و«نبذة فى اللاهوت والسياسة» ورغم ان جورج البوت تخلت عن ايمانها الباكر بالدين فإنها ظلت تكن الاحترام للحياة الدينية وقدرة الدين على دفع الانسان إلى تجاوز انانيته واهتماماته الشخصية المحدودة . ومن الملاحظ ان جورج إليوت فى أدبها الروائى تعنى باستقصاء قدرة الانسان على التسامى والارتفاع بهويته المحدودة . فضلا عن أنها تستقصى فى أدبها القدرة على الارشاد الروحى والاخلاقى احيانا على ايدى الزعماء الدينيين . فلا غرو إذا رأينا انها تستمد أول ما نشرته من قصص بعنوان «مشاهد من الحياة الكهنوتية» من رجال الاكليروس، ومن بينهم شهيد محاكم التفتيش الايطالية الكاهن سافونا رولا الذى

رسمت له صورة تاريخية تفصيلية فى روايتها «رامولا» . وعندما اقدمت مؤلفتنا على رسم صورة لدانييل ديروندا أو موردخاى فإنها لم تفعل اكثر من اضفائها بعدا يهوديا على اهتمامات دينية كانت متأصلة فيها بالفعل . والجدير بالذكر ان موردخاى في رواية «دانييل ديروندا» هو الذى اقنع دانييل بأصله اليهودى وجعله يستقبل هذا الأصل بفرحة عارمة وابتهاج شديد ممتزج بالشعور العميق بالامتنان.

وإذا كان دانييل ديروندا فى بادئ الأمر يعانى من الافتقار إلى الشخصية فإن هذا يرجع إلى جهله بأصله اليهودى. وبمجرد ان اصبح واعيا بهذا الأصل تحول إلى شخصية حقيقية من دم ولحم، وكأنه ليس بإمكانه ان يصبح كذلك إلا بعد ان يصل حاضره بماضيه على الصعيدين العرقى والتاريخى . وتفضح رواية دانييل ديروندا مادية المجتمع الانجليزى ونفاقه وانعزاله ورضاءه الرخيص عن نفسه جنبا إلى جنب مع المجتمع اليهودى الأرحب ثقافة والأوفر عطفاً ؛ الأمر الذى يعطى القارىء الانطباع بأن المجتمع الانجليزى تشوبه العيوب الاخلاقية رغم نجاح المؤلفة من الناحية الفنية فى رسمه وتصويره ، فى حين يبدو المجتمع اليهودى جديراً بالمدح البناء من الناحية الاخلاقية غير أن هذا التصوير تشوبه المثالب والعيوب من الناحية الفنية . ومن المفارقات بين نصف الرواية الانجليزى ونصفها اليهودى ان ترى ان الحياة الانجليزية فى مسيس الحاجة إلى الخلاص الروحى فى حين ان نصفها اليهودى

يضفى على دانييل واشتياقه إلى إنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين نوعا من الحيوية الاخلاقية.

ولكن من الخطأ ان نعتقد ان كل الشخصيات اليهودية فى رواية دانييل ديروندا محببة إلى النفس فهناك شخصيات يهودية هامشية كثيرة تثير التقزز والمقت أكثر مما يثيره كثير من المسيحيين . ويبدو ان جورج اليوت قد تعمدت تصوير بعض النماذج اليهودية على هذا النحو القمىء حتى تجعلنا نصدق شخصياتها اليهودية السامية والمثالية والنبيلة . وكل شخصيات الرواية اليهودية عن بكرة ابيها ينطبق عليها وصف كارل ماركس لليهود بأنهم أناس منفتحون على العالم يشعرون بأنهم ليست لهم جذور فى أى من بلاده . وأحد الأمثلة على هذا الشعور اليهودى بالاغتراب فى الرواية هو الموسيقار اليهودى كليسمر الذى يصف نفسه بأنه يهودى متجول.. وهو وصف لا ينطبق عليه وحده بل ينطبق على كل اليهود الذين تزخر بهم الرواية . حتى بطل الرواية نفسه ديروندا يمثل اليهودى المتجول أو اليهودى المغترب الذى ليس له وطن، فديروندا ابن لوالدين يهوديين شرقيين من السفارديين مات أبوه فى طفولته فاضطرت أمه إلى ان تعهد به لأرستقراطى انجليزى اسمه هيجو مالنجر كى يربيه تربية انجليزية مهذبة، ورغم هذا فإن دانييل تجرفه الرغبة فى الانفتاح على بلاد العالم المختلفة وان يفهم وجهات نظر الشعوب الاخرى، ثم يكتشف دانييل حقيقة اصله اليهودى عندما تشاء الاقدار ان يقابل امه - فى مدينة جنوة بإيطاليا - والتى أصبحت

أميرة نتيجة زواجها من نبيل روسى يحمل اسماً ألمانيا . يقول ديروندا لأمه انه يعتقد أنه شيء طيب ان ينشأ ويترعرع وهو يدرك حقيقة اصله اليهودى ولكنه ايضا شئ حسن أن يتلقى تعليما وعطفا منفتحا على العالم فى أوسع صورة .. ومعنى هذا أن ديروندا يمثل المثل الأعلى فى التنوير والثقافة الانسانية العريضة فى حين أن اشتياقه إلى العثور على اصله وجذوره يمثل نمو فكرة القومية فى القرن التاسع عشر ، والتى غدت شيئا جديراً بالاحترام. والجدير بالذكر أن هذا الانفتاح الثقافى اليهودى على العالم الخارجى ليس مقصوراً على دانييل ديروندا وحده فموردخاى المولود فى انجلترا على سبيل المثال يقرر ان يواصل دراسته فى ألمانيا حتى يكتسب نظرة أوسع وأرحب إلى شعبه اليهودى وأيضا الشعوب غير اليهودية. ويجدر بالذكر أن جورج اليوت فى روايتها ترى أن عددا كبيرا من اليهود يتمتع بالموهبة الفنية وخاصة موهبتى الموسيقى والتمثيل.

٤ ـ اليهود فى الدراما الفيكتورية

أ ـ الدراما الإنجليزية فى أوائل القرن التاسع عشر

يمكن القول بأن الشعر الانجليزى فى مطلع القرن التاسع عشر احتفى باليهود أكثر من احتفاء الدراما الانجليزية آنذاك بهم . لقد شاهدنا الشاعر المسرحى ريتشارد كمبرلاند يقف بجانبهم ويتعاطف معهم. وتجدر الاشارة الى ان الكاتب المسرحى الانجليزى شيريدان نولز (١٧٨٤ ـ ١٨٦٢) قام بعرض مسرحيته المتعاطفة مع اليهود على مسرح الهاى ماركت يوم ٩ أكتوبر ١٨٣٨ بعنوان «عذراء مارنيدورت» المستقاة من رواية أنا ماريا بورتر المنشورة تحت عنوان «قرية مارنيدورت» وقد أصابت مسرحية نولز شيئا من النجاح الذى فشلت مسرحية توماس واد فى تحقيقه.

واللافت للنظر ان الدراما الانجليزية فى أوائل القرن التاسع عشر ، الهزيلة كما وكيفا ، عالجت اليهودى كشخصية تثير الضحك. واستمدت هذه الدراما مادتها الهازلة على وجه التحديد من صورة اليهودى كبائع روبابيكيا وملابس قديمه.. وحذت صالات الرقص والغناء نفس هذا الحذو فسخرت من اليهودى واستهزأت به كما نجد فى اغنيتين حظيتا بالشعبية آنذاك وهما «المستر ابراهام» و«بائع الملابس القديمة».. ولم تقتصر هذه الزراية بالسمسار اليهودى وبائع الروبابيكيا اليهودى بل انتشرت فى كثير من المسرحيات الشعبية الرائجة مثل مسرحية «الفتاة

الخفية» تأليف ثيودور هوك التي قدمها مسرح دروري لين عام ١٨٠٦ وايضا في نفس العام قدم هذا المسرح مسرحية بعنوان «الرجل المنتقم» من تأليف توماس هولكروفت . أما مسرح السيرك فقد قدم عام ١٨٠٦ مسرحية هازئة باليهود ألفها ج. س . كروس بعنوان «الصديق الزائف». غير ان مسرح الكوفنت جاردن قدم عام ١٧٩٨ مسرحية من تأليف توماس ديبدين بعنوان «اليهودي والطبيب» تدور حول يهودي كريم وطيب القلب يقوم بتربية ورعاية فتاة مسيحية تدعى اميلي منذ نعومة اظفارها ويمنحها هدية مالية كبيرة للاحتفاء بزواجها من حبيبها. فضلا عن ان ديبين ألف مسرحية اخرى بعنوان «مدرسة التحيز» قدمتها فرقة الكوفنت جاردن عام ١٨٠١ ، وتدور هذه المسرحية حول يهودي امين يدعى افرايم يجد مبلغا كبيرا من المال في بطانة معطف قديم فيعيد المال إلى صاحبه .. وقد أعيد تقديم هذه المسرحية عام ١٨٢٥ تحت عنوان آخر هو «المحامي واليهودي والرجل القادم من يوركشير».

ومثلت أيضا بعض المسرحيات التي لم تظهر فيها شخصيات يهودية بطريقة مباشرة ولكن ظهرت فيها بعض الشخصيات غير اليهودية التي تتخفى وراء اقنعة يهودية بهدف اثارة الضحك أو التمكن من القيام ببعض الممارسات الشريرة، ومن هذه المسرحيات تلك المسرحية التي قدمها مسرح دروري لين عام ١٨٠٧ بعنوان «إيلا روزنبرج» وهي مسرحية مأخوذة عن الفرنسية تصور شريراً يسعى لكسب رضاء البطلة فيتخفى في زي يهودي يتاجر في اللوحات والصور.

فضلا عن ان هناك مسرحية اخرى من هذا النوع من تأليف دابليو ت. مونكريف قدمها مسرح الاوليمبيك عام ١٨١٨ بعنوان «روشيستر أو الايام المرحة للملك تشارلس الثانى» . ونحن نرى فى هذه المسرحية اثنين من غير اليهود يتخفيان فى ملابس يهودية قديمة ويتهم الواحد منهما الآخر بأنه يهودى مزيف ويطلب إليه التحدث باللغة العبرية للتدليل على أنه يهودى حقيقى وليس يهوديا مزيفا، وهنا يرطن احدهما باللاتينية والآخر باليونانية بينما يستغرق النظارة فى الضحك والتسلية. وفى عام ١٨١٩ قدم مسرح درورى لين مسرحية بعنوان «يهودى لوبيك» تدور احداثها حول نبيل استرالى توجه إليه تهمة الخيانة فيخشى على حياته ويهرب الى لوبيك حيث يعيش عيشة اليهود.

والكثير من مسرحيات ذلك الزمان يقدم لنا شخصيات يهودية تاريخية . والجدير بالذكر ان ديبدين قدم رواية «ايڤانهو» التى ألفها السير والتر سكوت على خشبة مسرح سرى عام ١٨٢٠ . كما ان ج. سلون قدم نفس هذه المسرحية عام ١٩٢٠ على مسرحى درورى لين وكوفنت جاردن بعنوان «اليهودى» ، بالاضافة الى نسخة اخرى من الرواية لم تمثل قام مونكريف بإعدادها . وفى عام ١٨٢٥ مثلت فرقة الكوفنت جاردن مسرحية بعنوان «العائلة اليهودية أو مغامرة المسافر» التى تحكى قصة رجل انجليزى أدانته محاكم التفتيش وحكمت عليه بالشنق فهرب خوفا على نفسه.. وعاش فى ضيافة عائلة يهودية كريمة الخلق وطيبة القلب. وفى فترة التحمس لحصول اليهود على حقوقهم

السياسية قام دوجلاس جيرولد عام ١٨٣٠ بإخراج مسرحية مثلت على خشبة مسرح ستراند بعنوان «رسام جنت» حيث نرى بائعا يهوديا للوحات والصور يخاطب مسيحياً بقوله: انكم تعاملوننا كما لو كنا مجموعة من الديدان ثم تعجبون عندما تروننا نزحف على بطوننا احيانا».

وإذا كان دفاع الشاعر المسرحي المجيد توماس واد عن اليهود يفوق طاقة الانجليز على التسامح فقد استمرأوا عام ١٨٣١ (وقت زيادة رقعة التسامح الدينى فى انجلترا) المسرحية التى ألفها س . زد . بارنيت بعنوان «نشأة عائلة روثتشيلدز أو امانة يهود فرانكفورت» . والخلاصة ان تغيرا ملموسا طرأ فى اوائل القرن التاسع عشر على طريقة المؤلفين فى تصوير اليهود ، فبعد ان كان اليهودى فى القرون الوسطى وما تلاها شيئاً شنيعا تقشعر لبشاعته الابدان اصبح فى مطلع القرن التاسع عشر شيئا مثيرا للضحك والاستهزاء ؛ الامر الذى يدل على ان النظارة الانجليز بدأوا يظهرون الاستعداد لتقبله، والتسامح معه بدلا من صب اللعنات عليه كما كان الشاعر المسرحى كريستوفر مارلو يفعل.

ب - الدراما الانجليزية فى أواخر القرن التاسع عشر

وبعد انقضاء عام على دخول اليهود البرلمان الانجليزى (١٨٥٨) قام كوم تيلور محرر مجلة بانش والكاتب المسرحى الذائع الصيت بكتابة مسرحية بعنوان «قابل للدفع عند الطلب» تتناول شخصية محورية هى

شخصية ممول يهودى ثرى اسمه روبين جولد تشيت، وهذه المسرحية مأخوذة من تجارب الثرى اليهودى المرموق ماير روتشيلد الذى حضر إلى لندن عام ١٨٠٦ وراهن بكل ما يملك على انتصار بريطانيا على جيش نابليون . مما دفعه الى ان يقرض ثروته الطائلة إلى الحكومة البريطانية . فضلا عن ان توم تيلور كتب مسرحية اخرى شهيرة بعنوان «رجل تذكرة الاجازات» (١٨٦٣) وهى تدور حول يهودى يتلقى البضائع المسروقة اسمه ميلتر موسى، وقد اصبحت هذه المسرحية نموذجا سائداً فى المسرح الانجليزى طوال بقية القرن التاسع عشر. ويقول لاندا ان عددا لا يحصى من المسرحيات الانجليزية استعار شخصية ميلتر.

وفى الربع الاخير من القرن التاسع عشر انتشر مسرح الميلودراما الذى تعمد دون داع ان يحشر بعض الشخصيات اليهودية بهدف التسلية والاضحاك مثل المسرحية التى ألفها هازلوود بعنوان «اليهودية المسروقة» (١٨٧٢) كما سبق أن أشرنا ، وتعكس هذه المسرحية افكار الانجليز السائدة عن اليهود، وتقع احداثها عام ١٨٠٧ فى واد من وديان اسبانيا بالقرب من الحدود الاسبانية حيث تتهم عائلة الفتاة اليهودية بالتحالف مع العدو، ويقوم الارستقراطى الاسبانى دون كارلوس الذى ليس له وريث باختطاف ابنة هذه الاسرة وتدس فى بيتها اوراق دالة على خيانتها . وتودع الفتاة المخطوفة فى دير مسيحى، وتثبت براءة رب الاسرة اليهودى من تهمة الخيانة فينجو من الاعدام،

ويسمع النظارة الدفاع التالى عن اليهود : «لا تحدثونى عن اشتغال اليهود بالربا وانظروا الى الربا الذى يمارسه المسيحيون وقسوة الحاكمين امثالكم. عندئذ سوف تخجلون من ذكر تفوقكم على اليهود».. وتكبر الفتاة ويحاول الدون كارلوس تزويجها الى ابن احد نبلاء الانجليز الذى يتضح انه يهودى ، فيجتمع شمل اليهودى باليهودية كما يتضح للنظارة ان اليهودى الجيد افضل من المسيحى الردىء.

وفى عام ١٨٨٩ اخرج تشستر بايلى فيرنالد على خشبة مسرح الادلفي فى لندن مسرحية يهودية مكونة من اربعة فصول بعنوان «حارة اليهود» وقد اضطلع هيرمان هيجرمان بترجمتها بتصرف عن اللغة الهولندية. ويجدر بالذكر ان هذه المسرحية التى تقع احداثها فى حى اليهود فى مدينة امستردام فى عقد الثمانينات من القرن التاسع عشر تعالج ثلاثة يهود هم : عجوز اعمى بخيل يملك حانوتا يدعى ساتشل .. وشمشمون .. ودانيال.. ويسخر دانيال من العجوز ساتشل فيقول انه لا يتورع عن فتح الدكان طيلة الليل من اجل كسب سنتين فقط، وساتشل انسان كريه لا يطاق بسبب شدة بخله ولجوئه الى الغش فى البيع والشراء.. ويعايره جاره موردخاى بأنه بخيل اسود القلب. وهذا البخيل الغشاش له ابن اسمه رافائيل يختلف تمام الاختلاف عن ابيه فهو فنان حالم يهوى الموسيقى ويقع فى غرام فتاة مسيحية اسمها روزا تعمل فى بيت أبيه البخيل الذى يستغلها أسوأ استغلال . وروزا اجمل فتيات امستردام على الاطلاق وتؤمن بالله وبجميع الاديان، ويشمئز الابن من

تصرفات والده ويواجهه بغشه فيسعى الاب الى تبرير اعوجاجه بأن اقرانه امثال ارون وليفى وايزاك يفعلون نفس الشيء.. ويصرح رافائيل بحبه لروزا المسيحية ويطلب منها ان تتزوجه ولكنها تذكره بأنه يهودى وان عائلته سوف تعتبر زواجه من مسيحية عارا عليها. ويؤكد لها العاشق الولهان فخره بيهوديته وبقدرة اليهود على تحمل المكاره مشيرا إلي قرب انتصارهم على شانئيهم ومؤكدا عدم وجود اية فوارق بين اليهود والمسيحيين.. وتنتهي المسرحية بأن يعلن رافائيل انه قد مضى على زواجه من روزا المسيحية عدة شهور فيستقبل بنو جلدته هذا الخبر بالاعتراض والضجر والشكوى، وتدرك الفتاة المسيحية ان حبيبها اليهودى يتهدده الخطر فتلقي بنفسها فى اليم ويقوم رافائيل فى الماء وينقذ حبيبته من الغرق ويقرر العاشقان ان يغادرا حي اليهود ليتنسما هواء الحرية النقي.

وقرب نهاية القرن التاسع عشر ظهرت عدة مسرحيات تتناول اضطهاد اليهود فى روسيا القيصرية ، منها مسرحية اصابت نجاحا عظيما ألفها بارتلى كامبل ، بالاضافة الى مسرحيتى «اليهودى العجوز» (١٨٩٤) و «المنحلون» (١٨٩٩) اللتين ألفهما سيدنى جروندى ، ومسرحية «صامويل بوسن» التى ألفها ج. هـ . جيسوب عام ١٨٩٥ ، و«الوزير» التى ألفها أ. دابليو بينيرو عام ١٨٩٠ . ومعظم هذه المسرحيات تتسم بطابع كوميدى وهى فى الغالب الاعم من نوع الفارس . ويبدو أن كتاب المسرح استسهلوا استخدام اليهود

كموضوع للتفكه والضحك اكثر من التعبير عن مشاعر معادية للسامية.

ومما يذكر ان تحويل رواية اسرائيل زانجويل «ابناء الجيتو» عام ١٨٩٩ الى عرض مسرحى لم يجد ترحيبا من النظارة رغم اجادة الممثلين فى مسرح الادلفى أداء ادوارهم لأن هذه المسرحية كانت مشبعة اكثر مما ينبغى بالروح اليهودية ؛ الأمر الذى أدى الى سحبها من المسرح بعد ستة اسابيع فقط من تقديمها . وتصور هذه المسرحية اليهود المقيمين فى منطقة هوايت تشابل بالقرب من لندن عام ١٨٦٧ والذين استفاض المؤلف فى توضيح الفرق بينهم وبين سائر العاديين من البشر.. فضلا عن اسهامها فى وصف عادات اليهود وتقاليدهم الغريبة.

ج - انتشار الميلودراما فى القرن التاسع عشر

زخر المسرح البريطانى فى القرن التاسع عشر بكثير من الاعمال المسرحية الميلودرامية التى جنحت الى الزراية باليهود، ولكن هذا لم يحل دون ظهور قلة من المسرحيات التى تتعاطف معهم، ومن بين هذه المسرحيات القليلة واحدة من تأليف توماس ديبدين (١٧٧١ ـ ١٨٤١) مثلت على مسرح الكوفنت جاردن يوم ٣ يناير ١٨٠١ بعنوان «مدرسة التحيز» ، والتى تدور حول تاجر ملابس قديمة يهودى طيب القلب يدعى افرايم . عثر افرايم فى معطف قديم اشتراه على عشرة آلاف جنيه استرلينى فقام بإرجاعها الى صاحبها . والمسرحية ـ وهى من نوع الفارس ـ تتكون من خمسة فصول ومأخوذة عن مسرحية سبق

تقديمها فى ١٢ مايو ١٨٠٠ على مسرح الكوفنت جاردن بعنوان «آراء ليبرالية».

بدأ توماس ديبدين حياته المسرحية عام ١٧٩٨ وهو العام الذى قدم فيه على مسرح الكوفنت جاردن مسرحية بعنوان «اليهودى والطبيب» التى تدور حول طفلة مسيحية تولى يهودى طيب القلب تربيتها وخصص لزفافها هدية مقدارها خمسة آلاف جنيه الامر الذى جعل النظارة اليهود والمسيحيين على حد سواء يذرفون الدمع سخينا تأثرا بهذه اللمسة الانسانية . وقد ورد في المنظر الثانى من الفصل الثاني من مسرحية «اليهودى والطبيب» على لسان احدى الشخصيات ما يلي: ـ «إذا حدث انك رأيت انسانا لا حول له ولا قوة فى حاجة إلى المساعدة وحتى إذا لم يكن الشخص الذى يحتاج اليها مسيحيا ، تذكر ان الانسانية لا تفرق بين المعتقدات وإنك لن تستطيع ان تجعل دينك يبدو فى أحسن صورة إلا إذا أظهرت أنت الرحمة نحو الأديان الأخرى».

وتعكس هذه السماحة الدينية صورة اليهودى العامر بالخير كما جاءت فى مسرحية الكاتب الألمانى لسنج : «ناثان الحكيم» . وبطبيعة الحال شجع هذا الموقف المتعاطف بعض اليهود على الاحتجاج ضد مسرحية مثلت بعنوان «مشاحنات عائلية» على مسرح الكوفنت جاردن فى ١٨ديسمبر١٨٠٢ ، وهى من نوع الاوبرا وتقع فى ثلاثة فصول، وساء المؤلف ديبدين ان يتهمه اليهود بالحض على كراهيتهم فكتب مقدمة لهذه المسرحية عند نشرها قال فيها: «إن مؤلف الأوبرا الحديثة يؤكد

للجمهور انه لم يدر بخلده مطلقا الاساءة الى أى طبقة فى المجتمع». واضاف انه حريص على تبديد ما نشأ حول المسرحية من سوء فهم ذاكرا ما حققته مسرحيتاه «مدرسة التحيز» و«اليهودى والطبيب» من قبول لدى عامة النظارة .

ويتمتع المؤلف المسرحي ديبدين بقدرة على معالجة شخصياته بحيدة وموضوعية سواء كانت يهودية أو مسيحية . وهو يمتدح اليهود والمسيحيين ولكنه فى نفس الوقت ينحى عليهم باللائمة . فافرايم فى المنظر الثاني من الفصل الأول يحدثنا عن أم مسيحية لا تجد غضاضة فى أن تخدع ابنتها فى نفس الوقت الذى تغش فيه هذه الابنة أمها . يقول افرايم فى هذا الصدد : «لا أعتقد أن باستطاعة أى إنسان أن يفعل هذا غير اليهودى» . ثم يردف قائلا فى نفس المنظر : «ليس بمقدور أى أم غير الأم المسيحية أن تفكر فى خداع ابنتها» . ونحن نرى أما مسيحية تدعى مسز هوارد ترد اشتغال اليهود بالربا إلى اسراف المسيحيين وسفههم . وفيما بعد قدمت مسرحية «مدرسة التحيز» على خشبة مسرح سادلز ويلز فى ٢٢ أغسطس عام ١٨٢٥ تحت اسم آخر هو «المحامى واليهودى والرجل الآتى من يوركشير» وذلك بعد اختصارها فى ثلاثة فصول وتحويلها إلى نوع من الأوبرا كوميك نجحت فى اجتذاب النظارة بعض الوقت .

وألف الكاتب جورج كولمان (١٧٦٢ - ١٨٣٦) تحت اسم مستعار هو آرثر جريفنهوف أربع مسرحيات منها مسرحية مكونة من فصلين

من نوع الفارس الموسيقى بعنوان «الحب يضحك من صانعى الاقفال» التى مثلت فى ٢٥ يوليه عام ١٨٠٢ على مسرح الهاى ماركت . ويجدر بالذكر أن المؤلف استقاها من مسرحية ألفها بولى بعنوان «حماقة» تدور حول عاشق مسيحى يريد أن يرى محبوبته فيتنكر فى شخصية يهودى ولكنه أمره ما يلبث أن يفتضح . وقد مثلت رائعته المسرحية «جون بول» على مسرح الكوفنت جاردن فى ٥ مارس ١٨٠٣ . والغريب أن هذا المؤلف الذى لا تخلو أعماله من البذاءة لجأ إلى قمع مسرحيات زملائه وحذف الكثير من أجزائها على نحو مضحك ومتعسف معا عندما عين رقيبا على المسرح .

وفى عام ١٨٠٦ ظهرت إلى النور ثلاث مسرحيات يهودية جديدة أولاها مسرحية من فصل واحد بعنوان «الفتاة غير المرئية» مأخوذة عن مسرحية فرنسية من تأليف ثيودور هوك (١٧٨٨ - ١٨٤١) بعنوان «كثرة الهزل» مثلت فى ٢٨ أبريل عام ١٨٠٦ على مسرح دروري لين . أما المسرحية اليهودية الثانية التى ظهرت فى نفس العام فهى من تأليف ج. س. كروس (المتوفى عام ١٨١٠) بعنوان «مفتالو الصخور» وهى مزيج من الميلودراما والأوبرا والباليه مثلت فى ٧ سبتمبر عام ١٨٠٦ على مسرح السيرك الذى أصبح اسمه مسرح سرى فى يومنا الراهن . وترسم هذه المسرحية صورة محببة ليهودى كريم لا يغرية الذهب أو المال . وبالاضافة إلى ذلك ألف كروس مسرحية هزلية من نوع البيرلسك بعنوان «اليهود وغير اليهود» . ولكن لسوء الحظ لم تر طريقها إلى

النشر . فضلا عن أن الدارسين لم يعثروا على نص منشور لها . كما أنه لا يوجد ما يشير إلى تاريخ تمثيلها .

وشاهد عام ١٨٠٦ مولد أول مسرحية ميلودرامية أثارت اهتمام اليهود وهي مكتوبة بلغة انجليزية مغلوطة خاصة باليهود ومن تأليف توماس هولكروفت (١٧٤٥ - ١٨٠٩) . وقد فشلت هذه المسرحية فشلا ذريعا عند تقديمها على مسرح الدروري لين في ٢٠ نوفمبر ١٨٠٦ . وكثيرا ما لجأت شخصيات مسرحيات تلك الفترة إلى التنكر وتغيير الهوية مثلما نجد فى مسرحية ميلودرامية من فصلين مأخوذة عن الفرنسية وتحمل عنوان «إلا روزنبرج» التي مثلت في دروري لين فى ١٨ نوفمبر ١٨٠٧ . إلى جانب مسرحية أخرى من نوع الفارس الموسيقى مكونة من فصلين ألفها ج . ت . ألنجهام ، ومثلت على مسرح الليسيوم في ٣٠ نوفمبر ١٩١٠ .

ومرت سنوات عديدة خلا فيها التأليف المسرحي من تصوير الشخصيات اليهودية باستثناء مسرحية واحدة باءت بالفشل الذريع ألفها كمبرلاند بعنوان «يهودى موجادور» . ثم انكب المسرح الانجليزى لعدد من الأسابيع على تمثيل ثلاث متنوعات من مسرحية فرنسية بعنوان «سارقة الفطيرة» كانت أولاها «العذراء وطائر العقعق» من تأليف س . ج . أرنولد (١٧٧٤ - ١٨٥٢) مثلت على مسرح الليسيوم فى ٢١ أغسطس ١٨١٥ والثانية بعنوان «طائر العقعق أو عذراء باليسو» من تأليف ت . ديبدين فى ١٢ سبتمبر من نفس العام . والثالثة بعنوان

«العذراء وطائر العقعق» التي مثلت في مسرح كوفنت جاردن في ١٥ سبتمبر من ذات العام وهي من تأليف ايزاك بوكوك . وقد مثلت هذه المسرحية في شكل أوبرالي في ميلانو بإيطاليا عام ١٨١٧ بعنوان «طائر العقعق» . واستخدمها بعض الاساقفة في وضع مسرحية بعنوان «نينتا أو عذراء باليسو» مثلت لأول مرة في مسرح كوفنت جاردن في ٤ فبراير ١٨٣٠ كما استفاد منها الموسيقار روسيني في وضع أوبرا بعنوان «عذراء باليسو» قدمت في دروري لين عام ١٨٣٨ ومسرحية «العذراء وطائر العقعق أو الملعقة القاتلة» التي ألفها هـ . ج . بيرون (١٨٣٤ - ١٨٨٤) ومثلت على مسرح ستراند في ١١ أكتوبر ١٨٥٨ . ويجدر بالذكر أن «العذراء وطائر العقعق» كانت موضوع تمثيلية صامتة (بانتوميم) في مسرح ألفريد عام ١٨٧١ .

وألف جون توبين (١٧٧٠ - ١٨٠٤) مسرحية تدور حول التنكر في هيئة يهودي بعنوان «الوصي» رأت طريقها بعد وفاته باثنتي عشرة سنة إلى خشبة مسرح دروري يوم ٥ نوفمبر عام ١٨١٦ . فضلا عن أن دابليو . ت . مونكريف (١٧٩٤ - ١٨٥٧) ألف على نحو متعجل وحسب الطلب نحو مائتي قطعة مسرحية لا يخلو بعضها من روح الدعابة مثل مسرحية «روتشستر أو أيام الملك تشارلس الثاني السعيدة» التي مثلت على مسرح أولمبيك في ١٦ نوفمبر ١٨١٨ . وفي هذه المسرحية نرى شخصيتي روتشستر وباكنهام يتخفيان في هيئة يهودي عجوز يتاجر في الملابس القديمة . ويتهم كل منهما الآخر بأنه يهودي مزيف ويطالب

كل منهما الآخر بالتحدث باللغة العبرية لإثبات يهوديته فنرى الواحد يرطن باللاتينية والآخر باليونانية القديمة مدعيا أنها اللغة العبرية . وأيضا نشاهد هذا التنكر اليهودى فى مسرحية ألفها هـ . م. ميلنر بعنوان «يهودى لوبيك أو قلب أب» التى مثلت فى دروري لين يوم ١١ مايو ١٨١٩ وهى تدور حول نبيل نمساوى يتنكر كيهودى .

وأوحت رواية والتر سكوت المعروفة «ايڤانهو» إلى كثير من الكتاب بمعالجتها على نحو مسرحى لدرجة أنه قدمت على خشبة المسرح أربع معالجات مسرحية لها فى أوائل عام ١٨٢٠ خلال فترة زمنية لا تتجاوز ستة أسابيع مثلت مسرحيتان منها فى نفس اليوم . وأولى هاتين المسرحيتين من تأليف ت. ديبدين وتقع فى ثلاثة فصول ومثلت على مسرح سرى فى ٢٠ يناير ١٨٢٠ . أما المسرحيتان الأخريان فقدمتا على مسرحى دروري لين وكوفنت جاردن فى ٢ مارس من العام نفسه ، واحدة منظومة بالشعر الحر بعنوان «اليهودى» من تأليف ج . سونى (١٧٩٠ -١٨٦٠) . أما النسخة التى قدمت على خشبة الكوفنت جاردن فكانت مسرحية موسيقية .

وهناك مسرحية مجهولة المؤلف بعنوان «عائلة اليهودى أو مغامرة المسافر» مثلت على مسرح الكوفنت جاردن فى ٨ أبريل ١٨٢٥ دون أن تستمر لأكثر من ثلاثة أو أربعة عروض ، وهى تدور حول إنجليزى استطاع الهرب من حبل المشنقة الذى أمرت محاكم التفتيش بلفه حول رقبته ليجد الأمن والرعاية تحت سقف عائلة يهودية طيبة القلب . كما أن

هناك مسرحيات أخرى لقيت نفس المصير ونفس التجاهل مثل القطعة المسرحية الموسيقية التى أعلن عنها مسرح سرى فى سبتمبر عام ١٨٢٥ وهى فيما يبدو تقليد قام به ممثل وكاتب متعجل مأجور يدعى چورج آلمر الذى ألف مسرحية أهملها التاريخ بعنوان «ألوين وبارثولدى أو المقدر والمكتوب» مثلت على مسرح سرى فى ١١ أبريل ١٨٣١ . ولا ننسى أن ت. ديبدين استقى مسرحيته «همفرى كلنكر» التى مثلت فى مسرح سادلرز ويلز فى ١٧ مارس ١٨٢٨ فى رواية ألفها الروائى توبياس سموليت .

وألف الكاتب المسرحى ريتشارد برنسل بيك (١٧٩٢ - ١٨٤٧) رومانسية ميلودرامية بعنوان «العفريت فى زجاجة» ، وهى مستقاة من أسطورة ألمانية وأقرب ما تكون إلى مصباح علاء الدين . ولقيت هذه المسرحية قدرا كبيرا من النجاح بسبب اضافة عنصرى الموسيقى والباليه إليها عند اخراجها . والجدير بالذكر أن الروائى روبرت لويس ستفنسون استخدم نفس أسطورة العفريت المحبوس فى زجاجة فى تأليف قصة قصيرة .

وأيضا ألف م. كامبل مسرحية عن اليهود بعنوان «عرافة الغابة أو جسر تريسينو» مثلت على مسرح سادلرز ويلز فى ٩ نوفمبر ١٨٢٩ . وهى أول مسرحية فى المسرح الانجليزى تدور حول يهودى بولندى من شرق أوروبا وليس من إسبانيا أو البرتغال كما جرت العادة . والجدير بالذكر أن اليهود الذين سمحت لهم انجلترا بالعودة إلى أراضيها كانوا

أساسا من هذين البلدين . وتتميز مسرحية كامبل المشار إليها بمعرفة المؤلف الوثيقة بلغة اليهود فى شرق أوروبا المعروفة باليديش . وبوجه عام تناولت كثير من ميلودراميات ذلك الزمان قدرة اليهودى المذهلة على الرحيل والتجوال فى أقصى بقاع الأرض . ومن المسرحيات الميلودرامية فى تلك الفترة مسرحية ألفها ج. هـ. أمهرست (١٧٦٦ - ١٨٥١) بعنوان «الرقيب أو الطيف الأسود» . وفى نفس ليلة عرض مسرحية «غابة العرافة» شاهد مسرح كوجبرج (الذى تغير اسمه إلى فيك فيما بعد) مسرحية هزلية من نوع البيرلسك بعنوان «يهودى كندا» المأخوذة إلى حد كبير عن مسرحية كمبرلاند الشهيرة «اليهودى» .

ومن الواضح أن المسرحية التى ألفها دابليو . هـ . تيلبورى (١٨٠٦ - ١٨٦٤) بعنوان «اليهودى الألمانى : أو غابة ريمينال» التى قدمت على مسرح سادلرز ويلز فى ١٦ أغسطس ١٨٣٠ قد تأثرت بمسرحية من فصل واحد ألفها الأديب الألمانى لسنج بعنوان «اليهود» ؛ وليس هناك تفسير لكثرة تردد الشخصيات اليهودية وكثرة اسماء المسرحيات اليهودية غير أن النظارة والجمهور الانجليزى وجدوا متعة عظيمة فى مشاهدتها .

ونشر طبيب انجليزى اسمه جيه . ج . ميلنجن (١٧٨٢ - ١٨٦٢) بعنوان «ابنة البخيل» مثلت فى دروري لين فى ٢٤ فبراير ١٨٣٥ . ولكن السلطات أمرت بسحبها من العرض بتهمة أنها تحتوى أفكارا وفقرات سياسية مسيئة وضارة . وتدور المسرحية حول رجل بخيل يريد أن يزوج

ابنته لمراب يهودى ثرى ، فلما اعترضت الفتاة سعى إلى اقناعها بقوله إن اليهودى يهيم بحبها وانه على استعداد لأن يغير دينه ويحلق لحيته من أجلها . والملاحظ أن كتاب الميلودراما فى ذلك الزمان أخطأوا عند تصوير اليهودى بلحية نظرا لأن كثيرا من الانجليز آنذاك كانت لهم لحى .

وألف ليمان ريد (١٨٠٢ - ١٨٤٧) مسرحية بعنوان «الشاهد البادى كهيكل عظمى أو جريمة قتل على الجبل» تدور حول يهودى صاحب أرض . والغريب فى الأمر أن اليهود آنذاك كان محظورا عليهم ملكية الأراضى ، وهذا الوضع لم يتغير إلا بعد صدور قانون ١٨٤٦ . ولقيت هذه المسرحية ذيوعا وانتشارا فى أمريكا . وقد عجز الدارسون عن تحديد موعد تمثيلها لأول مرة على خشبة المسرح . وعندما نشر ليمان ريد مسرحيته كتب لها مقدمة يرجع تاريخها إلى ٧ مايو ١٨٣٥ . وقدمت هذه المسرحية على مسرحين هما مسرح البافيليون ومسرح سرى .

ومثلت على خشبة مسرح ستراند مسرحية عن اليهود بعنوان «رسام جنت» (وهى مسرحية تراجيدية مقبضة من فصل واحد) فى ٢٥ أبريل ١٨٣٠ من تأليف دوجلاس جيرولد (١٨٠٣ - ١٨٥٧) الذى اتسم جانب من حواره بالسخرية اللاذعة . ونحن نشاهد اليهود والمسيحيين فى هذه المسرحية يتبادلون الاتهامات حيث يقول الراهب المسيحى الأب فرانسيس لتاجر الصور واللوحات اليهودى : «إننى أعرف قلب اليهودى

الذى يتغذى على أوجاعنا ومآسينا ، كما أن مباهجنا تمثل سما ناقعا له. فيجيبه اليهودي بقوله : «أنتم (أى المسيحيون) تعاملوننا كما لو كنا مجموعة من الديدان الكريهة ثم تتعجبون إذا رأيتمونا أحيانا نزحف على بطوننا» . ورغم ذلك نرى اليهودى يحسن إلى الرسام المسيحى روديريك ويمنحه مبلغا من المال . وأيضا تناول جيرولد شخصية يهودية أخرى فى مسرحيته الميلودرامية الشهيرة «سجن الحرب» التى مثلت لأول مرة في دروري لين فى ٨ فبراير ١٨٤٢ وفيها نرى اليهودى بوز يقرض المال إلى الانجليز الذين قام نابليون بأسرهم فى فيردون . ولكنه يفقد ثروته لأن هؤلاء السجناء الانجليز يمتنعون عن رد ديونهم إليه . ومع ذلك فالمؤلف سخر من هذا اليهودي الذى وشى بالمساجين الانجليز الذين يحاولون الهرب من أسرهم كما نرى فى المنظر الثاني من الفصل الثالث للمسرحية وبالاضافة إلى ذلك ألف جيرولد مسرحية أخرى عن اليهود بعنوان «سوزان ذات العيون السود» مثلت فى مسرح سرى فى ٨ يونيه ١٨٢٩ .

ومثلت على مسرح دروري لين بتاريخ ١٦ نوفمبر ١٨٣٥ ميلودراما أوبرالية بعنوان «اليهودية» من تأليف ج. ر. بلانتشيه (١٧٩٦ - ١٨٨٠) . وهى مأخوذة عن ليبرتو أوبرالى بعنوان «اليهودية» من تأليف هالفى . غير أن بلانتشيه غير نهاية هذه الأوبرا المأساوية إلى نهاية سعيدة . وهو نفس ما فعله المؤلف المسرحى مونتكريف عندما قدم اعداده المسرحى

لقصة «اليهودية» على مسرح فيكتوريا فى ٣٠ نوفمبر من العام المشار إليه. وقد أصابت مسرحية «اليهودية» نجاحا ملحوظا وساعد على نجاحها مناظر المواكب البديعة التى نظمتها محاكم التفتيش على خشبة المسرح .

وأيضا ألف فوكس كوبر (١٨٠٦ - ١٨٧٩) مسرحية من نوع الفارس من فصل واحد بعنوان «هرقل» مثلت على مسرح ستراند فى ٢٩ يوليه ١٨٣٦ .

ونخلص مما تقدم أن الجمهور الانجليزى وجد متعة فائقة فى تتبع أخبار اليهود ورغبة أكيدة فى معرفة شخصياتهم . ولكن هذا لا يعنى بالضرورة أن المؤلفين المسرحيين الانجليز لم يجانبهم الصواب فى رسم صورة حقيقية لهم .

والجدير بالذكر أن صورة اليهودى فى ميلودراميات المسرح الانجليزى فى القرن التاسع عشر لم تكن فى مجملها سيئة أو منفرة بل إنها كانت صورة بديعة فى أغلب الأحيان. ولكن بمجئ العصر الفيكتورى عاد المسرح الانجليزى إلى رسم صورة كريهة ومنفرة لليهود ويرجع السبب فى هذا إلى نفوذ الروائى الانجليزى المعروف تشارلس ديكنز الذى أبدع فى رسم شخصية فاجين رئيس العصابة اليهودى فى روايته المعروفة «أوليفر تويست» وساعد على تعميق هذه الصورة المنفرة فى الأذهان أن المسرح الفيكتورى أحرز تقدما من الناحية التقنية واستحدث الوسائل والآليات المسرحية القمينة بالتأثير فى النظارة .

د - الدراما فى العصر الفيكتورى

يبدأ العصر الفيكتورى فى انجلترا باعتلاء الملكة فيكتوريا العرش عام ١٨٣٧ عقب وفاة عمها الملك وليم الرابع ، وينتهى بموتها فى عام ١٩٠١ .. وبعد مرور ستة أعوام على توليها مقاليد الحكم (أى فى عام ١٨٤٣ على وجه التحديد) تحرر المسرح الانجليزى من قيود الاحتكار أو ما يعرف بالمسارح المسجلة وهى المسارح الملكية ومسرح دروری لين ومسرح كوفنت جاردن الذى اقتصر التمثيل الجاد عليها بمقتضى التصريح الذى منحه لأصحابها الملك تشارلس عام ١٦٦٢ ، وهو تصريح جاء قانون المسارح لعام ١٧٣٧ ليعززه قبل أن يتم إلغاؤه نهائيا عام ١٨٤٢ واضعا حدا لاحتكار قلة من المسارح للتمثيل الجاد .

لم تقتصر المسارح التى تقدم الأعمال الميلودرامية الموسيقية على لندن والمدن الانجليزية الكبرى بل اتسع نطاقها وامتدت إلى الريف . وبلغ انتشارها مبلغا جعل من المألوف تقديم المسرحيات فى سرادق يقام على عجل أو على قطعة أرض فضاء . وساعد على ذيوع المسارح وانتشارها مد خطوط السكك الحديدية فى كثير من أرجاء انجلترا . وكانت الموسيقى احدى السمات الأساسية لهذه الميلودراميات . وكما أسلفنا سهل استحداث التقنيات المسرحية تقديم هذه الميلودراميات بشكل مثير . وزخرت هذه الميلودراميات بالشخصيات اليهودية النمطية لدرجة جعلت كتاب المسرح يتهافتون على تقليد هذه الشخصيات فى مسرحياتهم . وكثيرا ما سعت المسارح إلى اجتذاب النظارة بالإعلان

عن وجود شخصيات شريرة أو مضحكة أو يهودية فى مسرحياتهم . وأيضا كثيرا ما رسمت الميلودراميات صورة مضحكة أو شريرة لليهود. وعلى أية حال حتى إذا لم تكن صورة اليهودى فى تلك المسرحيات كوميدية أو شريرة فإنها كانت فى جميع الحالات منفرة وفظيعة .

كان أحد كتاب المسرح آنذاك يهوديا يدعى تشارلس ريتشارى بارنيت . ألف بارنيت كثيرا من المسرحيات الصغيرة دون أن يترك وراءه ما يعرفنا بحياته لدرجة أن الدارسين يجهلون تاريخ مولده ووفاته . وعاش عيشة الشظف لدرجة أنه لفظ أنفاسه الأخيرة فى ملجأ للفقراء . ألف بارنيت مسرحية ميلودرامية قدمت فى ٢ أغسطس عام ١٨٣٨ بعنوان «حلم القدر أو سادة اليهودية» . وهذه المسرحية مأخوذة عن ميلودراما فرنسية ذاعت فى باريس قبل بضعة أعوام . وقام الانجليز بترجمتها إلى لغتهم على الفور فى ثلاث صياغات . وأيضا قام بارنيت بتمثيلها عام ١٨٣١ على مسرح البافيليون فى لندن . فضلا عن أن باكستون قدمها على مسرح الأدلفى كما أن ميلنر قدمها على مسرح كوجيرج . وبالاضافة إلى ذلك أخرج بارنيت فى نفس العام (١٨٣١) مسرحية لاقت نجاحا كبيرا بعنوان «نشأة عائلة روتشيلدز أو يهودى فرانكفورت الأمين» كما أنه قدم فى ٢٣ أكتوبر عام ١٨٣٨ مسرحية بعنوان «حلم البحار أو يهودى بيلموث» فى مسرح البافيليون فى ميناء بيلموث وتتميز هذه المسرحية بالقدرة على تصوير الملاحة وحياة البحارة .

ويعتبر ج. ت. هاينز (١٧٩٩ - ١٨٤٣) واحدا من أنجح كتاب الميلودراميات الفيكتورية . وتدور مسرحيته «حياة امرأة أو ابنة الكاهن» حول يهودى بشع ومقزز اسمه مالاخى بينليدى يتاجر في الدعارة والرقيق الأبيض . ويتحدث اليهود في هذه المسرحية بلغة انجليزية خاصة بهم استحدثها المؤلف على نحو يصعب على المرء فهمه أو استيعابه . وهذه الميلودراما مأخوذة عن مسرحية هوجارت «تقدم العاهرة» التى مثلت لأول مرة على مسرح سرى فى ٢٠ أبريل ١٨٤٠ . كما أن بعض مشاهد مسرحية هاينز تشبه بعض المواضع فى نهاية مسرحية أيريس التى ألفها بينيرو فيما بعد بما يزيد على الستين عاما .

وأيضا ألف شيرلى بروكس (١٨١٦ - ١٨٧٤) مسرحية تحتوى على يهودى انجليزى بعنوان «سلالة المهاجرين الأوربيين فى أمريكا» والتى مثلت على مسرح الليسيوم فى ٨ ابريل ١٨٤٧ . عمل شيرلى بروكس صحفيا بمجلس العموم البريطانى الذى أوفده مراسلا خاصا فى روسيا وسوريا ومصر لدراسة أحوال الفقراء هناك . وتهاجم هذه المسرحية تجارة العبيد فضلا عن أنها استحدثت لأول مرة مصطلح الاتفاق الودى الذى شاع فيما بعد فى وصف العلاقات الدولية .

ولعل أهم مؤلف لهذه الميلودراميات الفيكتورية هو توم تيلور (١٨١٧ - ١٨٨٠) وهو محام كان يعمل فى تحرير مجلة بانش . وتعتبر مسرحية «رجل تذكرة الاجازة» التى مثلت فى مسرح أولمبيك فى ٢٧ مايو ١٨٦٣

أهم حدث مسرحي في منتصف العصر الفيكتوري . وقد اقتبس تيلور هذه المسرحية من مسرحية فرنسية بعنوان «عودة ميلون» ألفها ادوارد جريسبار بالاشتراك مع ايوجين توس ورغم أن تيلور لم يتقاض عن تأليف مسرحيته سوى مائة وخمسين جنيها استرلينيا فان صاحب المسرح جنى من ورائها أرباحا طائلة . وأغرى نجاح المسرحية المنقطع النظير عددا من كتاب المسرح الانجليزى إلى محاكاتها . وقد أساءت هذه المسرحية بالذات أكثر من غيرها إلى صورة اليهودى المتمثل فى شخصية ميلفر موسى الذى يتاجر فى البضائع المسروقة مثلما يفعل رئيس العصابة اليهودى فاجين فى رواية ديكنز المعروفة «أوليفر تويست». فضلا عن أنه يروج النقود المزيفة . غير أن نعومة كلامه ومسلكه يذكرانا بشخصية شيلوك المعروفة . وقد تركت شخصية ميلفر موسى أثرها على عدد كبير من المسرحيات المماثلة التى رسمت اليهودى كشخص أخنف كريه يكثر من الاشارات بيديه كما أنه جبان مضحك ليس عنده وازع من ضمير . وشاعت شخصية موسى فلم يقتصر تقديمها على مسارح الفرجة الرخيصة بل امتد تقديمها إلى المسارح المحترمة مثل أدلفي ودروري لين . وقد سبق للمؤلف تيلور أن كتب بعد سنوات قبل «رجل تذكرة الاجازة» مسرحية أخرى بعنوان «الانحدار نحو الفساد» مثلت فى مسرح أوليمبيك فى ٥ يونيه ١٨٥٨ . وتحدثنا هذه المسرحية الباكرة عن اثنين من المأمورين اليهود هما دافيز موس وناثان موس الأمر الذي يدل على أن المؤلف لعب دورا بارزا فى

اشاعة اسم موس (وهو قريب جدا من اسم موسى) على خشبة المسرح الانجليزى . لقد درج كتاب المسرح الفيكتورى على إلصاق الشر بشخصية موس المشار إليها ، ولكن اثنين من مؤلفى هذا المسرح هما هنرى بينيت وأوغسطوس هاريس خرجا عن هذه القاعدة وأطلقا هذا الاسم على ممول يهودى فاضل فى مسرحية تحمل عنوان «الشجاعة» التى مثلت على مسرح دروری لين فى ٥ أغسطس ١٨٨٢ .

ألف تيلور مسرحية يهودية بعنوان «مدفوع عند الطلب» مثلت على مسرج الأوليمبيك فى ١١ يوليه ١٨٥٩ تدور حول عائلة الثرى الانجليزى المعروف روتشيلد ونتائج القوات الانجليزية مع جيش نابليون فى معركة واترلو . وتتناول المسرحية فيما تتناول إقراض اليهود الحكومة الانجليزية مبالغ طائلة من المال بدون فوائد كى تدعم مجهوداتها الحربية . والجدير بالذكر أن هذه المسرحية غير الجيدة رأت طريقها إلى النور بعد انقضاء عام على انتخاب روتشيلد الذى تخلى عن يهوديته وتحول إلى المسيحية ليصبح أول عضو يهودى فى مجلس العموم .

وأيضا ظهرت ميلودراميات أخرى أصابت قدرا كبيرا من النجاح منها مسرحية «ليه التى خذلت» وهذه المسرحية مأخوذة عن مسرحية ألمانية بعنوان «ديبوراه» . وقد ألف المسرحية الانجليزية المشار إليها صحفى ومدير مسرح انجليزى اسمه أوجستين دالى . ومثلت هذه المسرحية لأول مرة فى بوسطن بالولايات المتحدة فى ٩ ديسمبر ١٨٦٢ . ثم قدمت على مسرح الأدلفى بلندن فى ١ أكتوبر ١٨٦٣ . وحظيت هذه

المسرحية بنجاح عظيم واستطاعت بجوها المأساوى أن تنتزع دموع النظارة أكثر من أية مسرحية ميلودرامية أخرى . وتدور أحداث هذه المسرحية عن الاضطهاد الذى تعرض له اليهود والشتات الذى صار جزءا لا يتجزأ من قدرهم المحتوم . ولم يقتصر ذيوع مسرحية «لى» على المسرح الانجليزى فقط . فقد اضطلعت مدام ريستورتى بتقديم صياغة ايطالية للمسرحية على مسرح جلالة الملكة فى ٤ يوليه ١٨٦٣ .

ومن أشهر ميلودراميات العصر الفيكتورى تلك الرواية التى ألفها تشارلس ريد (١٨١٤ - ١٨٨٤) بعنوان «الاصلاح لا يعرف فوات الأوان أبدا» والتى كان ريد قد صاغها كعمل مسرحى بعنوان «الذهب» وقدمه على مسرح درورى لين فى ٣ يناير ١٨٥٣ . وتدور هذه المسرحية حول يهودى يدعى ايزاك ليفى استطاع بذكائه دحر الرجل الشرير فيها وأن يتغلب على حيله وألاعيبه . والجدير بالذكر أن شخصا آخر اسمه جورج كونكويست قام بتحويلها إلى مسرحية دون استئذان المؤلف ليقدمها على المسرح اليونانى عام ١٨٦٢ ؛ الأمر الذى دفع المؤلف - وهو محام - إلى رفع قضية ضد كونكويست انتهت بفوزه فيها . فضلا عن أن س . هازلوود قدم صياغة جديدة للمسرحية فى حى ماريلبورن عام ١٨٥٩ . ولابد أن نذكر أن المؤلف كتب صياغة جيدة لها وأدخل فيها بعض التعديلات كانت سببا فى إثارة الشغب بين جمهور الحاضرين عند عرضها لأول مرة ؛ الأمر الذى أدى إلى مقاطعة المسارح لها والامتناع

عن تمثيلها تفاديا للمشاكل . غير أن رجلا جريئا يدعى جون كولمان (١٨٣٢ - ١٩٠٤) أقدم على تقديمها على خشبة المسرح فى مدينة ليدز بانجلترا فى ٢٨ فبراير ١٨٦٥ حيث أصابت نجاحا عظيما .

ويعتبر الممثل والكاتب المسرحى ديون بوكيلوت (١٨٢٢ - ١٨٩٠) أبرز من تناول اليهود فى انتاجه المسرحى . ألف بوكيلوت مسرحيتين بعنوانى كولين بون وشاجرور إلى جانب بعض المسرحيات الايرلندية الأخرى . ولا تزال مسرحيته الكوميدية «تأكيدات لندنية» تلقى شيئا من الاهتمام . وقد مثلت هذه المسرحية الأخيرة على خشبة الكوفنت جاردن فى ٤ مارس ١٨٤١ . ورغم أن بوليكوت ألف هذه المسرحية فى سن باكرة للغاية لا تزيد على التاسعة عشرة وأن الكاتب المسرحى جون براوام (١٨١٤ - ١٨٨٠) اشترك معه فى تأليفها فإنها قادرة على إثارة شئ من الاهتمام بها . والجدير بالذكر أن ديون بوكيلوت سبق له فى سن السادسة عشرة أن ألف مسرحية بعنوان «أسطورة جسر الشيطان» التى مثلت على المسرح الملكى فى مدينة برايتون فى ١ أكتوبر ١٨٣٨ ؛ الأمر الذى يدعو النقاد انه ولد قبل عام ١٨٢٢ . وتدور أحداث هذه المسرحية حول مراب يهودى اسمه ليفى لويس . وقد أعيد تقديم هذه المسرحية على خشبة مسرح البالاس بير فى مدينة برايتون . ولا يفوتنا أن نذكر أن مسرحيات بوليكوت دأبت على تصوير اليهود بوصفهم أوغادا ومرابين وأن كثيرا من المسرحيين الذين خلفوه فى انجلترا ساروا على دربه وحذوا حذوه .

وأيضا تشمل ميلودراميات العصر الفيكتورى الموسيقية مسرحية مأخوذة عن المسرحية التى ألفها بولور ليتون بعنوان «ليلى أو عذراء الهمبرا أو حصار غرناطة» تدور حول ساحر يهودى يدعى ألمامين مثلت على خشبة مسرح سادلرز ويلز فى ٢٢ أكتوبر ١٨٣٨ . وأيضا قام ت. هـ. رينولد مون (١٨٠٨ - ١٨٨٨) باقتباس مسرحية فرنسية بعنوان «صامويل التاجر» وهي تتناول قصة أمير يغرر بيهودية .

والذى ينبغى أن نعلمه بشأن هذه الميلودراميات الفيكتورية أن الموسيقى الصاخبة كثيرا ما صاحبت عروضها .

وهناك مؤلف مسرحى يهودى اسمه ادوارد ستيرلنج (١٨١١ - ١٨٩٤) تحمل احدى مسرحيتيه عنوان «ابن الشحاذ أو يهودي ساوثوارك» التى مثلت على مسرح سرى فى ديسمبر عام ١٨٤٥ . وترسم هذه المسرحية صورة ليهودية طيبة القلب اسمها راشيل هبت لنجدة ابن نبيل انجليزى وجهت إليه زورا تهمة القتل وساعدته على الهرب من سجنه . وقد أورد المؤلف فى المنظر الخامس من الفصل الثالث عبارة تقول إن «طيبة القلب موجودة بالتساوى عند اليهود والمسيحيين على حد سواء» . ونفس الشئ نجده فى مسرحية ستيرلنج الثانية «ابنة اليهودى» التى مثلت على خشبة ستراند فى ٥ يناير ١٨٥٧ حيث نرى يهودية تدعى ليه تهب لنجدة حبيبها ابن الماركيز وإطلاق سراحه من السجن . ويتزوج هذا النبيل الفتاة اليهودية ولكنه

لا يلبث أن يهملها ويفكر فى تطليقها . ولا يمنعه من ذلك سوى تذكره مدى الخدمات الجليلة التى قدمتها إليه .

ولعل أكثر الميلودراميات الفاضحة تلك المسرحية التى ألفها كولين هازليوود (١٨٢٣ - ١٨٧٥) بعنوان «اليهودية المسروقة أو طفلان من إسرائيل» التى مثلت على مسرح برنتانيا فى ١ أبريل عام ١٨٧٢ . وتقع أحداث هذه المسرحية عام ١٨٠٧ فى أحد الوديان فى أسبانيا بالقرب من الحدود الفرنسية حيث تعيش عائلة يهودية . وجهت إليها تهمة الخيانة العظمى والتعاون مع الأعداء . ويورد المؤلف فى مسرحيته العبارة التالية «إذا كان القلب طيبا والعقل أمينا فليس للعقيدة الدينية أيا كانت أية أهمية» . وتحدثنا المسرحية عن قيام الدون كارلوس باختطاف ابنة يهودى وايداعها فى بيت راهبات . وتهاجم المسرحية المسيحيين لأنهم يشتغلون بالربا فى حين أنهم يعايرون اليهود بأنهم مرابون . تقول احدى شخصيات المسرحية اليهودية «لا تحدثنى عن الربا الذى يمارسه اليهود ولكن تذكر الربا الذى يمارسه المسيحيون فسوف تجد أنه لا يمكنك أن تعاير الاسرائيليين بأنهم أدنى مرتبة من المسيحيين» . ويسعى المختطف دون كارلوس إلى تزويج الفتاة اليهودية التى اختطفها من نبيل انجليزى غير أن أهلها يكتشفون ذلك ويعترضون على زواج ابنتهم اليهودية من شخص مسيحى . ولكن مفاجأة تحدث عندما يكتشفون أن هذا المسيحى المزعوم ينحدر من أصل يهودى . تقول

المســرحية في دفاعـها عن اليهود : «إن اليهـودي الطـيب أفضل من المسيحي الشرير» .

لقـد شـهد عـقد السـبعينات في القرن التـاسع عـشـر انتشـار الميلودرامـيات الموسـيقية التي تتناول اليهود في انجلترا . وبعد وفاة هازلوود حل محله كاتب مسرحي يهودي هو إي مانويل وهو ابن رجل رياضي بارز اسمه جوني جدعون . وتميز هذا الكاتب اليهودي بميله إلي تأليف المسرحيات التي تعالج الأحلام مثل مسرحية «توبة راشيل أو ابنة اسـرائيل» التي مـثلت يوم ٢٢ ابريل عـام ١٨٧٨ وهي شـبيـهـة بالمسرحية التي ألفها بارنيت عام ١٨٣٨ بعنوان «حلم القدر» . وهناك أيضـا مسرحية أخرى ألفها مانويل بعنوان «ابن الحبر اليهودي أو الحلقة الأخيرة في السلسلة» التي مثلت في ٤ أبريل عـام ١٨٧٩ . والجدير بالذكر أن مانويل كتب أيضا مسرحيات أخرى قدمها مسرح افنجهام في منطقة هوايت تشابل على خشبته .

غير أن الصفة الغالبة على المسرحيات اليهودية الصادرة إبان العصر الفيكتوري تميزت بزرأية اليهود والحط من شأنهم . وأيضا تشمل هذه المسرحيات الفيكتورية اليهودية «قلب لندن أو تقدم شاربر» تأليف د . ت . مونكريف التي مثلت في فبراير عام ١٨٣٠ على مسرح الأدلفي . وبعد مرور نصف قرن ألف ج . ل . جوردون مسرحية يهودية بعنوان «الشوارع أو قصة لندن الشريرة» التي مثلت على مسرح سادلرز ويلز في ٦ سبتمبر عام ١٨٨٤ . وإذا كانت هذه المسرحية

الأخيرة تعالج الجانب الطيب فى اليهود فإن حشدا آخر من المسرحيات اليهودية حرص على تصويرهم على نحو شرير مثل المسرحية التى ألفها ج . ت . هاينز بعنوان «الفتاة التى تحب بحاراً» التى مثلت على مسرح فيكتوريا فى ٢٣ يناير ١٨٤٣ . وهناك ايضا مسرحية بلفيجور المضحكة من نوع البيرلسك التى ترسم صورة قميئة لليهود مثلت على خشبة ستراند فى ٢٩ سبتمبر ١٨٥٦ و «المدينة العظيمة» تأليف هاليداى التى مثلت فى دروری لين يوم ٢٢ أبريل ١٨٦٧ ومسرحية فيليب هايمان بالاشتراك مع ادوارد سولومون « كل ايفانهو الخاص بى » ومسرحية جورج كونكويست «ملك الماس» التى اشترك مع بول ميريت فى تأليفها وقدمت على مسرح البافيليون فى حى الايست اند بلندن فى ٨ سبتمبر ١٨٨٤ و«ظلال الحياة» التى ألفها آرثر شيرلى ومثلها مسرح اليفانت وكاسل فى ١٠ سبتمبر ١٨٨٧ . وتعد مسرحية «فتاتى» التى ألفها ج . ت . تانر احدى الكوميديات الموسيقية الباكرة التى مثلت على مسرح الجايتى فى ١٢ يوليه ١٨٩٦ .

وهناك ايضا مسرحية «فتاة بدون ضمير» التى ألفها لويس جلبرت وقدمها على المسرح الملكى فى دولويتش فى ٢ يناير ١٩١٢ ومسرحية «خطر المورمون » التى أعدها فريد مول وقدمها على خشبة مسرح فور سترز فى ٢٤ يونيه١٩١٣ ومسرحية «هروب ليزا مع عشيقها» التى ألفها أوستن فرايرز وقدمها على خشبة دار الأوبرا فى هانو جيت فى

٢٢ مـــايو ١٩٠٥ . والجـدير بالذكـر أن المســرح الفـيكتـورى عج بالشـخـصـيات اليـهودية الاسـكتلندية . ومن المسـرحيات اليـهودية مـسـرحـيـة بعنوان «دليل الملكة» التى اشـتـرك جـورج كـونكويسـت وهـنرى مـيـتـيت فى تأليـفـهـا ومـسـرحـيـة أخـرى بعنـوان «النقـود المجنونة» التى ألفها ستيل ماكاتى وعرضـها على مسرح سرى فى ٣ أبريل ١٨٩٣ . وقـام جـورج د . سـيمـز بتـأليف مـسـرحـية مـثلت على خشبة الأدلفى فى ١٤ سبتمبر ١٨٨٩ بعنـوان «لندن يومـا بيـوم» تدور حـول مـراب يهـودى وغـد اسـمـه هارى اسكالون . غـيـر أن المـؤلف سـيمز كان يحمل مشاعر الصداقة والود نحو اليهـود ؛ الأمر الذى اضطره الى الاعتذار عن رسـمـه صورة منفـرة لهم فى مـسـرحـيـتـه المشـار اليها . وأيضا ألف هـ . ج . بيرون بعنـوان «أولادنا» قدمت على مسـرح الفـودفيل فى ١٦ يناير ١٨٧٥ . فضلا عن أن هـ . بى . دى ميل اشـتـرك مع د . بيلبسـاكو فى تقديم مـسـرحـيـة «الرجـل والمرأة» فى ٢٥ مارس ١٨٩٣ على مسرح الأوبرا كوميك فى ٢٥ مارس ١٨٩٣ .

وفى نهاية القرن التاسع عشر ظهرت فى انجلترا مسرحيات تدور أحداثها حول الإبادة الجماعية لليهود فى روسيا . وفى هذه المسرحيات مـسرحـية بعنوان «سـيبريا» من تأليف بارتلى كـامبل أصابت نجاحـا منقطع النظير . وقد تم عرضها لأول مـرة فى مدينة فرانسيسكو بأمريكا على مسرح الأميرة فى ١٤ ديسمبر ١٨٨٧ .

هـ - مسرحيات يهودية فى أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين

فى نهاية القرن التاسع عشر ألف سيدنى جروندى (١٨٤٨ - ١٩١٤) مسرحية بعنوان «اليهودى العجوز» مثلت على مسرح جاريك فى ٦ يناير ١٨٩٤ ولكنها منيت بالفشل الذريع . وهذه المسرحية أكثر ميلودرامية وسنتمنتالية من المسرحية التى ألفها كمبرلاند بعنوان «اليهودى» وقدمها على المسرح فى ٨ مايو ١٧٩٤ .

كان جروندى واحدا من أبرز كتاب المسرح فى العصر الفيكتورى وذاعت شهرته فى الاقتباس وإدارة الحوار والقدرة على التعبير الموجز عن شخصياته . ورغم هذا فإن «اليهودى العجوز» تخلو من أى من هذه الميزات . وتدور مسرحية جروندى حول يهودى يهجر زوجته المسيحية عندما يكتشف انها تخونه . ولكنه يخصص لابنه وابنتها منها مبلغا كبيرا من المال من أجل تربيتهما على خير وجه . ويغيب اليهود عن البلاد ثم يعود اليها متخفيا بعد أن أصبح من أصحاب الملايين . ويكتشف عند عودته الى انجلترا أن الوصى على ولديه بدد كل ما تركه لهما من مال . وفى الفصل الرابع نرى اليهودى العجوز يفاخر بيهوديته. ومن الجائز أن جروندى رسم شخصية اليهودى جوليوس سيترن على غرار المليونير اليهودى البارون موريس دى هيرش (١٨٣١ - ١٨٩٦) الذى صار اسطورة بسبب احسانه وفعله الخير . وفيما بعد أجرى المؤلف تعديلات وتنقيحات فى المسرحية وأطلق عليها اسما جديدا

هو جوليوس ستيرن التي أعيد تقديمها على مسرح الكورونيت في ٢٢ نوفمبر ١٩٠٥ . والجدير بالذكر ان جروندي عالج ايضا شخصية يهودية في مسرحية أخرى بعنوان «المنحلون» التى مثلت على مسرح الهاى ماركيت في ٣١ أغسطس ١٨٩٩ .

وفى العام التالى على عرض «اليهودى العجوز» قدم ج . هـ . جيسوب لحفلة ماتينيه واحدة مسرحية من تأليفه بعنوان صامويل من بوش على مسرح الجيتى فى ٤ يوليه ١٨٩٥ .

وبانتهاء القرن التاسع عشر بات من الواضح أن العصر الفيكتورى في طريقه الى الزوال إن لم يكن قد اندثر فعلا . وظهر هذا جليا فى تأثر برنارد شو وبينيرو بمسرحيات الكاتب النرويجى هنريك إبسن . وقد ألف بينيرو مسرحية «مسز تونكراى الثانية» التى مثلت على مسرح سانت جيمس فى ٢٧ مايو ١٨٩٣ . وفى أبرز المسرحيات التى تعالج اليهود مسرحية «الوزير» التي ألفها بينيرو والتى مثلت على مسرح البلاط فى ٢٣ أبريل عام ١٨٦٠ . وهى مسرحية تختلف عن مثيلاتها من المسرحيات اليهودية فى أنها ترسم صورة منفرة للمرأة اليهودية فى حين درجت المسرحيات الانجليزية عن اليهود السابقة عليها على رسم صورة لها محببة للنفس . لقد اعتاد المسرحيون الانجليز أن يرسموا صورة منفرة للرجل اليهودى وصورة مخالفة لجمال المرأة اليهودية وفضائلها وعلى عكس هذا نرى أن المسرح الأمريكى كثيرا ما صور المرأة اليهودية على نحو بغيض .

ويتضح لنا من أحداث مسرحية «الوزير» أن رجلا وأخته يستغلان حاجة زوجة الوزير الانجليزى الى المال . ويحرض اليهودى زوجة الوزير على سرقة مستند يعود عليه بالنفع فى بورصة الأوراق المالية . وبالفعل تستجيب زوجة الوزير له وتسرق له المستند المطلوب . غير أن الفأر يلعب فى عب الوزير ويشعر بنوايا اليهودى السيئة فيضع للتمويه أمام زوجته مستندا مزورا تسرقة بدلا من المستند الحقيقى وتعطيه لليهودى الخبيث. وتتأرجح مسرحية الوزير بين الكوميديا الناعمة والفارس الخشن . ولم تلق نجاحا كبيرا عند تمثيلها . وأيضا الف بينيرو مسرحية بعنوان «ليتى» قدمت على مسرح دوق يورك فى ٨ أكتوبر ١٩٠٣ . وتحتوى هذه المسرحية على شخصية يهودى يدعى ماندفيل وهو رجل شديد الاخلاص والولاء لعائلته كما أنه شديد الحرص على شرفها .

وأيضا ألف بينيرو مسرحية « منتصف القناة» التى مثلت على مسرح سانت جيمس فى ٢ سبتمبر ١٨٠٩ كما أنه ألف مسرحية «احذرى الطلاء يا فتاة» التى قدمت على خشبة مسرح يورك فى ١٧ فبراير ١٩١٢ ، الى جانب مسرحية أخرى بعنوان «تريلونى فى مسرح الويلز» مثلت فى مسرح البلاط فى ٢٠ يناير ١٨٩٨ .

أما هنرى آرثر جونز (المولود عام ١٨٥١) فقد كان من أكثر مسرحيى العالم الفيكتورى نجاحا . غير أن مسرحياته خلت من اليهود باستثناء مسرحية واحدة بعنوان «يهوذا . التى قدمت على مسرح شافتسبرى فى ٢١ مايو ١٨٩٠ . وينحدر يهوذا من أصل كلتى ويهودى

أى من أصل تصفه المسرحية بأنه عريق . وتضيف المسرحية أنه الرجل المناسب القادر على اعطاء انجلترا دينا جديدا أو أن يجعلها تؤمن بالدين القديم .

وحتى مطلع القرن العشرين درج المسرحيون الانجليز على رسم صورة مقيتة لليهودى فهو دائم التأتأة يكثر من الاشارة بيديه ويقوم بدور المهرج . وباختصار لم يكف المسرح الانجليزى عن معاداة السامية والاستهزاء باليهود . وهو تقليد قديم يعود الى القرون الوسطى عندما كانت الكنيسة الرومانية الكاثوليكية تقيم كرنفالا يتعرض منه اليهود للكمات والشتائم والاهانات ويرغمون على السير وراء موكب الحمير يتتبعهم موكب المهرجين .

القسم الرابع
كتاب يهود انجليز : اسرائيل زانجويل وآخرون

رغم اشتغال اليهود الانجليز أساسا بالتجارة واستثمار المال فقد اشتغلت مجموعة منهم بالكتابة والصحافة فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر نتيجة التحسن الملموس الذى طرأ على ظروفهم السياسية والاجتماعية . ومن بين الذين برزوا فى هذا المضمار روائى غزير الانتاج هو بنيامين ل . فارجيون (١٨٣٣ - ١٩٠٢) . نشر فارجيون عام ١٨٧٠ رواية بعنوان «جريف» استقبلها النقاد بالاستحسان . وقد نجحت هذه الرواية فى لفت انظار الروائى الكبير تشارلس ديكنز إليها . وتدور اولى رواياته وهى بعنوان «سولومون ايزاكس» (١٨٧٧) حول تاجر روبابيكيا يهودى استطاع ببخله وقدرته على المساومة ان يجمع ثروة عريضة . وهو رجل متدين يحرص على الصلاة فى الهيكل بانتظام. ورغم انه لم يفقه شيئا من هذه الصلوات والطقوس فقد تمكن من أن يكسب احترام الجالية اليهودية . وأيضا تتناول الرواية حكاية بائع روبابيكيا يهودى آخر يدعى موسى ليفى لم يتخلف عن الصلاة مرة واحدة . وبطلة هذه الرواية ابنة موسى المدعوة راشيل وهى امرأة طاهرة وجميلة ومحبوبة تكسب شيئا من المال من التفصيل ، وتقابل راشيل امرأة مسيحية زانية تلد سفاحا . ويرق قلب اليهودية لها فتقوم

على خدمة المسيحية وهي تلفظ انفاسها الأخيرة وتأخذ الطفل غير الشرعي وتتولى تربيته . وتموت المرأة المسيحية وهي تبارك اليهودية العطوفة الحانية . ورغم ان بعض الشخصيات اليهودية في هذه الرواية يحلمون بإعادة بناء أورشليم والرجوع الى أرض الميعاد فإنهم لا ينسون ان انجلترا قد أصبحت وطنهم .

وتدور أحداث روايته الثانية عن اليهود التى تحمل عنوان «آرون اليهودى» (١٨٩٤) حول شخصية يهودى اسمه آرون كوهين . وهو انسان لطيف المعشر يتسم بالأريحية والكرم شديد الاخلاص والوفاء لزوجته والولاء لأصدقائه ، فضلا عن تميزه فى إدارة الأعمال . ولكن مبالغته فى وصف هذا اليهودى وسجاياه تجعل فى العسير على المرء أن يصدق انها شخصية حقيقية ؛ الأمر الذى يذكرنا بمبالغة تشارلس ديكنز فى وصف فضائل اليهودى رياه فى روايته «صديقنا المشترك» .

وأيضا تظهر عائلة كوهين فى الرواية التى نشرها الروائى اليهودى فارجيون بعنوان «اليهودية الجميلة» (١٨٩٤) . وفى هذه الرواية يرغب الانجليزى ويمبول فى شراء بيت كوهين . ولكنهما يختلفان على الثمن فيقوم الانجليزى بمعايرة كوهين بأصله اليهودى . فضلا عن ان الصبية الانجليز فى الأسواق يصيحون وراءه ويشيرون اليه باليهودى . اضف الى ذلك ان الانجليز امتنعوا عن رد التحية التى يلقيها عليهم .

وتزداد أمور كوهين سوءا عندما يحتاج الى قرض فلا يجد من يقرضه . ويعرض عليه المحامى جوردون عرضا غير عادى مفاده ان

ينفح آرون كوهين وزوجته راشيل مبلغا كبيرا في المال نظير أن يتبنيا طفلة . وتضطر الحاجة الزوجين الى قبول هذا العرض ويتبنيان فتاة مجهولة المولد اسمها روث . وتشب روث عن الطوق وتصبح فتنة للناظرين اعتقد الجميع انها يهودية .

وتناقش الرواية الجهود التي يبذلها المبشرون المسيحيون لتحويل اليهود الى الدين المسيحي . ويزور آرون كوهين زائر طالبا منه ان يتبرع بمبلغ من المال لجمعية إسمها «جميعة نشر المسيحية بين اليهود». ويبتسم اليهودي آرون لهذا الطلب الغريب مذكرا زائره انه يهودي . فيرد عليه الزائر المسيحي قائلا انه يعلم هذا ولكنه يعلم ايضا خلوه من كل أثر من آثار التعصب وضيق الأفق وينشرح آرون لهذه الاجابة ولكنه يجدها فرصة سانحة للتعبير عن رأيه .

يقول آرون لمحدثه إنه يجدر بالمسيحيين ان يتصفوا بالفضائل المسيحية الحقة بدلا من السعي غير المجدى لتحويل اليهود الى مسيحيين . كما أنه يجدر باليهود كذلك ان يصبحوا يهودا أفضل بدلا من التزمت الديني الذميم . وينتهي النقاش بين آرون وزائره المسيحي بأن يعطيه آرون شيكا بمبلغ عشرين جنيها فيعطيه المسيحي وصل استلام بعشرة جنيهات لا غير . وتنتهي الرواية بأن يقع في غرام ابنة كوهين المتبناة ابن واحد من علية القوم هو اللورد ستور ندال . ويستشيط هذا اللورد غضبا ويجن جنونه عندما يعلم ان ابنه يعتزم الزواج من يهودية ؛ الأمر الذي أثار حنق اليهودي كوهين الذي يزهو

بأصله اليهودى ويعتبر زواج الانجليزى المسيحى من امرأة يهودية شرفا لا يعادله شرف . وعلى أية حال يرفض كوهين ان يزوج ابنته من ابن هذا اللورد المختال . ولكن الفتاة روث تتخذ موقفا مغايرا من موقف أبيها بالتبنى فبالرغم من تنشئتها اليهودية فإنها تحمل كراهية غريزية ضد المجتمع اليهودى . فضلا عن أنها تحب ابن اللورد المسيحى الذى تقدم للزواج منها . وحتى لا ينهى المؤلف روايته على نحو مأساوى نجده يميط اللثام عن أصل الفتاة المسيحى . الأمر الذى يجعل من الممكن زواج ابن اللورد بها . والذى يلفت النظر فى هذه الرواية ان مؤلفها يتجنب الخوض فى موضوع حساس هو زواج المسيحى من اليهودية .

ثم أصدر المؤلف فارجيون روايتين أخريين تعالجان عددا من الشخصيات اليهودية . وهاتان الروايتان هما «ميريام روزيلا» (١٨٩٧) و «فخر الأصل اليهودى» (١٩٠٠) اللتين يكرس صفحاتهما فى تمجيد الفضائل اليهودية . فضلا عن أنه يرسم للقارىء الانجليزى صورة دقيقة عن حياة اليهود العائلية. وتدور رواية «فخر الأصل اليهودى» حول يهودى يصيب ثراء عريضا ويصبح من أصحاب الملايين ويستطيع بفضل ثرائه ان يزوج ابنه الى فتاة انجليزية مسيحية تنحدر من أعرق الأسر . وتلقى هذه الرواية الضوء على أحوال المجتمع الانجليزى أنذاك الذى لم ير غضاضة فى أن يتزوج يهودى ثرى من مسيحية ارستقراطية، الأمر الذى يشير الى اتساع رقعة التفاهم المشترك بين المتعلمين فى كلا الجانبين اليهودى والمسيحى. ويتضح من أدب

فارجيون الروائى ان اليهودى الانجليزى مهما اندمج فى المجتمع الانجليزى فإنه يحس بعزلته وخصوصيته وان لا أحد يستطيع أن يتفهم موقفه غير اليهود أنفسهم ممن يشاركونه مشاعره وحياته .

وهناك ثلاث روائيات يهوديات . موهوبات تعالج اعمالهن الروائية حياة الأسرة الانجليزية اليهودية هن أمى ليفى وجوليا فرانكاو (أو فرانك دانبى) ومسز ألفريد سيدجويك (أو السيدة اندرو دين) .

ألفت أمى ليفى رواية مهمة تصف حياة اليهود الانجليز من وجهة نظر يهودية تحمل عنوان «روبن ساتشيس» (١٨٨٩). وتعتبر هذه الرواية دراسة عن اليهود فى عهد الملكة فيكتوريا مكتوبة من وجهة نظر يهودية تتسم بشدة الحساسية ضد الظلم وبشدة النفور فى غلظة المجتمع المادى . ورغم يهوديتها فإن أمى ليفى تميل الى انتقاد اليهود لماديتهم الخشنة وانصرافهم الى جمع المال والحفاظ على مصالحهم وافتقادهم الى القيم الروحية النبيلة والسامية . وتدور الرواية حول روبين ساتشيس الذى يتلقى تعليمه بنجاح فى احدى مدارس لندن النهارية وايضا يواصل تعليمه الجامعى بنجاح مماثل حتى تخرج فى كلية الحقوق وأصبح محاميا مرموقا .

ويلاحظ قارىء رواية روبين ساتشيس ، أن هذه العائلة تنتمى الى مجتمع يتفاوت فى تركيبه الطبقى والاجتماعى . وهو مجتمع لا يمكن لغير اليهودى أن يدركه او يتنبه اليه . وتلقى الرواية الضوء على استمساك الجيل القديم من اليهود بدينهم وطقوسهم فى حين يمارس

الجيل الجديد شعائره الدينية في الهيكل على مضض . بل إن هذه الشعائر تصيبه بالملل لدرجة انه يتثاءب اثناءها . ويعبر شاب يهودى فى الرواية اسمه ليو عن زرايته بالأمة اليهودية التى تبيع روحها وجسدها من أجل الحصول على المال والمكاسب الدنيوية .

ورغم ان العائلات اليهودية تختلط بالمجتمع الانجليزى غير اليهودى وتتبادل معه إقامة الحفلات فإنها تفضل أن تعقد اجتماعاتها في بيوت شيوخ اليهود . وهى اجتماعات تحضرها الأجيال الأصغر سنا وهى كارهة .

وذات يوم أعلن روبين ساتشيس ان صديقه الارستقراطى الانجليزى لى هاريسون قرر التحول الى الدين اليهودى باعتباره دين الحق . فتهلل اليهود واستقبلوه بينهم بحفاوة بالغة . ورغم ميله الى اعتناق الدين اليهودى نرى لى يشكو من مسلك اليهود الذين يقابلهم فى الحياة . ويعرفه روبين ساتشيس بعائلته لعل تصرفاتها تروق له . وتسأل روز قريبها روبين عن انطباع صديقه لى هاريسون عن عائلتها اليهودية فيجيبها ليو : «أظن انه صدم عندما اكتشف اننا لسنا سوى اناس صغار تافهين مثل شخصيات رواية «دانييل ديروندا » . لقد تأثر دوما بتلك الثقة الهائلة التى وضعتها الروائية جورج إليوت فى مفهومها المعقد والمغلوط عنا .. وهنا صاحت روز مستنكرة : « ها هو ليو قد بدأ يشن هجومه علينا . إنه لا يقول ابدا كلمة طيبة واحدة عن شعبه الذى لا يكف ابدا عن الزراية به» . وهنا يجيب عليها ليو ساخرا : « ليست

لدى أية شكوى بالمرة ضد شعبنا اليهودى سوى اننا ماديون حتى اطراف أصابعنا » . ويتدخل روبين مبررا مادية اليهود قائلا انهم يعيشون في عصر مادي وبلاد مادية . فيجيبه ليو : « وديننا دين المادية. ونحن ابدا تروق لنا الغلال والخمور والزيت وتكاثر الحبوب والانتصار على القبائل المعادية اكثر مما تستهوينا القيثارة وتيجان الحياة الروحية».. عندئذ يعلق روبين على ذلك بقوله : « ليست هناك فائدة من الزعم بأن أصحاب العلم والفكر اليهود فى يومنا الراهن لا يزالون يعتبرون ديننا قوة تتدفق بالحياة . ومن الطبيعى ان تطرأ عليه التغيرات كما طرأت علينا بسبب ما تركه الفكر الغربى والأخلاق الغربية من أثر فينا ..»

ويرد عليه ليو بأن هذا لا يغير موقفه السيىء من الدين اليهودى . والرأي عند مؤلفة الراوية أن مثل هذه الآراء تعبر عن وجهة نظر قطاع من معارفها اليهود . وإذا كان ليو كما رأينا يهاجم الدين اليهودى فإن روبين يحمل شديد الود له وللشعب اليهودى . ولكن الروائية أمى ليفى ترى فى روبين ممثلا للطموح المادى الخالى من الاعتبارات العاطفية والمثالية . وترسم الروائية أمي ليفي شخصية مختلفة كل الاختلاف عن هذا اليهودى المادى فترسم لنا شخصية مغايرة تماما هى شخصية جوشوا كويزانو الذى يزدريه بنو جلدته بسبب انصرافه عن عبادة المال . ويذهب بعض النقاد إلى أن براعة أمي ليفى فى تصوير شخصيات النساء تفوق قدرتها على تصوير الرجال . وجميع

شخصياتها سواء كانت ذكورا أم إناثا تنتمى إلى الطبقة الوسطى الانجليزية .

وفى أخريات حياتها كتبت أمي ليفى قصة قصيرة بعنوان «كوهين فى كلية ترينيتى» نشرتها فى مجلة الجنتلمان . وتدور هذه القصة حول شاب يهودى يدرس فى جامعة كامبريدج . ولكنه يشعر باليأس والإحباط بسبب فرط حساسيته وشعوره الأليم بالوحدة . ويساعد نبوغه على عزلته عن الناس . حتى بنو جلدته اليهود يبتعدون عنه ويعجزون عن فهمه ، ناهيك عن زملائه الطلبة الانجليز فى جامعة كامبريدج . ويفاجىء هذا الشاب المنزوى والمتقوقع زملاءه بتأليف كتاب جلب له الشهرة . ويحس زملاؤه الانجليز فى الجامعة بأنهم مذنبون فى حقه وأنهم لم يوفوه حقه فيقومون بدعوته لحضور حفل عشاء يقيمونه تكريما له . ويحضر اليهودى الحفل المقام على شرفه . غير أنه يفاجىء الجميع بإقدامه على الانتحار رغم كل ما أحرزه من انتصار وأظهره من تفوق . حتى المؤلفة نفسها تعبر عن دهشتها من انتحاره ومن أنها لم تعرف خبايا نفسه بما فيه الكفاية .

وتشن الروائية اليهودية جوليا فرانكاو (١٨٦٠ - ١٩١٦) هجوما مشابها على بنى جلدتها فى روايتها «الدكتور فيلبس : رعوية مايدا فيل» (١٨٨٧) التى تصور فى قوة وجسارة اسكتشا للطبقة الوسطى اليهودية المتزمتة فى تمسكها بقواعد الدين اليهودى التقليدي الراسخ . ويختلف النقاد بشأن هذه الرواية فمنهم من يرى أنها تفتقر إلى

الموضوعية ومنهم من يرى أنها تصور حياة اليهود الانجليز على نحو موضوعى للغاية . ويبدو أن هجوم المؤلفة على اليهود أثار حفيظتهم وهيج خواطرهم الأمر الذى دفعها إلى كتابة تصدير للطبعة الثانية للرواية أنكرت فيها أن هدفها هو الهجوم على بنى جلدتها اليهود . ورغم أن الرواية تبين نجاح الطبقة الوسطى اليهودية فى انجلترا فإنها تعبر عن إشفاقها الحقيقى مع الدكتور فيلبس الذى كانت يهوديته السبب فى نجاحه بقدر ما كانت السبب فى فشله .

وبالإضافة إلى هذا ألفت جوليا فرانكاو عددا من الروايات الأخرى التى تصور أنماطا متنوعة من اليهود الانجليز ومن بينها رواية بعنوان «رضيع فى بوهيميا» (١٨٨٩) التى تدور حول مغن ايطالى يعيش فى منطقة هوايت تشابل بلندن كما ألفن رواية أخرى بعنوان «خنازير فى البرسيم» (١٩٠٤) امتدحها الكاتب اسرائيل زانجويل امتداحا عظيما بسبب واقعيتها وتصويرها الجرىء والصريح للحياة اليهودية . والمشكلة الرئيسية التى تثيرها هذه الرواية هى حق اليهودى فى العصر الحديث فى أن يكون على قدم المساواة مع غير اليهود . وترسم هذه الرواية نموذجين مختلفين لليهود : نموذج اليهودى كارل ألثوس المليونير العصامى الفخور بنجاحه والمدرك لعيوبه والذى يلقى صدودا من المجتمع الانجليزى ونموذج لأخيه لويس ألثوس وهو نصاب يهودى أنانى قاس حقير لا يحفل بالمعايير الأخلاقية فى كثير أو قليل . وهذان الأخوان ابنان لأم عجوز قعيدة ومصابة بالشلل وزوجة ليهودى من أصل

بولندى استولى على كل ما تملكه من مال . ولا يكتفى هذا الرجل بإهانة زوجته بل إنه يصطحب إحدى فتيات شوارع لندن إلى منزله كى تشاركه فراشه وينجب منها طفلا غير شرعى . وتقارن الرواية بين تصرفات كارل ألثوس وأخيه غير الشقيق لويس ألثوس ، كما تبين عجز الدين اليهودى عن نفحهما أو تقديم العون لهما . ويعتقد كارل ألثوس أن اليهودية ليست دينا بالمرة بل مجرد شكليات وعادات عرقية وأنواع خاصة من الأطعمة .

وهناك أيضا الكاتبة اليهودية مسز الفريد سيدجويك المعروفة باسم سيسلى أولمان التى تصور رواياتها طبقة اليهود الأثرياء فى انجلترا . كتبت مسز سيدجويك تحت اسم مستعار هو السيدة أندرو دين اسكتشا يفيض بالحياة بعنوان «بارون المساحيق » واستخدمت نفس الأسلوب الساخر الذى تميز به أدب وليم ثاكراى . وتدور هذه الرواية حول التجارب التى تمر بها فتاة يهودية اسمها إستر سكون تتمتع بقسط وفير من الثراء والرقة والجمال . وتعيش هذه الفتاة فى لندن فتلاحظ أنه ليس من أحد فى هذه المدينة الكبيرة يهمه إذا كان المرء يهوديا أو مسيحيا بل إنها تدرك أن كثيرا من المسيحيين يرغبون فى الزواج من يهوديات ثريات . وتعزف هذه الفتاة عن الزواج بسبب رغبتها فى السفر إلى ألمانيا حتى تتمكن من العيش فى المجتمع اليهودى هناك. وتلاحظ الفتاة فى ألمانيا أن العائلة اليهودية الأفضل حالا تعيش فى المدن الألمانية حيث تقوم بإنشاء مراكز فنية . كما أن هذه العائلات تهتم

بالالتقاء بالمثقفين والفنانين من كل حدب وصوب دون أن يكون للملة أو الدين أو المكانة الاجتماعية أى اعتبار . غير أن عم وعمة هذه الفتاة فى ألمانيا لا يحفلان بهذا الوسط الفكرى والفنى فهما ينصرفان بكليتهما إلى جمع المال وإدارة الأعمال وتكتشف الفتاة وجود تيارات معادية للسامية فى ألمانيا . ويقابل بارون ألمانى الفتاة اليهودية الجميلة فيقع فى غرامها . ولكنه يتردد فى خطبتها بسبب اختلافهما فى الدين قبل أن يقرر التقدم للزواج منها . ويتوجه هذا الأرستقراطى إلى ولى أمر الفتاة اليهودى ليخطبها منه ويسعى هذا اليهودى إلى إقناع الخطيب الألمانى بأن يترك ألمانيا ويعيش فى انجلترا وأن يتحول إلى العقيدة اليهودية . ويغضب البارون الألمانى من هذا العرض وينصرف ساخطا إلى حال سبيله . وتنتهى الرواية بأن تتزوج إستر من يهودى انجليزى مثلها .

وفى رواية أخرى ألفتها مسز سيدجويك بعنوان «نقود ايزاك إلير» (١٨٨٩) ترسم لنا هذه المؤلفة صورة يهود فرانكفورت المقيمين فى لندن حيث يشكلون مجتمعا يضع المال نصب عينيه ولا يحفل بشىء قدر احتفاله بمصالحه المادية . يقول المؤرخ الأدبى المعروف جورج سانسبرى إن مثل هذه الصورة المنفرة والكريهة تسىء بطبيعة الحال إلى شعب الله المختار الذى أقام فى يوم من الأيام عجلا من ذهب

وسجد له . وتفتقر العائلتــان اليهـوديتان فى الرواية «إيلر وجولدبرج» إلى الذوق والخلق البديع . ولكن تصرفاتهما على أية حال ليست أقسى أو أوقح من تصرفات أية عاملة مسيحية .

وكذلك نشرت مسز سيدجويك عام ١٨٩٤ رواية عن اليهود المقيمين فى لندن تحـمل عنوان «ابنة ليـسـر» التى تتناول مـشـاكل الزيجـات المختلطة بين اليهود والمسيحيين وترسم صـورة متعاطفة مع رجل ثرى تافه اسمه ليسر بريمـين يفشـل حتى نهاية حياته فى اكتساب محبة ابنه . فـضـلا عن أن زوجة هذا اليهودى لا تشـعر بالراحـة فى حيـاتها الزوجيـة فهى لا تمقت شيئا قدر مقتـها ليهودية زوجـها . وزاد من هذه الكراهيـة لليـهود أن الكنيسـة الانجليـزية اعـترضت على زواجـها من يهودى. وتعـالج مـسـز سيـدجـويك مـوضـوع اخـفـاق زيجـات اليـهـود بالجنسيـات الأخرى فى رواية تحـمل عنوان «طائر الجندب» (١٨٩٥) . ونحن نطالع مـعـالجـة جديدة لأحـوال اليـهود فى انجلترا فى مـجموعـتها القصـصية «مناظر من الحياة اليهودية» التى نشرتها المؤلفة عام ١٩٠٤ فى العديد فى المجلات الانجليزية .

وفى عام ١٨٨٢ صدر كتاب يحـتوى على مـجموعة من الدراسات حـول الحـيـاة اليـهـودية من تأليف الكاتب النمسـاوى ليوبولد كـومبرت بعنوان «مناظر من الجـيتـو أو حـارة اليـهـود» والجـدير بالذكـر أن هذا الكتاب تمت ترجمته من الألمانية إلى اللغة الانجليزية . ويلقى هذا الكتاب الضوء على طريقة معيشة اليهود فى حـارات اليهود والآثار الناجمة عن

انعزالهم عن المجتمع الخارجي كما يحدثنا عن شدة تماسك اليهود نتيجة اضطهادهم واتباع سياسة القمع معهم .

وفي عام ١٨٨٢ ظهرت في لندن ترجمة إنجليزية بديعة اضطلعت بها الآنسة م . دابليو ماكدويل للرواية التى ألفها كارل إميل فرانزوس بعنوان «يهود بارنو» وتصور هذه الرواية على نحو متعاطف للغاية بؤس اليهود الذين يعيشون فى الجيتو فى شرق أوربا . ومن المحتمل أن تكون هذه الرواية ومثيلاتها عن اليهود فى أوربا الشرقية قد أوحت لبعض الكتاب اليهود الانجليز الأصغر سنا أن يضطلعوا فى أدبهم بوصف الجيتو اليهودى فى العاصمة البريطانية . وقد أظهر تفوقا فى هذا المضمار الكاتب اليهودى الانجليزى اسرائيل زانجويل (١٨٦٤ - ١٩٢٦) الذى تخرج فى جامعة لندن .

ويختلف الجيتو اليهودى فى لندن كما صوره زانجويل عن الجيتو اليهودى كما صوره الكاتبان اليهوديان كومبرت وفرانزوس فجيتو لندن لا تحيط به الأسوار كما هى الحال فى روايات الكاتبين الآخرين . فضلا عن أن هذا الجيتو المحاط بالأسوار نشأ كنتيجة طبيعية لنزعة اليهود الوافدين من روسيا وشرق أوربا للعيش معا والانعزال عن المجتمع الذى يعيشون فى ظله حتى يتمكنوا من ممارسة طقوسهم الدينية بحرية أكبر. ويعنى زانجويل فى أدبه الروائى بتصوير الصراع الدائرة رحاه بين جيل اليهود الانجليز الأكبر سنا وابنائهم . فجيل الآباء نشأ وترعرع فى ظل الناموس الموسوى المتزمت فى حين أن ابناءهم الذين تلقوا تعليمهم

فى مدارس انجليزية أصبحوا يعيشون فى جو ليبرالى متفتح وليس منغلقا على نفسه كما هى الحال مع جيل الآباء . فلا غرو إذا رأينا الصراع يحتدم بين الجيلين . ولا غرو أيضا إذا شاهدنا أن الآباء فى رواياته يتألمون كثيرا لما يعتبرونه عقوقا وانحرافا عن جادة الطريق . هذا الصراع المحتدم بين الآباء والأبناء يمثل الصراع الثقافى بين اليهود المهاجرين من شرق أوربا بمعتقداتهم التلمودية المتزمتة وبين انفتاح وليبرالية الحضارة الغربية .

نشر زانجويل عام ١٨٩٢ رواية بعنوان «اطفال الجيتو» تروى ملحمة الوجود اليهودى فى لندن وعلى وجه التحديد فى حى الفقراء المعروف بحى إيست إند حيث يتكدس اليهود المعوزون . وتكشف هذه الملحمة عادات وتصرفات اليهود وعلاقاتهم الحميمة التى لا يعرف العالم الخارجى عنها شيئا . ويرسم المؤلف فى هذه الرواية صورا لخمسين شخصية يهودية تطورت أوضاعهم وتحسنت أحوالهم فتمكنوا من الانتقال من حى الفقراء (الايست إند) إلى حى الموسرين (الوست إند) . وبالنظر إلى أن زانجويل يهودى فإنه استطاع أن يضيف أدق تفاصيل حياة بنى جلدته باشفاق وتعاطف . وتبدأ رواية «أطفال الجيتو» بوصف أحوال سكانه من فقراء اليهود الذين يحتشدون أمام مبنى لتوزيع الخبز والحساء عليهم . ومعظم يهود الجيتو من أصحاب الدكاكين الصغيرة والاكشاك وعربات اليد أو من بائعى الروبابيكيا ، ويسعى زانجويل فى روايته إلى تصوير كفاح هؤلاء الكادحين وما يجدونه من سلوى وعزاء

في استمساكهم الشديد بعقيدتهم الدينية بما تشتمل عليه من صوم وصلاة واحتفال بالأعياد والسبوت . ولكن زانجويل يبين لنا أنه من الخطل أن نعتقد أن الأجيال الأصغر سنا تحفل بالدين اليهودى على نحو ما تحفل به الأجيال الأكبر سنا . ويتوخى زانجويل الموضوعية ازاء موقف كل من الجيلين القديم والجديد من الدين لدرجة أننا لا نعرف حقيقة موقفه ومشاعره تجاه الدين اليهودى . وتدل رواية «أطفال الجيتو» أنهم قد يعيشون فى فقر مدقع ولكن الحب دائما يجمع شمل العائلة ويعوضها عما تكابده من فاقة . وعند أوبة رب البيت إلى عائلته يجمع أفرادها ليقرأ لهم القصص والأساطير ويختتم يومه بالصلاة إلى إله اسرائيل الذى لن يخذل شعب اسرائيل أبدا .

وفى الفصل الذى كتبه زانجويل فى رواية «أطفال الجيتو» بعنوان «العائلة الصامتة» يرسم لنا هذا الروائى صورة مغايرة للعائلة اليهودية الفقيرة والمتماسكة : فهذا الفصل يحتوى على ابن يهودى وبنت يهودية ينشآن فى بيئة انجليزية فيحسان بأنهما غريبان عن والديهما الطاعنين فى السن . ويقدم إلينا زانجويل فى روايته شخصيات عديدة مثيرة للأهتمام منها شخصية ريب شيمويل وبتشاس الزعيم الاشتراكى . وتصور «أطفال الجيتو» قطاعات متعددة ومختلفة من اليهود . وقد كتب س .ل . بنسوزان فى مجلة «لندن كواترلى ريفيو» (١٩٢٦) أن ما يثير اهتمام اليهود فى هذه الرواية هو نجاحها فى تصوير التغيرات التى طرأت على حياة اليهودى وظروف معيشته .

وفى عام ١٨٩٢ نشر زانجويل روايتين بعنوانى «مآسى الجيتو» و«كومبديات الجيتو» تفوقان فى معالجتهما الفنية رواية «أطفال الجيتو». وفى عام ١٨٩٤ نشر زانجويل رواية أخرى بعنوان «ملك سكنودرز» التى ترسم صورة كوميدية للغاية لشحاذ وقور وعلى جانب كبير من العلم يعتبر نفسه مبعوث الله على الأرض ، فعن طريق الإحسان إليه يعرف المحسنون طريقهم إلى السماء . وتصور قصص زانجويل مأساة وملهاة التجربة اليهودية معا فى عالم متغير . ويذهب زانجويل إلى أن اليهود بشر كسائر البشر لهم نفس فضائلهم وعيوبهم . وهذه صورة تفوق فى واقعيتها صورة اليهودى عند غيره من الكتاب اليهود . وينوه زانجويل بعبقرية اليهود فى التأقلم مع كل البيئات والمجتمعات ويرى أن سمة التأقلم هى التى تميزهم عن غيرهم من البشر .

وفى عام ١٨٩٨ نشر زانجويل رواية بعنوان «الحالمون فى الجيتو» التى تتكون من مجموعة من القصص القصيرة المستمدة من حقائق التاريخ . وتصف التجارب الروحية التى يخوضها أعظم الحالمين فى شعب اسرائيل . يقول المؤلف فى هذا الشأن : «إن هدفى أساسا هو إلقاء الضوء على إسهام المفكرين اليهود فى الفكر الإنسانى فى كل عصر وأن عقول اليهود كان يشغلها على الدوام التفكير فى مشاكل الكون» .

وفى الفترة بين تأليف روايتى «أطفال الجيتو» و«الحالمون فى الجيتو» أولى زانجويل الصهيونية اهتمامه وأضحى رأيه فى الدين اليهودى أشد

ما يكون تشاؤما وقتامة . واقتنع زانجويل بأن الوقت قد حان لظهور تعبير دينى جديد واستحداث لغة جديدة للتعبير عن العواطف اليهودية القديمة الخالدة بحيث تتماشى مع المصطلحات الحديثة للكون . وذهب زانجويل إلى أن البديل الآمن هو عودة اليهود إلى قوميتهم . ولهذا كف زانجويل عن الحديث عن الحياة اليهودية المعاصرة وسعى إلى استجلاء الجانب الرومانسى من التاريخ اليهودى المتمثل فى تفرقة أعلام اليهود أمثال سبينوزا وهاينى ولاسال وحتى دزرائيلى نفسه الذى حاول كسر القيود التى تكبل اليهود وعبر عن روح الهيكل اليهودى بلغة تساير المصطلحات الحديثة للكون . وسعى زانجويل إلى توضيح دوافعهم عن طريق رسم صورة مثالية درامية لهم . ويرى بعض النقاد أن هذه الرواية أقرب إلى الرومانسيات الجيدة منها إلى الواقع والتاريخ . وعلى أية حال فقد أجاد زانجويل فى تصوير مأساة اسرائيل الخالدة فى ضوء التجربة والثقافة الحديثتين وتتلخص أهمية كتابات زانجويل فى أنه أوضح للانجليز أن بنى جلدته اليهود شعب يختلف فى صورته عن الصورة التى يستمدها الانجليز من شخصية شكسبير المعروفة شيلوك وأمثالها من الشخصيات .

عندما ظهرت رواية «أطفال الجيتو» استقبلها القراء والنقاد الانجليز بالتقريظ والثناء . فقد عرف الانجليز لأول مرة من خلالها ثراء حياة الجيتو اليهودى وتنوعها ومتانة ورسوخ الأساس الدينى الذى تقوم عليه هذه الحياة . ويقال إن الرواية نجحت فى توضيح صورة اليهودى فى

عقول الانجليز واستدرار العطف عليهم لدرجة أن الحكومة البريطانية صرفت النظر عن مناقشة بعض التشريعات الساعية إلى تضييق الأقليات الأجنبية المهاجرة إلى بريطانيا . يقول أحد النقاد في العدد ٥٣ من مجلة الأكاديمية : «إن زانجويل لا يداهن بنى جلدته اليهود أو يتملق مشاعرهم . فضلا عن أنه يبين قذارتهم وضيق أفقهم . ولكنه فى المقابل يصور لنا مجد اسرائيل وصبرها الذى لا ينضب وأملها الذى لا يخبو وعواطف ابنائها المحتقرين من الجميع وظمأهم الذى لا ينطفىء للاقتراب من الله» . ويرى بعض النقاد الآخرين أن أهمية زانجويل تكمن فى الدور الذى لعبه كمفسر ووسيط للتقريب بين الشعب اليهودى المضطهد وعالم درج على احتقاره وعدم التعاطف معه . يقول أحد النقاد فى العدد ٨٠ من مجلة الاسبكتاتور إن زانجويل شعر بقوة بعذاب الشعب اليهودى وفهم تمام الفهم الظروف التى جعلت اليهود ينعزلون عن العالم واراد أن يوضح هذا إلى الأمة البريطانية بوجه خاص .. تلك الأمة الباردة العواطف التى تتبع سياسة متسامحة معهم دون أن تبدى أدنى عطف عليهم .

واليهود كما يصورهم أدب زانجويل الروائى يسعون ما وسعهم السعى إلى طاعة الناموس رغم صرامته ويتبعون فى بيوتهم نظاما يدعو إلى الإعجاب ويتطلعون إلى مستقبل يبشر بالخير على هذه الأرض . لقد أحدث زانجويل تطورا فى أسلوب الأدباء الانجليز (سواء كانوا يهودا أم غير يهود) فى معالجة اليهودى . فقبل زانجويل كانت صورة

اليهودى فى الأدب الانجليز نمطية وتقليدية . فهو غالبا ما يوصف بالشر ونادرا ما يوصف بالخير فجاء زانجويل ليبين أنه إنسان فيه من مواطن القوة بقدر ما فيه من نقاط الضعف . يقول الناقد م . ج . لاندا فى «المجلة المعاصرة» ، (١٩٢٦) إن زانجويل أسدى إلى اليهود نفس الخدمة التى أسداها ديكنز بطريقة كوميدية للمظلومين والمطحونين فى هذا العالم .

إن أطفال الجيتو عند زانجويل ينتمون بوجه عام إلى الماضى فهم تقريبا من الجيل القديم . أما الأجيال اليهودية الجديدة فتتناولها أقلام أدباء يهود جدد أمثال صامويل جوردون (١٨٧١ - ١٩٢٧) . وفى حين نرى أن زانجويل يعتقد أن حل مشكلة الجيتو يكمن فى الدعوة النشطة للصهيونية نجد أن جوردون لا يظهر أى تحمس للفكر الصهيونى وهو يرى أن أمل شعب اسرائيل فى العصر الحديث يكمن فى شدة استمساكه بالدين اليهودى التقليدى الراسخ . ويقترح جوردون كعلاج لمشاكل الجيتو أن تمتد إليه يد الإحسان والمعونة الاجتماعية حتى يتمكن أطفاله من الالتحاق بالمدارس ولا تضطرهم الفاقة إلى البحث عن عمل فى سن مبكرة . ويتجلى رأى جوردون هذا من رواية ألفها عام ١٩٠٠ بعنوان «أبناء الميثاق : قصة يهود لندن» التى تروى تجارب شابين يهوديين يكرسان جهدهما لمساعدة سكان الجيتو . ويعيب جوردون فى روايته على أثرياء اليهود الذين أنستهم عصاميتهم أن ينتشلوا بنى جلدتهم من براثن الفقر والعوز .

وإلى جانب هذا ألف جوردون مجموعة من الحكايات التى تدور حول حياة اليهود تحت العناوين التالية «البعد الرابع» و«مهاجر أجنبى» و«خلاص الحية» و«الخروج من أرض العبودية» و«ضيف الحبر اليهودى» و«موردخاى سيرفا» وجميعها تعالج مشكلات الجيتو فى روسيا . يقول المؤلف أن السبب الذى حدا به إلى تأليفها هو أن يبين أن اليهود لا يختلفون بشرهم وخيرهم عن بقية البشر .

ويتضح لنا مما تقدم أن الأدب الانجليزى فى نهاية القرن التاسع عشر احتشد بكم كبير من الروايات اليهودية بأقلام العديد من الكتاب اليهود . وأيضا يتضح من قراءة هذا الأدب أن تحرير اليهود واعطاءهم حقوقهم النيابية والانتخابية لم يحل كل مشاكلهم . فضلا عن أن هؤلاء الكتاب اليهود يختلفون فيما بينهم فمنهم من يعيب على بنى جلدتهم شدة ماديتهم ومنهم من يركز على وجود القيم الروحية حتى بين أكثر اليهود فقرا . ومنهم من آمن أن طريق الخلاص يكمن فى الاستمساك بالدين اليهودى التقليدى والمتوارث ومنهم من رأى الخلاص فى الدعوة إلى الصهيونية ورغم ما بينهم من اختلافات فإنهم جميعا يسعون إلى إقامة جسور تفاهم أفضل بين بنى جلدتهم وبقية العالم .

تحدثنا عن زانجويل الروائى وبقى لنا أن نتحدث عن زانجويل الكاتب المسرحى الذى لم يرق فى عيون الانجليز مثلما راق فى عيون الأمريكان . قدم زانجويل أولى مسرحياته الصغيرة عام ١٨٩٢ بعنوان «ستة أشخاص» فاستقبله كثير من النقاد بالنقد والاعتراض فانبرى

للرد عليهم . ثم قام زانجويل بتحويل روايته الشهيرة «أطفال الجيتو» إلى عمل مسرحى قدمه عام ١٨٩٩ فى أمريكا فلقى نجاحا كبيرا وأيضا قدمه على خشبة مسرح الأدلفي بلندن في ديسمبر من نفس العام ولكنه فشل فشلا ملحوظا ؛ الأمر الذى اضطر إدارة المسرح إلى سحبه بعد عرضه لمدة ست ليال فقط . ولعل أحد أسباب فشل هذا العرض المسرحي فى انجلترا يرجع إلى كثرة التفاصيل التى عقدت حبكة المسرحية . وبدا عرض مسرحية «أطفال الجيتو» فى عيون الانجليز كما لو كان مبررا لمعالجة اليهود على خشبة المسرح بطريقة كاريكاتورية مضحكة . وهو بطبيعة الحال شيء يختلف تماما عن نية المؤلف . والجدير بالذكر أن كل ممثلى العرض المسرحى كانوا من الأمريكان .

ويبدو أن الوقت نفسه لم يكن مناسبا لعرض هذه المسرحية فقد عرضت في وقت كان فيه الشعب الانجليزى حزينا وكاسف البال بسبب انهزام الجيش البريطانى فى حرب البوير فى جنوب أفريقيا (١٨٩٩ - ١٩٠٢) الأمر الذى جعل المزاج الانجليزى معتلا وغير مستعد لسماع أو مشاهدة أى شيء عن اليهود . ومما زاد المزاج الانجليزى اعتلالا أنه ساد اعتقاد بأن لليهود دورا فى اشعال هذه الحرب . ثم شرع زانجويل فى تحويل قصته «يوريل اكوستا» إلى عرض مسرحى ولكنه لم يقيض له استكمال ما بدأه .

وإذا كان الانجليز قد أعرضوا عن زانجويل كمؤلف مسرحى فإن الأمريكان رحبوا به ترحيبا كبيرا بدءا بمسرحيته «بوتقة الانصهار»

التى أخرجها مسرح كولومبيا فى واشنطن يوم ٥ اكتوبر ١٩٠٨ . ولعل أبرز أعماله المسرحية التي رأت طريقها إلى العرض على المسرح الانجليزى هى مسرحية «إله الحرب» التى أخرجها السير هربرت ترى فى مسرح جلالة الملك فى لندن يوم ٨ نوفمبر ١٩١١ . ولكنها وجدت استجابة محدودة . وتعتبر هذه المسرحية محاولة جادة من جانب المؤلف لإحياء المسرح الشعرى بهدف تنبيه الجمهور إلى مخاطر الانسياق وراء النزعات العسكرية .

ويرسم زانجويل فى هذه المسرحية صورة ليهودى كريه يدعى كارل بلوم تظاهر بالتحول إلى الدين المسيحى . ويعيب اليهود على زانجويل أنه دافع عن السلام وبشر به عن طريق آيات العهد الجديد وأنه نسى أن العهد القديم أشد ما يكون حرصا على السلام واحتفالا به . واختار زانجويل للدفاع عن السلام أرستقراطيا يدعى الكونت فريثبوف الذى رسمه على غرار الكاتب الروسى المعروف بالدفاع عن السلام ليو تولستوى . وقام السيرَ هربرت ترى بأداء دور هذا الكونت . ويعمل كارل بلوم سكرتيرا خاصا لمسئول اسمه توجريم . وتظهر المسرحية منذ بدايتها احتقارا لهذا المدعى اليهودى الذى تنكر للمسيحية . ولا يتنبه المؤلف أنه بهجومه على هذا اليهودى يشن هجوما على شعب اسرائيل كله . وتنتهى المسرحية بالتعبير عن غضب توجريم العنيف من بلوم سكرتيره اليهودى . يقول توجريم :

– لن أقبل أن يقوم بوعظى يهودى قذر .

فيرد عليه اليهودى ضاحكا :

– ها ! تدعونى يهوديا قذرا رغم أنكم عمدتمونى فى معمودية كاتدرائية جراف . ولكن الحق يقال إنى لم أتحول إلى المسيحية أبدا .

– ماذا تقول ؟! إذن كنت تتظاهر باعتناقها .

– نعم استغفلتكم واستغفلت كنيستكم والأكثر من هذا أنى استغفلت نفسى ولو أن المسيحيين عاملونا بالروح المسيحية الحقة لما بقى يهودى واحد فى جميع أرجاء أوربا . وليس هناك شك فى أن زانجويل أفلح فى تصوير الآثار السيئة الناجمة عن إرغام اليهودى أو رشوته لاعتناق الديانة المسيحية ، وهو يعبر فى إحدى قصصه القصيرة بعنوان «اليهود المتحولون إلى الدين المسيحى» نشرها فى مجموعة مسماة «كوميديات الجيتو» عن احتقار اليهود للمرتدين باعتبارهم يهودا سيئين يتحولون إلى مسيحيين أسوأ . ونحن نشاهد المؤلف فى مسرحية «إله الحرب» يتهم المبشرين المسيحيين المغرمين بتحويل اليهود إلى العقيدة المسيحية بالعبث والنفاق وإضاعة المال فيما لا يجدى أو يفيد .

ورغم جودة مسرحية «إله الحرب» كعمل أدبى فإنها لم تصادف نجاحا عند تقديمها على خشبة مسرح جلالة الملك على الرغم من أن نفرا فى أبرز الممثلين من بينهم هربرت ترى قاموا بتمثيلها . والجدير بالذكر أن مسرحية «بوتقة الانصهار» هى أولى مسرحيات زانجويل التى أصابت نجاحا ملحوظا فى كل من انجلترا وأمريكا حيث استمر عرضها لفترة طويلة من الزمان . وبعد تمثيلها فى مسرح البلاط فى

لندن استمر عرضها ابتداء من ٢٥ يناير ١٩١٤ على مدار مائة وعشرين ليلة متتالية . وقبل عرضها باللغة الانجليزية سبق تقديمها فى حى الأيست إند بلغة البيديش . ورغم ما أصابته مسرحية «بوتقة الانصهار» من نجاح على خشبة المسرح الأمريكى فإنها أثارت استياء اليهود الأمريكان المنتمين إلى الجيل القديم والجديد على حد سواء . وتدور حبكة هذه المسرحية حول شاب يهودى اسمه دافيد كويكزانو نجح فى الهرب من روسيا القيصرية عقب مذبحة اليهود التاريخية فى كيشينيف التى أودت بحياة والديه وإخوته واخوانه . وتمكن هذا الشاب من الهجرة إلى نيويورك حيث اشتغل كعازف كمان واعتبر هذا الشاب أمريكا بوتقة الله العظيمة التى تنصهر فيها جميع الأجناس الأوربية . ويؤلف هذا العازف سيمفونية تتضمن فكرته عن أمريكا . ويتعرف الشاب اليهودى بفتاة مسيحية من أصل روسى اسمها فيرا هاجرت عن روسيا إلى أمريكا حتى تتفادى الزج بها فى السجن بتهمة الاشتراك فى ثورة تهدف إلى الإطاحة بنظام الحكم . وتقوم فيرا بتعريفه بقائد فرقة موسيقية استطاع أن يعزف سيمفونيته بنجاح . وتقع فيرا فى غرام الشاب اليهودى غير أن مليونيرا أمريكيا متزوجا يتلهف إلى الزواج منها بعد تطليق زوجته . ويسافر المليونير فى يخته إلى روسيا حيث نجح فى حث البارون ريفندال والد فيرا بالحضور إلى أمريكا لإقناع ابنته بالزواج من المليونير . وعندما تقع أنظار الشاب اليهودى على وجه البارون الروسى يتذكر على الفور أنه المسئول عن تدبير مذبحة اليهود

التى قضت على جميع أفراد أسرته . وعندئذ يدرك اليهودى أنه لا يستطيع الاقتران بحبيبة قلبه المسيحية فيرا لأن بحرا من الدم المراق يقف حائلا بينه وبينها . وعندما يروى الشاب اليهودى للبارون السفاح التفاصيل البشعة الخاصة بمذبحة اليهود التى دبرها ، نرى البارون يعبر عن شدة ندمه عما سببه لهذا الشاب اليهودي وينى جلدته من عذاب ويسلم الشاب مسدسه ويطلب منه إطلاق الرصاص عليه . ولكن اليهودى يرفض ويمضى حاملا كمانه إلى حال سبيله . وتنتهى المسرحية بالتقاء الفتاة المسيحية فيرا بالشاب اليهودى دافيد . ويتعانق الحبيبان وتتحدث الفتاة عن اجتماع يشمل اليهود بغير اليهود . أما دافيد فيرفع يده إلى السماء ليبارك المدنية الأمريكية قائلا : «السلام على كل الملايين الذين لم يولدوا والذين يشاء قدرهم أن يعمروا هذه القارة العملاقة . وليمنحهم إله أبنائنا السلام» .

ومن الواضح أن مسرحية «بوتقة الانصهار» تتسم بالعنف المأساوى وأن اتجاهها العام يتناقض مع نهايتها فهو يحتم اعتبار مثل هذا الزواج عملا لا أخلاقيا وفضيحة نكراء . فمثل هذا الزواج من شأنه تقطيع الوشائج التى تربط بين اليهودى وجذوره وكذلك إنكار اليهودى ليهوديته . والجدير بالذكر أنه تم حظر هذه المسرحية لفترة ما بناء على طلب قيصر روسيا عام ١٩١٥ ولكنها ما لبثت أن عادت إلى خشبة مسرح ايفريمان بهامستيد بانجلترا فى شهر نوفمبر عام ١٩٢٠ . ثم ألف زانجويل عددا آخر من المسرحيات منها مسرحية «مقعد الربان»

المنشورة فى نوفمبر ١٩٢٠ والتى تدور حول صراع الأجناس فى العالم القديم ، وهى أقرب إلى مسرحية «إله الحرب» منها إلى مسرحية «بوتقة الانصهار» . وفى عام ١٩٢٢ أكمل زانجويل مسرحية «مقعد الربان» بمسرحية أخرى بعنوان «بيت يستخدم القوة» . وأيضا ألف زانجويل فى أبريل ١٩١٢ مسرحية بعنوان «الدين الجديد» قام الرقيب بحظرها بعد عرضها عرضا ، خاصا لأنها تتضمن هجوما على الدين المسيحى .

رقم الايداع ٩٩/٤٣٩٩

I. S. B . N

977 - 07 -0649- 3

الفهرس

الهــلال

المجلة الثقافية الأولى فى مصر والعالـم العربـى

مارس ١٩٩٩ عدد ممتاز تقرأ فيـه :

- **أول وأخر أيام فتحي غانم**
- **أمريكا بين باحث وشماشرجى**
- **العراق وصدام الحضارات**
- **العـروش والجيـوش .. الكاتب والكتاب**

رئيس مجلس الإدارة
مكـرم محمـد أحمـد

رئيس التحرير
مصطفى نبيل

نموذج الاشتراك فى كتاب الهلال

يمكنكم الحصول على خصم ١٠ ٪ من قيمة الاشتراك فى كتاب الهلال بارسال هذا الكوبون مرفقا به حوالة بريدية غير حكومية داخل (ج.م.ع) أو بشيك مصرفى (باقى دول العالم) بقيمة الاشتراك لأمر مؤسسة دار الهلال ويرسل بخطاب لإدارة الاشتراكات .

الاسم : ....

العنوان : ....

مدة الاشتراك : .... التليفون ....

	داخل ج.م.ع.	البلاد العربية	آسيا - أوربا أفريقيا	أمريكا الهند - كندا	باقى دول العالم
	جنيه	دولار	دولار	دولار	دولار
اشتراك سنوى	٥٤	٢٧	٣٦	٣٦	٤٥
اشتراك ٦ شهور	٢٧	١٤	١٨	١٨	٢٣

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) ٦٠ جنيها داخل ج . م .ع تسدد مقدما نقدا أو بحوالة بريدية غير حكومية - البلاد العربية ٣٠ دولارا - امريكا واوربا واسيا وافريقيا ٤٠ دولارا - باقى دول العالم ٥٠ دولارا .

القيمة تسدد مقدما بشيك مصرفى لآمر مؤسسة دار الهلال ويرجى عدم ارسال عملات نقدية بالبريد .

● وكلاء اشتراكات مجلات دار الهلال

الكويت : السيد / عبدالعال بسيوني زغلول ، الصفاة ـ ص . ب رقم ٢١٨٣٣

للحصول على نسخ من كتاب الهلال اتصل بالتلكس : 92703 Hilal.V.N

هذا الكتاب

الدراسة التى بين أيدينا تقدم أعمال إبداعية متنوعة للأدباء الإنجليز الذين رسموا صورة اليهودى على مر العصور بأشكالها المختلفة .

ويتضمن الكتاب العداوة التقليدية لليهودى فى الأدب الأوربى بوجه عام والأدب الانجليزى بوجه خاص وهذه العداوة ترجع إلى القرون الوسطى ..

واستمر هذا الموقف المعادى لليهود حتى نهاية القرن الثامن عشر ..

ومع التغيرات السياسية والفكرية والايمان بالحرية، بدأ بعض الانجليز يظهرون نوعا من التعاطف مع اليهود وظهر هذا التعاطف جليا فى الحركة الرومانسية، ولكن هذا التيار المتعاطف مع اليهود، رغم ذلك، بدأ يتضاءل مع الكراهية التقليدية التى كان العالم المسيحى يحملها للصهيونية .

ويؤكد الكاتب أن كل كتاب المسرح الانجليزى البارزين فى العصر الاليزابيثى أشاروا فى إنتاجهم الأدبى إلى اليهود فى كل المسرحيات الاليزابيثية ومابعدها منذ ظهور تاجر البندقية لشيكسبير حتى وقت اغلاق المسارح على أيدى المتزمتين الدينيين البيوريتانيين عام ١٦٤٢ .

وبين دفتى هذا الكتاب سنتعرف على صورة [illegible] اليهود جسدها الأدباء فى أبحاثهم الأدبية ومنها ما ذكر [illegible] حول الطبيب لوبيز اليهودى الذى أعدم عام ١٥٩٤ [illegible] السم لقتل الملكة أليزابيث.